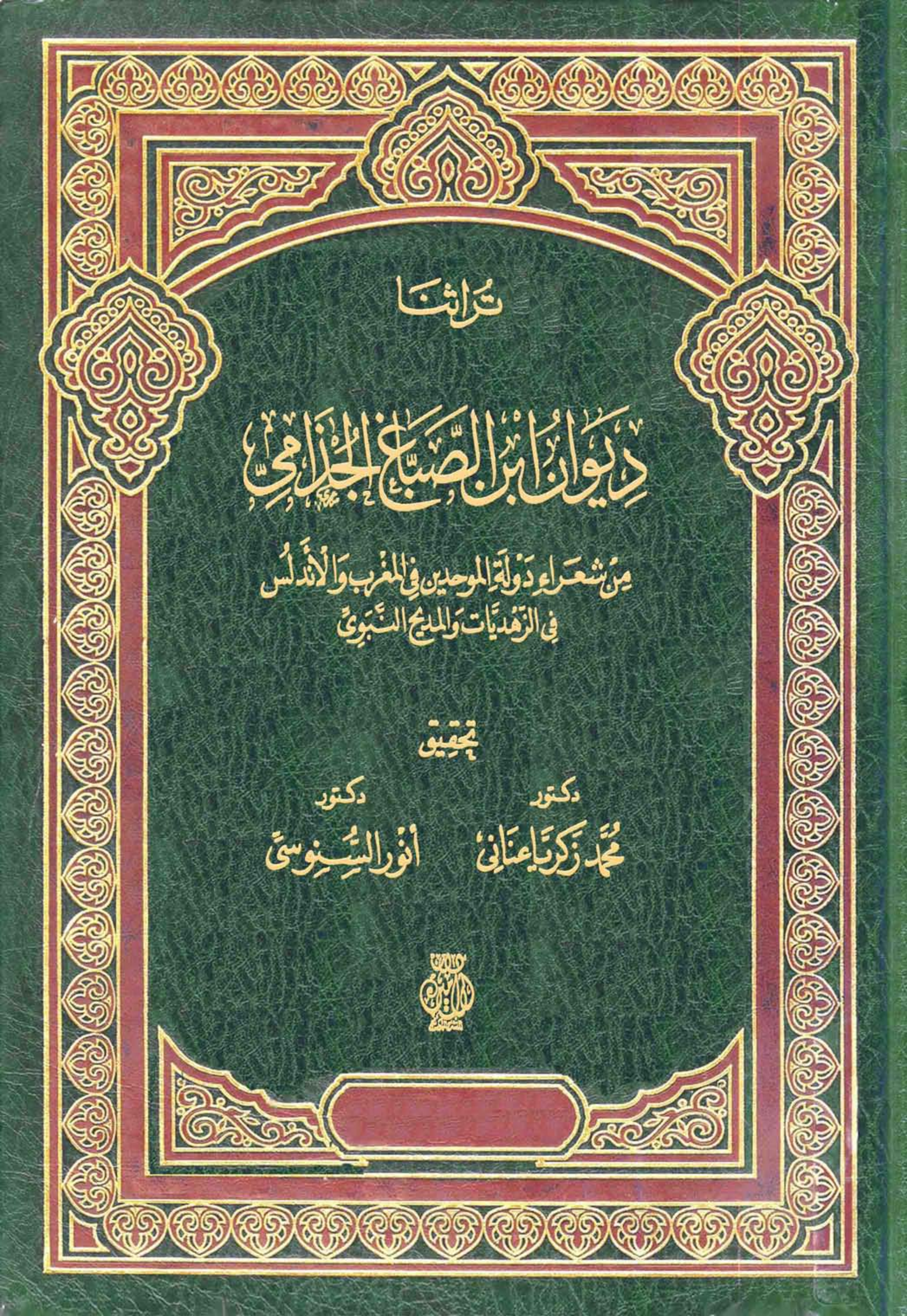


تراثنا
ديوان ابن الصباغ الجذامي
من شعراء دولة الموحدين في المغرب والأندلس
في الزهديات والمديح النبوي
تحقيق
دكتور
محمد زكريا عناني
دكتور
أنور السنوسي

تُراثنا

دِيوَان ابْن الصَّبَّاغ الجُذَامِي

مِنْ شعراء دَوْلَة المُوحدين فِي المَغْرب وَالأَندلُس
فِي الزُّهْدِيَّات وَالمديح النَّبَوِيّ

تحقيق

دكتور
مُحَمَّد زَكَرِيَّا عنانِي

دكتور
أنور السّنوسي



بسم الله الرحمن الرحيم

﴿فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ﴾

صدق الله العظيم



القاهرة : ٧ شارع رامز من شارع منصور
(محطة مترو أنفاق سعد زغلول)
ت/ف : ٣٥٤٦٦٨٧ ف : ٣٩٠٠١٣٠
ص. ب: ١٣١٥ العتبة ١١٥١١

الجيزة : ١ شارع سوهاج من شارع
الزقازيق (خلف قاعة سيد درويش)
الهرم - تليفون : ٥٦٣٤٦٩٩
ص. ب: ١٧٠٢ العتبة ١١٥١١

جمهورية مصر العربية

الطبعة الأولى

١٤١٩هـ - ١٩٩٩م

رقم الإيداع ١٥٢٠٠/١٩٩٨

ISBN : 977-279-220-6

التنفيذ الطباعي : دار الأمين للطباعة

تُراثنا

سلسلة كتب تصدرها دار الأمين بإشراف الدكتور *يوسف زيدان* ، تُعنى بنشر الأعمال الأصيلة فى مجال التراث العربى، مما لم يسبق نشره من أعمال تراثية محققة أو مؤلفة ؛ وتراعى السلسلة فيما يصدر عنها من كتب ، القواعد العلمية الرصينة ، المعمول بها فى مجال التأليف والتحقيق التراثى الجاد .

صدر منها:

- **التراث المجهول**

  للدكتور / يوسف زيدان (تأليف)

- **حديقة الحقيقة ، لسنائى**

  للدكتور / إبراهيم الدسوقى شتا (ترجمة)

- **حقيقة العبادة عند محى الدين بن عربى**

  للدكتور / كرم أمين أبو كرم (تأليف)

- **ابن القَطّاع الصقلى**

  للدكتور / أحمد محمد عبد الدايم (تأليف)

- **الفكر الصوفى**

  للدكتور / يوسف زيدان (تأليف)

- **حى بن يقظان**

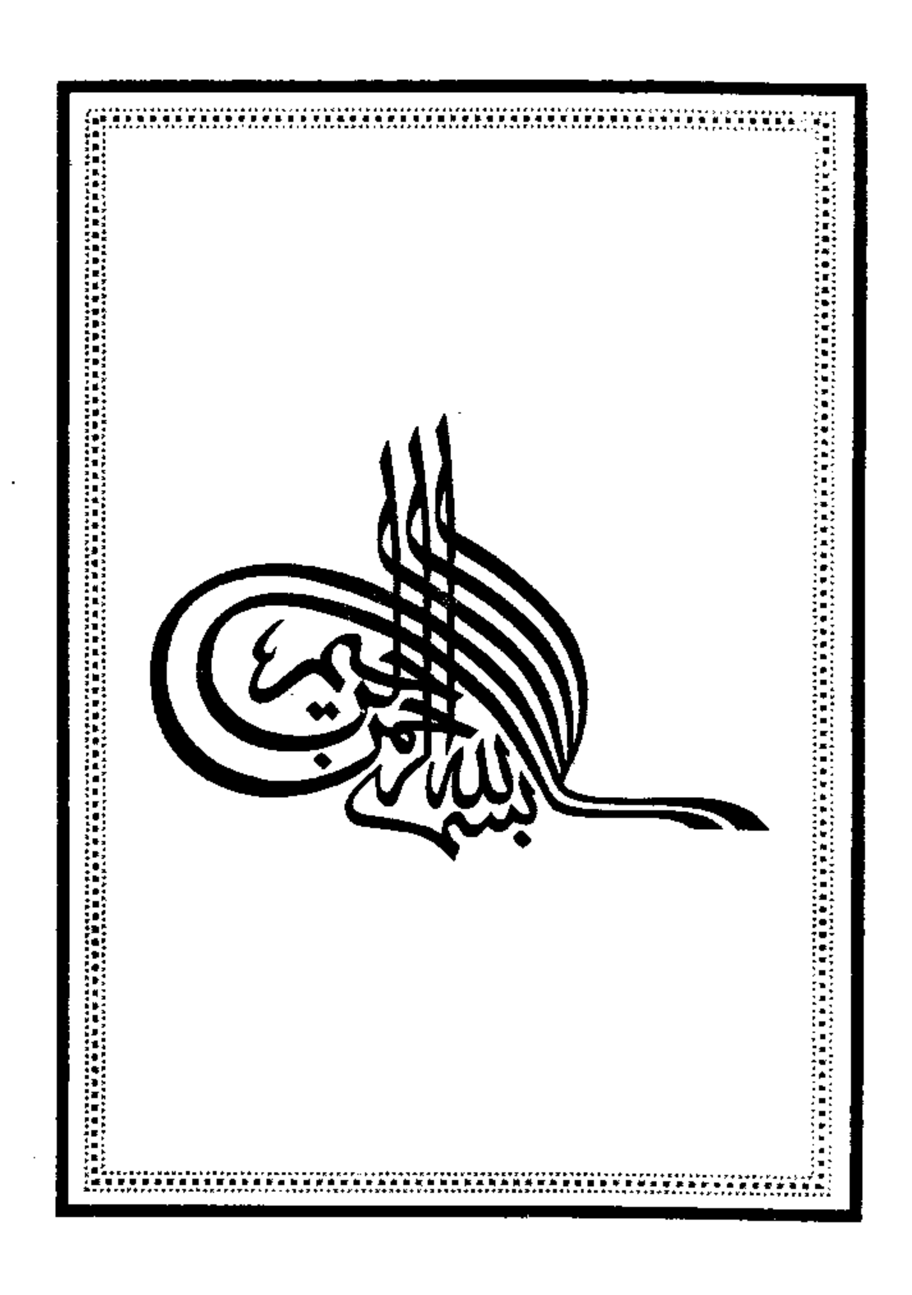
  للدكتور / يوسف زيدان (دراسة وتحقيق)

- **ديوان ابن الصباغ الجذامى**

  د. محمد زكريا عنانى/ د. أنور السنوسى (تحقيق)

- **شرح مشكلات الفتوحات المكية لابن عربى ، الجيلى**

  للدكتور / يوسف زيدان (دراسة وتحقيق)


بسم الله الرحمن الرحيم

●● ورقةٌ أخرى ، مجهولة ، من تُراثنا العربي .. تقدمها **دار الأمين** في هذه الطبعة الممتازة التي اعتنى بتحقيقها اثنان من أفاضل الأساتذة العاملين في ميدان الأدب والأندلسيات .

وابن الصباغ ، ذلك الشاعر (المنسي) من ذاكرة الشعر العربي في الأندلس ، ظل دوماً بعيداً عن أيدي الباحثين ، لندرة أخباره في المصادر القديمة ، وقلة أشعاره في عالم المخطوطات .. حيث لم يحفظ لنا الزمان غير نسخة خطية وحيدة من ديوانه البديع الزاخر بالموشحات والمدائح ورقائق الأشعار .

وعكف على مخطوطة الديوان ، المحققان : د. محمد زكريا عناني ، د. انور السنوسي .. فأظهرا للنور تلك الثروة الأدبية التي ظلت دوماً محتجبة ، مطوية في أوراقها الخطية العتيقة ؛ منذ القرن الثامن الهجري لتسطع علينا أبيات ابن الصباغ ، ولينعم الشاعر ويستريح باطلاعنا على أشعاره ! فهو القائل :

مَنْ بَاحَ بالأشْـوَاقِ في الحُـبِّ اسْـتَرَاح

ما إنْ على ذي الوجد في الشكوى جُنَاح

... ويأتي هذا الكتاب ، كخطوة أخرى على طريق سلسلة (تُراثنا) الساعية إلى تعريف الخلف بآثار السلف ، ونشر الكنوز الباقية عن القرون الخالية .

د. يوسف زيدان

تقـــــــديم

لأهل الأندلس نتاج غزير حافل فى مضمار المدائح النبوية وشعر الزهد والتصوف والحنين إلى الديار المقدسة ، على نحو ما تكشف عنه العديـــد مـــن الدواوين والمجموعات ومصادر الأدب والتاريخ.

ومن شعراء هذا اللون " أبو على محمد بن أحمـــد " ، ابـــن الصبـــاغ الجذامى ، وهو أحد الذين أهملهم تاريخ الأدب ونسيتهم كتب التراجم ، فمـــا نكاد نجد عنه سطرًا ولا لآثاره صدى باستثناء أثنتى عشرة موشحة جـــاءت فى الجزء الثانى من " أزهار الرياض" ، و لم يذكر المقرى بصددها شيئًا ما عدا اســـم ناظمها ، وذلك حيث يقول[1] .

"ومن ذلك – أى من المدائح النبوية – جملت موشحات انتقيتها مـــن كلام الإمام الصالح الزكى الصوفى أبى عبد الله محمد ابن أحمد بـــن الصبــــاغ الجذامى وقد ألف ذلك بعض الأئمة فى تأليف رفعه للسلطان المرتضى صـــاحب مراكش، وأطال فيه من موشحات هذا الشيخ وسائر نظمه .. " .

وقد عاش ابن الصباغ إبان الحقبة الأخيرة من دولة الموحدين، على نحو ما يكشف عنه جامع ديوان ابن الصباغ حيث يقول فى المقدمة :

" ولما تم اعتناء سيدنا الخليفة الإمام العادل أمير المؤمنين، المؤمن بــــالله تعالى المرتضى لأمره أبى حفص، ابن سيدنا الأمير الطاهر الأعلى الأوحد الهمـــام الأكمل المقدس أبى إبراهيم ... حركنى نسيم الهمة .. لأن أجعل أهم وســـائلى وآكدها ، وأنجح أمورى وأحمدها همى بنقل شعر الشيخ الفقيه الصالح الزكـــى المبارك الصـــوفى ، عبد المقام الإمـــامى –أيده الله تعـــالى– ونشـــأة أنعمـــه الواكفة

[1] أزهار الرياض ٢/ ٢٣٠ .

العاكفة الهوامى ، أبى عبد الله محمد بن أحمد بن الصباغ الجذامى ، شـــرح الله تعالى صدره ، ونور بالصفاء فكره " . وهذا الدعاء الأخير دليل علـــى أن ابـــن الصباغ كان حيًا عند ولاية " المرتضى " .

وقد بويع المرتضى بمراكش سنة ٦٤٦هـ ، وكان إذ ذلك " كهلاً فى نحو الخمسين من عمره ، هادىء الطبع شديد الورع قليل الأطماع .. وكـــانت خلافة المرتضى – التى استطالت نحو تسعة عشر عامًا – هى الفترة القاتمة الـتى تم فيها تفكك الإمبراطورية الموحدية ، الذى مهدت إليه حوادث الحقبة الســـابقة منذ انسلاخ إفريقية ، وانهيار الأندلس ، واستقلال تلمسان ، ثم عجل بوقوعـــه استمرار الحرب الأهلية بين الموحدين من جهة ، واشتداد ساعد بنى مرين مـــن جهة أخرى "[١].

وانتهى أمر المرتضى سنة ٦٦٥هـ (١٢٦٦م) إذ قتل على يد أعـوان ابن عمه السيد أبى العلا –المعروف باسم أبى دبوس– وهو الذى حصـــل محـــل المرتضى وتلقب بـ"الواثق بالله"، وفى أيامه انطوت آخـــر صفحـــات الدولـــة الموحدية .

وعرف عن المرتضى هذا اهتمامه بالعلم والأدب، وعن ابن عذارى أنه كان فقيهًا عالمًا أديبًا ، ووقف على مجلد يضم شعره ونثره[٢] ، ويقول الســلاوى أن المرتضى كان ينتمى إلى التصوف ، وتسمى بثالث العمرين ، وكان مولعًـــا بالسماع[٣]، وألف له " ابن القطـــان " عددًا من المؤلفات الدينية والتاريخية منها

---

[١] محمـــد عبد الله عنان : عصر المرابطين والموحـــدين فى المغرب والأندلس ، جـ٢، ص٥٣٠ (القاهرة ١٩٦٤) .

[٢] المرجع السابق ، ج٢، ص٥٩٩.

[٣] انظر ترجمة المرتضى فى " الأعلام " للزركلى (ط. ثالثة)،جـ٢، ص ١٩٨ ومراجعه .

"نظم الجمان وواضح البيان فيما سلف من أخبار الزمان" وكتاب "شفاء الغلل فى أخبار الأنبياء والرسل" وكتاب "الأحكام لبيان آياته عليه السلام" ومؤلف بعنوان "المناجاة" وآخر باسم "المسموعات"، فيه مدائح نبوية.

وهذه النزعة الدينية والصوفية عند "المرتضى" كانت حافزًا لأن ينهض بعضهم بجمع شعر "ابن الصباغ"، مستعينا فى ذلك بالشاعر نفسه على نحو ما توضح المقدمة :

«وجميع ما رسمته فى هذا الديوان من نظامه وجمعته فيه من حسن كلامه فقد عهدته مرارًا بقراءتى عليه فى مواطن جمة، وسمعته أيضا منه بقراءته المستتمة وأملاه علىّ فىأوراق منثورة لمقترح عليه فى مقاطع منها ومكفرات، وفى ديوانه الذى دونه لنظم هذا النظم، الذى رفعت له الدرجات».

وهذا النص الأخير دليل آخر قاطع على أن "ابن الصباغ" كان حيا عند ولاية المرتضى، وأن ديوانه جمع فى حياته وبمعرفته؛ مما يزيد فى قيمة الديوان التوثيقية وفى ثنايا الديوان[1] تخميس لأبيات ميلادية يذكر جامع الديوان أنها لبعض الصالحين، وهى منسوبة فى البيان المغرب إلى المرتضى، والميلاديات لم تبدأ إلا سنة ٦٤٧ عندما أوحى العزفى إلى المرتضى بالاحتفال بمولد النبى ﷺ، كما يذكر "ابن عذارى" فى الصفحة نفسها التى أورد فيها الأبيات[2] .

---

[1] ص ١٢٦.

[2] البيان المغرب (ط تطوان)، ٤٥٢/٣، وراجع د. محمود على مكى، المدائح النبوية، أنور السنوسى ، المدائح النبوية فىالأندلس، دكتوراه بآداب الإسكندرية ١٩٨٤، ص ٨٧، بشأن المولد النبوى.

فإذا صح أن الأبيات للمرتضى، وأن جامع الديوان وضعهـا فيه تقربًا إليه، وكان الديوان قد عرض على ابن الصباغ، فهذا دليل ثالث على أن الشاعر كان حيا عند ولاية "المرتضى".

إطلالة على الشاعر :

إن المعلومات عن الشاعر قليلة للغاية، وتتمثل بصورة أساسية في أنه يدعى أبا عبد الله محمد بن الصباغ الجذامى وأنه كان يحيا فى حاضرة الدولة الموحدية (مراكش) على زمن الخليفة المرتضى الذى عرفنا من أمره ما عرفنا.

وهناك أكثر من أديب أو فقيه أندلسى ومغربى يشترك فى نعت ابن الصباغ، منهم -على سبيل المثال- على بن محمد الصباغ العقيلى، من فقهاء وأدباء القرن الثامن الهجرى، انظر عنه ابن الأحمر : نثير الجمان ص ٢٢٦٨، والكتيبة الكامنة ص ٢٢٨، وذكره المقرى فى نفح الطيب أكثر من مره (انظر مثلا جـ٥، ص ٤٨٦، ص ٥١٠، جـ٦، ص ٣٣ من طبعة د.إحسان عباس).

وتحدث السخاوى فى "الضوء اللامع" جـ ٥ ص ٢٨٣ عن فقيه من سفاقس يدعى على بن محمد بن الصباغ كما نجد ابن الخطيب فى "أعمال الأيام" ص ٣٠٠ يعرض لاسم أبى عبد الله بن الصباغ "متبوع بوادى القطر الأندلسى"، كان يعيش فى زمن محمد بن إسماعيل بن فرح بن نصر (منتصف القرن الثامن الهجرى). وفى "الذخيرة" (المجلد الأول من القسم الرابع ص ٣٠٨ من ط. إحسان عباس) ذكر لـ أبى عبد الله محمد بن الصباغ الصقلى، كما يشار إليه فى "المحمدون من الشعراء" ص ٦٨ تحت اسم محمد بن

أحمد بن عبد الله الصقلى : ابن الصباغ – ولا علاقة له، بطبيعة الحال، بالشاعر الذى نتحدث عنه ها هنا.

كما جاء فى "تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية" للزركشى، ص ٨٩ خبر عن غرق أحد الفقهاء ويدعى ابن الصباغ (وكان ذلك سنة٧٤٩هـ) أثناء سفره مع السلطان أبى الحسن المرينى. وهذا الفقيه –واسمه أبو عبد الله محمد بن محمد بن الصباغ– ذكره كذلك ابن خلدون فى "التعريف" –ص ٤٥ من طبعة "محمد بن تاويت الطنجى" – وقال إنه : «من أهل مكناسة، كان مبرزًا فى المنقول والمعقول، وعارفًا بالحديث وبرجاله وإمامًا فى معرفة كتاب الموطأ واقرائه.. واختاره السلطان لمجلسه فاستدعاه، و لم يزل معه إلى أن هلك غريقًا». و"ابن الصباغ" المذكور فى هذا الخبر غير صاحبنا هذا.

ونضيف إلى ما سبق ما يذكره المقرى فى النفح (جـ٥ ص ٣٥١) من حديث عن أبى عبد الله محمد بن أبى الفضل الصباغ، ومن ذكر (جـ٣ ص ٤٦٥) لـ "أبى عبد الله الجذامى"، ومن تنويه (جـ٥ ص ١١٣) بمخمس رآه فى فاس "منسوبًا إلى بعض بنى الصباغ"، أوله :

أيـــا جاهلا غره ما يفوت

وألهـــاه حال قليل الثبوت

تأمـــل لما بعد أنس يقوت

بعدنا وأن جاورتنا البيوت

وجئنا بوعظ ونحن صموت

وهذا المخمس لا يرد في ديوان ابن الصباغ، وما كان يصح له أن يرد، لسبب رئيسي وهو أن قائله بناه على أبيات لسان الدين بن الخطيب المؤثرة، التي كتبها قبيل أن يلقى حتفه (وراجعها في النفح ٥/١١١) وابن الخطيب متأخر بقرنين من الزمان على شاعرنا هذا.

وهناك أسماء عديدة تحمل هذا النعت ابن الصباغ في الأندلس والمغرب والعالم الإسلامي (انظر -على سبيل المثال- الوافي بالوفيات جـ١ ص ١٦٧)، ولكن ليس من بينها من ينطبق على مؤلف هذا الديوان، ومن ثم نترك الأمر الآن على علاته، ولعلنا نجد فيما بعد ما يجلي الغموض الذي يكتنف شخصية ابن الصباغ الجذامي هذا، ويسمح بأن يتناول على نحو أكثر تحديدًا.

وقد وقعت لنا مصورة من مخطوطة تحصيل المرام في أخبار البلد الحرام (أصلها بدار الكتب المصرية محفوظ تحت رقم ٤٥٦٥٦ عمومية ٢١٦٣ خصوصية (تاريخ) وهي لمحمد بن أحمد الصباغ، انتخب مادته من جملة كتب منها السيرة الحلبية لعلي بن برهان الحلبي، وشفاء الغرام والعقد والقعد الثمين للفاسي والمواهب اللدنية للقسطلاني، والبحر العميق للقرشي، ومنائح الكرم في أخبار البيت وولاة الحرم، وتوضيح المناسك وحاشيته، لشيخه حسين بن إبراهيم بن عامر المغربي.

وراجع كذلك كتاب "الأعلام" لخير الدين الزركلي (الجزء الثالث ص ٢٨٦ من الطبعة الثالثة) ففيه إشارة لأكثر من علم يحمل اسم ابن الصباغ (عبد السيد بن محمد بن الصباغ، المبارك بن المبارك بن الصباغ.. الخ) ولكنهم غير الصوفي الشاعر المعني هنا.

ووجدنا فى "موشحات مغربية" ص ١٢٣ (هامش) حديثا عن ابن الصباغ الجذامى، جاء بصدد من عرف بفن التوشيح فى المغرب خلال القرن السابع الهجرى، مثل أبى حفص عمر الاغماتى، وميمون بن الخبازة:

«نشير هنا إلى أن لأبى عبد الله محمد بن الصباغ الجذامى ديوانا كان جمع فى هذا العصر لأبى حفص عمر المرتضى الموحدى.. وهو يضم كثيرًا من الموشحات، ولكن المعروف أن صاحبه أندلسى ولا يوجد ما يثبت غير ذلك، وهو بهذه الصفة يعد فى الوشاحين الوافدين على المغرب ممن كان لهم دور فى تعريف المغاربة بفن التوشيح».

وربما كان هذا الاستنتاج صحيحًا، إلا أنه لم يدعم بأى مصدر، وليس فىأيدينا عنه إلا ديوانه وإلا المختارات التى جاءت منه فى "أزهار الرياض" (اثنتا عشرة موشحة) وهما لا يعينان على تحديد شىء ما عن ابن الصباغ الجذامى، بل إن مقدمة الديوان تجعلنا نميل إلى اعتباره من أهل المغرب، ومن أهل الرقعة الضيقة الهزيلة التى وقفت عندها حدود دولة الموحدين فى عهد "المرتضى"، واقرأ معى هذه الجملة فى مقدمة الديوان، التى وضعها أحد معاصرى ابن الصباغ :

«ولما تم اعتناء سيدنا الخليفة الإمام العادل أمير المؤمنين.. "المرتضى"... حركنى نسيم الهمة.. بنقل شعر.. عبد المقام الإمامى.. ونشأة أنعمه الواكفة..).

وجاء فى الصفحة الأولى من مصورة االديوان أن شاعرنا ابن الصباغ "من أيام الحفصيين"، ولعل كاتب هذه النبذة، تأثر فى هذا باسم الخليفة

الموحدى "المرتضى لأمره أبى حفص"، فاستدل منه على أن الشاعر من أيام الحفصيين (بتونس).

محتوى الديوان :

يضم ديوان "ابن الصباغ"عددًا جمًا من القصائد والمخمسات والموشحات تدور كلها حول المدائح النبوية. ومنها ما يحلق -بلا كثير جموح- فى أجواء الوجد والتصوف أو يكثر من التذلل ومخاطبة الأظعان. ومناجاة الحبيب والتحسر على ما فات.

ولعل هذا الديوان لا يكون ديوانه الوحيد وكثرة الإنتاج -على كل حال معدودة فى مقاييس تفاضل الشعراء، وإن لم يبلغوا منتهى الإجادة، وهذه الكثرة فى غرض واحد إن دلت أحيانًا على انحصار فإنها قد تدل بالمثل على الإكثار والغزارة إجمالاً،فإذا استطاع الشاعر أن يجعل هذه الكثرة فى قوالب تجمع التقليد والتجديد، دل ذلك كله على مقدرة شعرية ليس فى الوسع إهمالها.

ويختلط فى ديوان ابن الصباغ مدح النبى ﷺ بالتصوف اختلاطًا فريدًا[1]، ويحس القارىء فى مدائحه بوجد صوفى يفتقر إليه كثير من المداح، كما يستشعر فى صوفياته تمثلاً صادقًا لشخص النبى ﷺ وثناءً حارًا لا يجده عند كثير من المتصوفة، والديوان -بهذا الاعتبار- وثيقة مهمة لدارسى كل من شعر التصوف والمديح النبوى[2]، ولا حاجة بنا إلى بيان أهمية شعر

---

[1] راجع أنور السنوسى، المدائح النبوية فى الأندلس، ص ٩٦،٢٠٢.

[2] المرجع السابق والصفحات نفسها لبيان مكانة ابن الصباغ فى تاريخ المديح النبوى.

التصوف ومكانته، فلذلك دراساته الكثيرة ودارسوه الكبار، لكن ربما كنا في حاجة إلى التنبيه على أهمية المديح النبوى، وأنه لم يسعد إلا بدراسات عامة موسعة طويلة الأحقاب، لا تسمح بتعمق الجزئيات وتمحيص الظواهر والفرعيات، ولا يزال بحاجة إلى دراسات صغيرة متنوعة.

والديوان فى نصفه الأول للقصائد والمخمسات،ونصفه الآخر للموشحات، وكثرة الموشحات على هذه النحو ظاهرة غريبة إذا تذكرنا نظرة النقاد -منذ ابن بسام- إلى الموشحات، وعدهم إياها من قبيل الملح التى لا تليق بالأغراض الرفيعة -إن صح هذا التصنيف- وأى غرض أعلى من مدح النبى ﷺ ؟ إنها جرأة من "ابن الصباغ"، وهذه الجرأة هى أحد وجهى الغرابة فى كثرة الموشحات النبوية فى ديوان "ابن الصباغ"، والوجه الآخر هو اطراد الغرض الواحد فى ست وثلاثين موشحة على التوالى لشاعر واحد، وربما لهذا الوجه الأخير أورد المقرى من هذه الموشحات اثنتى عشرة بينما لم يورد معها من القصيد والمخمس إلا انتقاً.

وللنصوص التى وصلت إلينا من نظم ابن الصباغ قيمة "تاريخية" إلى جانب قيمتها الفنية، ذلك أن الرجل كان مدركًا لطبيعة الموشحة، عارفًا بالموروث الفنى لها عبر تاريخها الطويل على أرض الأندلس والمغرب وقد قدم مجموعة نادرة من "المكفرات" وهذا المصطلح يذكرنا بما قاله "ابن سناء الملك" فى "دار الطراز" :

«والموشحات يعمل فيها ما يعمل فى أنواع الشعر من الغزل والمدح والثاء والهجو والمجون والزهد، وما كان منها فى الزهد يقال له المكفر، والرسم

خاصة أن لايعمل إلا على وزن موشح معروف وقوافي أقفاله، يختم بخرجه ذلك الموشح ليدل على أنه مكفره ومستقبل ربه عن شاعره ومستغفره» ولم يذكر ابن سناء الملك شيئا من مكفرات الوشاحين الأندلسيين والمغاربة، ولكنه ذكر من بين موشحاته نصًا أوله :

طائر قلبى وقعت فى الأشراك

وهو الهوى والنوى وما أدراك

قد كنت عن عشقها أنهـــاك

أضنت وقالت من الذى أضناك[1].

ثم عاد وقدم مكفرًا لهذه الموشحة، يخضع للقواعد الفنية التى ذكرها وختمه بنفس خرجة الموشحة السابقة، وأول المكفر :

طائر قلبى وقعت فىالاشراك

أشراك هذى الدنيا وما أدراك

إيـــاك واحذر غرورها إياك

أف لدنيا عـن وصلها أنهاك

وكأن الشاعر كان يترب عما نظم من قبل من مجون بأن ينظم على نسقه فى أغراض الزهد، معتذرًا عما قال فى النص القديم، الذى يذكر خرجته

---

[1] يراجع كذلك : د. مصطفى عوض الكريم، فن التوشيح، ص ٣٤، ود. محمد زكريا عنانى، الموشحات الأندلسية، ص ٦٣.

بكل ما فيها من إحماض ولكن بتمهيد يبين فيه أنه يستغفر ربه عن هذا الذى خاض فيه.

لكن هذه القاعدة -على نحو ما يوضح صفى الدين الحلى فى كتابه العاطل الحالى ص ١٢- اهتزت مع الزمن حتى صار هناك من ينظمون المكفر «وما لأحد منهم فى وزنه وقافيته ما يستغفر منه بل على طريق العبث، وذلك خطأ»، لكن ابن الصباغ كان من الذين كتبوا مكفرات لموشحات غيرهم، ومن المرجح أن موشحاته هذه لاقت قبولاً عند الناس، على نحو ما تكشف عنه عبارة المقرى فى أزهار الرياض (٢/٢٣٠) :

«ومن ذلك جملة موشحات انتقيتها من كلام الشيخ الإمام الصالح الزكى الصوفى أبى عبد الله محمد بن أحمد بن الصباغ الجذامى، وقد ألف ذلك بعض الأئمة فى تأليف رفعه للسلطان المرتضى صاحب مراكش، وأطال فيه من موشحات هذا الشيخ وسائر نظمه، و لم أذكر من موشحاته هنا إلا الغرر على أنها كلها غرر».

وقال فى ص ٢٤٨ «انتهى ما قصدته من موشحات هذا الشيخ النبوية، وأما نظمه فى غير الموشحات فمنه قوله رحمه الله».

وذكر له قسمًا من قصيدة :

هب النسيم بطيب ذكر الهادى　　　فتأرجت نفحات ذاك النادى

وقسمًا من قصيدة :

سأنظم فى من فخر النبى محمد　　　لآلىء لا يبلى جديد نظامها

ومن تخميس :

ألا هل إلى وادى العقيق طريق

ومقطوعة أخرى من بيتين.

شاعرية "ابن الصباغ" :

ولا ترقى محتويات الديوان إلى مستوى الشعر الرفيع ففيه قدر من النثرية والفجاجة، ومع ذلك فإن فى هذا الشعر من الحرارة والرقة ما يضفى عليه مسحة من الجمال، فضلا عن بعض ومضات تتألق من حين لآخر.

ومما يكشف عن نهجه وأسلوبه قوله :

تركت امتـــداح العالميـــن ولذت مـــن

مدائح خيـــر الخلق بالعـــروة الوثقى

سأجعلهـــا كهفـــى وحصنى وملجئـى

لعلى بالأمداح استوجب العتـــــــقا

وقوله :

حث الركـــاب إلى الشفيـــع فقد ذوى

روض الشبيبة وانحنـــى غصن القوى

وتنهض وانهض إلى تلك المعالم قاصدا

فبتبرهـــا تشفى تباريـــح الجوى

أو مـــا سمعت بها حمام الدوح قد

غنى بألحان التبـــاعد والنوى

ومن أمثلة ما قاله فى مضمار المخمسات :

مـــن بـاح بالأشواق فى الحب استراح

ما إن على ذى الوجد فى الشكوى جناح

لما تنـــسم عرف نوار البطـــــاح

جـــادت بنثر المسك أنفاس الرياح

فاهتز عطف الصب للوصل ارتيـــاح

جرت ذيـــول التيه زهوا إذ جرت

أحيت نفوســـا بالتنائـــى أتلفت

يـــا طيب أنفاس بهـــا تنفست

مـــرت علـــى أبياتهم فاحتملت

طيبـــــا كما نم البنفسج والأقاح

هذه نماذج يسيرة من شعر ابن الصباغ، وهى -بدون شـك- لا ترقـى إلى منزلة الشعر المحلق فى آفاق العبقرية، المبتكر للمعانى، المتميز بتراكيب لغويـة وبصور فنية معبرة، ولعل مجمل القـول فيـه أنـه شـعر وسـط، احتفـظ ببعـض ما فى الشعر الأندلسى من طواعية ووضوح وتألق، كما أنه يجيش بفيض غـامر

من الصدق، يضاعف منه أن موضوعات الشعر عنده محورها الحنين إلى زيارة المدينة المنورة على صاحبها أفضل الصلوات والتسليم، كما تمس جوانب الاغتراب والتحسر على العمر الذى ولّى والأحباب الراحلين، والتشوق إلى حمامات اللوى، والتحدث عن العذال واللائمين ومئات الجمل الأخرى التى طالما حركت فى النفوس الشجن، والتى تتوالى عبر صفحات الديوان.

وغنى عن القول أن الصياغة اللغوية عند "ابن الصباغ" لا تكشف عن رصيد لغوى رفيع، وكأن شاعرنا بقى "الصوفى" المؤثر فى النفوس بصدقه ومشاعره، ولكنه لم يستطع أن يكون الشاعر الحق، الذى يتجاوز المألوف ويصنع قصائد مستوية البناء، مكتفيًا بأن يقدم ترانيم رقيقة لطيفة، وهذا كل ما عنده، ولا يكلف الله نفسا إلا وسعها.

مخطوطة الديوان :

تحتفظ الخزانة الملكية بالرباط بالنسخة الوحيدة المعروفة من هذا الديوان (تحت رقم ١٠٩) وتقع فى ١٠٨ ورقة متوسطة الحجم (مقاس ١٦,٥×٢٠سم) وتحتوى الصفحة على خمسة عشر سطرًا، وقد وصفت فى صفحة ألحقت بأول المصورة وآخرها بأنها (نسخة بقلم أندلسى حسن، من القرن الثامن، فى ٢٠٠ ورقة تقريبًا) ولاشك أن هذا محض خطأ، ولعل المقصود أنها فى ٢٠٠ صفحة تقريبًا، وليس لها غلاف متميز، وكل ما تضمنته لوحة الغلاف :

ديوان

أبى عبد الله محمد بن أبى الصباغ الجذامى

وفى أعلى الصفحة من جهة اليسار بعض تمليكات باهتة وسطور مكشوطة، ثم خاتم القصر الملكى.

وتنتهى المخطوطة عند نهاية موشحة (أفنى الهوى رسومه)، بـ :

فاستنشقوا نسيمه وعانقـــوا أغصانـــــه

دون أن تكتمل الخرجة، ولعل الذى سقط بضع ورقات من آخر المخطوطة، التى لا يعرف على وجه اليقين متى كتبت (ولا بأس بترجيح أنها تنتمى للقرن الثامن الهجرى) ولا اسم الناسخ، كما لا نعرف إن كانت هى النسخة التى صنعها الجامع المجهول الذى اعتمد فى إيراد النصوص على ابن الصباغ نفسه، أم أنها منقولة عن هذا الأصل وإذا كان خط النسخة لا بأس به؛ فإن الأرضة أحدثت ببها ثقوبًا فى كل ناحية، خاصة أطراف الأوراق من أعلى وأسفل، مما جعل القراءة متعذرة فى عديد المواضع، وضاعف من المعاناة الاعتماد على نسخة مصورة -وليس الأصل- إذ اختلطت آثار الثقوب بالحروف، وهكذا فإن نسخ المخطوطة سبب نصبًا لا يقدره إلا من كابد النقل عن مثل هذه الأصول التى تعرضت للتلف، وقد تطلب قراءة بعض الفقرات ساعات من إدامة النظر، وتقليب القراءة على أكثر من وجه، خاصة وأن طول البحث عن نسخة أخرى لم يفض إلى شىء، و لم نعثر على نقول من قصائد الديوان ومخمساته وموشحاته فيما وصل إلينا من مجموعات ومختارات ومصادر متنوعة باستثناء بعض نصوص قليلة وردت فى "أزهار الرياض" للمقرى وفى مخطوطة "الروضة الغناء".

ولا عزاء لنا إلا أن المقابلة بين الموشحات اللاتى فى "أزهار الرياض" بنظائرهن فى ديوان ابن الصباغ، قد أثبتت أن المخطوط أصح قراءة مما اعتمد عليه المقرى فى النقل، وهذا يجعلنا مطمئنين إلى المخطوط الذى بين أيدينا. وعزاء آخر فى الديوان نفسه، فقد خمس ابن الصباغ بعض قصائده، وأدت المقابلة بين الأصل وتخميسه إلى جبر نقص وتصحيح قراءة فى مواطن كثيرة، على أن أكثر الديوان يبقى مفتقرًا إلى مراجعته على أى مصدر آخر مخطوط أو مطبوع.

ولم نستطع -والحال هذه- إلا تحرى صحة القراءة جهدنا، وما ارتبنا فيه أو عجزنا عنه لأنطماس أو بياض فى الأصل أثبتناه على علاته، وأشرنا إلى ارتيابنا وعجزنا.

وليس فى الديوان من حيث المفردات أو المصطلحات الصوفية، ما يحتاج إلى شرح وكذلك أمر التعبيرات والاقتباسات ونحوها، إلا ما أشرنا إليه من أخطاء ومعاظلات فى التراكيب فى بعض المواضع، ولم نجد من الأسماء والأمكنة ما يستحق التوقف أمامها لقلتها وشهرتها.

ولعل هذا النشر تكون فيه إضافة، ولو يسيرة، للتراث المغربى والأندلسى، ولفن المدائح النبوية على وجه خاص.

والله ولى التوفيق

المحققان.

الديـــوان



بسم الله الرحمن الرحيم ، صلى الله على سيدنا ومولانا محمد .... (٢ أ)

الحمد لله وليّ الحمد ، وأهل الثناء والمجد ، حمداً ... على مرّ الجديدين جديده ، ويتزايد بتزايد آلائه مزيده . والصلاة والتسليم على سيدنا ومولانا نبيه المصطفى محمد ..... ذى الخلق العظيم ، والسَّنَنِ القويم ، خاتم الأنبياء بزمانه وشرعه وحائز كلّ الفخر بذاته الشريفة وطبعه ، هادى الأنام فى مهامه الضلالة من عمى التعامى ، ومنقذ الأمة بهذه الملة من التمارى بالباطل والترامى ، جاء بالمعجزات المنجزات مؤيداً ، وأقام بالآيات البينات مردّداً ، حتى قامت به ملة الهدى ، وراح الإسلام فى مطارف عزّه واغتدى ، فالسعيد مَنْ آثر إيثاره ، ولزم مآثره وآثاره ، والشقى من أعرض عن مُقْبِل إقباله ، فلم يَمُرّ ما يجب من تعزيره وتوقيره بباله . فطوبى لمن طالب بنشر فخره وذكر علاء قدره نفسه وجعل مدحه فى النهار هجيراه وفى الليل سميره وأنسه ، ألا ذلكم هو الفوز المبين ، والعمل الذى بحسن رونقه يزين ، والله سبحانه يختص من يشاء برحمته ، ويختار من يحب للدخول فى حرم حرمته /ولما تم اعتناء (٢ ب) سيدنا الخليفة الإمام العادل أمير المؤمنين المؤمن بالله تعالى ، المرتضى لأمره – رضىَ الله تعالى عنه ونصره – أبى حفص بن سيدنا الأمير الطاهر الأعلى الأوحد الهمام الأكمل المقدس أبى إبراهيم بن سيدّنا الخليفتين ...... أميرى المؤمنين أيّد الله (مقامه) [1] ووصل بالسعود المتصلة دوامَه ، وجعل أيام الفتوح المتوالية والمسرات المتتالية أيامه وضرب سرادقات النصر بكل جهاته تحمى يمينه وشماله ووراءه وأمامَه بسنة سيدنا ومولانا محمد صلى الله عليه وسلم واقتداؤه بسنّته ، وأصبح رضى الله عنه يملأ بتعظيمه وتوقيره بطون الأوراق وظهورها استماعَاً للقول واتباعاً لأحسنه ، حرّكنى نسيم الهمّة المهتمة بتحريك أغصان القلوب فى دوحات الخواطر ، النافحة فى أسحار القبول

---

(١) الكلمة غير واضحة فى الأصل ، وهذه أقرب قراءة لها تناسب السجع والمعنى .

وأصائل الوصول بكل أرج للرجاء عاطر ، لأن أجعل أهمّ وسائلى وآكدها ، وأنجح أمورى وأحمدها تهمّمى بنقل شعر الشيخ الفقيه الصالح الزكى المبارك الصوفى عبد المقام الإمامى أيده الله تعالى ونشأة أنعمه الواكفة العاكفة الهوامى ، أبى عبد الله محمد بن احمد بن الصباغ الجذامى ، شرح الله – تعالى – صدره|ونوّر بالصفاء فكره ، وما نظمه من مقاطع ومخمسات ومكفرات ، وما (٣ أ) خمّس من شعر غيره ، أو ذيّل عليه من بيت وبيتين وثلاثة بألفاظه الفصيحة الفائقة ومعانيه العذبة الرائقة ، إذ لم يزل يأخذ نفسه بأمداح المصطفى – صلى الله عليه وسلم – حتى اشتهر بالسبق فيها واكتفى ، وأما ما يشير إليه من الإشارات الصوفية ، ويسبكه من ذهب المَذهب المُذْهب بسنّا العبارات العرفية ، فأدق من الدقائق الخافية ، وأبين من الشمس المنيرة الصافية ، وما بين ذلك من رصف روضة غناء ووصف بانة غيناء، وشكوى الورْق فى الأوراق ، وبثّ الوجد والأشواق ، فأرق من نسيب الحجاز ومعانى الفراق ، وأبهى وأبهج مرأى ومستمعاً من زهر الرياض وخبر التلاق . وجميع ما رسمته فى هذا الديوان من نظامه ، وجمعته فيه من حسن كلامه فقد عهدته مراراً بقراءتى عليه فى مواطن جمّة ، وسمعته أيضاً منه بقراءته المستتمّة وأملاه على فى أوراق منثورة لمقترح عليه فى مقاطع منها ومكفرات ، وفى ديوانه الذى دوّنه لنظم هذا النظم الذى رفعت له به الدرجات .

(١)

فمن ذلك :

قصيدة له عفا الله تعالى عنه وألحقه رضاه فى مدح المصطفى المختار (٣ ب) والصحابة رضى الله تعالى عنهم أجمعين الصفوة الأبرار ، وهى من بديع كلامه ، و..... نظامه جمع فيها بين شدو الورقاء فى الأسحار ، وتذكر العهد..... وبين امتداح الهاشمى عليه السلام وأصحابه الأخيار .

أذكتْ بأحناءِ الضلوعِ أوارا　　وُرْقٌ ترجّع شدوها أسحارا
سجعتْ فهيّجَ سجعُها مستعبراً　　يشجى بشجوِ بكائه الأطيارا
لمّا تذكّرَ عهدَ أيامٍ مضت　　أجرتْ دموعَ شؤونه أنهارا
يبكي ويندب ربعَ عمرٍ قد عفا　　لم يقضِ فى ساحاتَه أوطارا
متشبّثاً بعسى وعَلّ لعلّه　　أن يدركَ الركبَ الذى قد سارا
لمّا انقضت أيامه وتصرمتْ　　وأُديلَ من إيراده إصدارا
ودعابه داعى الرحيل ولم يجد　　من عمره عوناً ولا أنصارا
لم يلفِ فيما يرتجيه مؤمّلا　　يشفى السقامَ ويطرد الأفكارا
إلا [1] امتداح الهاشمى وصحبه　　فبذاك يجني للسعود ثمارا
فارتاح للأمداح ينظم دُرَّها　　فى جيد مجدِ علائهم أشعارا
فلتستمع [2] يا صاحِ ذكر مناقبٍ　　قد فاق عَرْفُ ذكائها الأزهارا
فمحمّدٌ شمس المفاخرِ والعلا　　والصَّحْبُ أضحوا حوله أقمارا　　(٤ أ)
نسقوا كما نسقت درارى الأفق فى　　فلك [3] المجرّة فاعتلوا أبدارا [4]
من كلّ ندْبٍ فى المكارم معرقٍ　　يكسو بغرّته الدُّجى أنوارا
حلوِ الشمائل طاب ذكر ثنائه [5]　　وحكى أقاحاً نشره وبهارا
أضواء مجدٍ شامخات فى العلا　　كرموا فسادوا محتداً ونجارا
طبعت علي طبعِ النبى طباعهم　　فتطوروا فى فضلها أطوارا
فالأوحد الصدّيق أول ماجدٍ　　أسدى النوال وآثر الإيثارا
لمّا تخلّلَ فى العباءة مؤثراً　　للبذلِ فاق ببره الأبرارا
هو صاحب المختار فى أزماته　　ثانيه يومَ ثوى فحلّ الغارا
عدّد علا الفاروق واذكر فضله　　فَبِهِ منارُ هدى الأنام أنارا
للحق جرّد صارما يفرى الطُّلى　　فاستفتح الأقطار والأمصارا
وهو المحدَّث بالغيوب وقلبه　　قد أودع الله به أسرارا

---

(١) مطموسة فى الأصل وتفهم بربط البيتين .

(٢) ذهب أول الكلمة من الأصل .

(٣) ، (٤) محو فى الأصل فى الكلمتين فاجتهدنا هكذا .

(٥) غير واضحة فى الأصل واجتهدنا فيها هكذا .

وامدحْ شهيدَ الدار عثمان الذى
لزمَ الحياءَ مهابة ووقارا

ولطالما لبس الظلام تهجداً
والدّمع يهمي سَحُّه مدرارا

(كتب) العلاء[1] سطور فخر خلاله
فاقرأ بها متنزهاً أخبارا

واذكر إماما (خلُصتْ)[2] أوصافه
نقدا[3] فراق نضارها النُّظارا (٤ ب)

أعني أبا الحسن ابن عمِّ محمد
صهرَ النبيِّ الفارس الكَّرارا

أسد الحروب إذا الفوارس في الوغى
هزّوا القواضبَ والقنا الخطارا

وكذا (حذيفة)[4] ثمَّ سعد والزّبيـ
ـر لدين أحمد أصبحوا أنصارا

وأبا عبيدة وابنَ عوفٍ فامتدحْ
وسعيد قد حازوا الكمالَ فَخَارا

كنْ لائذاً بذرا الصحابة كلهم
فلهم بنانُ المعلوَات أشارا

ولتفن عمرك في امتداح علائهم
تجنى المحامد فى غدٍ مختارا

وإلى مِغَانٍ شرفت بوجودهم
فاقطع بحثّ اليعملات قفارا

فهم البدورِ إذا عدمتَ أهلةً
وهمِ الشموس إذا فقدتَ نهارا

أصحابُ أحمدَ كالنجوم لمهتدٍ
يهدى بنور هداهم من حارا

فبأحمدٍ وبآله وبصحبه
طلعتْ شموس سنا الكمال جهارا

لله أعلامٌ لهم ومعاهد
باتتِ وأذكت فى الجوانح نارا

باللّه يا ريح الصبا سَحَراً إذا
ما زرتِ من مغنى الحبيب ديارا

فلتبلغى عنى تحية مغرمٍ
بجوى البعاد فواده قد طارا

يارب بالمختار يسر زورةً
تمحو بها الآثام والأوزارا

واعطف على العبد الذليل بنظرة
فإلى عبيدك لم تزل نَظَّارا (٥ أ)

(٢)

وله عفا الله تعالى عنه
فى مدح المصطفى صلى الله عليه وسلم:

---

(١) الكلمة الأولى مطموسة والثانية يبدو منها الهمزة ، ولعلها كما أثبتناها .

(٢) محو اجتهدنا فيه .

(٣) هذه أقرب قراءة للكلمة .

(٤) محو اجتهدنا فيه .

هبَّ النسيم بطيب ذكر الهادى | فتأرجتْ نفحات عرف النادى
يا شادياً تشدو بمدح محمد | كرِّرْ فديتك مدحه يا شادى
كرِّرْ على الأسماع ذكر محمد | فلذكره بردٌ على الأكباد
وأعدْ علينا نظم فخر خلالِ مِن | بهر الورى من حاضرٍ أو بادى
هو ذروة المجد الأصيل وقطبه | هو صفوة الأشراف والأمجاد
هو بحر جود فاض عذب نواله | وصفَتْ موارده لدَى الورّاد
هو خير خلق الله والمختار من | أعلى نجار جلَّ عن أنداد
هو منتهى أملى وملجأ مفزعى | هو شمس إيمانى وبدر رشادى
هو عصمتى مما أخاف وحبّه | يوم القيامة للخطوب عمادى
إشراق كلّ النيرات وحسنها | من نور حسن شهابه الوقاد
لا تعجبوا فعناية المختار قدْ | خرقت قياس العقل فى المعتاد
شوقى إلى [1] ذاك المقام أثاره | حزن تلهّبَ لفحه بفؤادى
ياويح مكتئب لِمَا قد شفّه | من فرط أحزان وطول بعاد (٥ ب)
كم رام قُرْبَ الدار من أحبابه | لو أسْعَفَ المقدور [2] بالإسعاد
كم رام أن يشفى بزورته ظما | قلبٍ إلى تلك المعاهد صادى
أيام [3] أطْلِعَ بدر حسنِ شبابه | من فوق ناعم [4] غصنه الميّاد
والآن قد لعبتْ به أيّامه | وعدتْ عليه للمشيب عواد
شيبٌ [5] وضعف وانتزاح مواطن | فمتى يتيح الدهر نيل مرادى
لهفى على عمرٍ تصرّم وانقضى | أفنيت فيه طارفى وتلادى
فلأنزفنّ مدامعى أسفاً على | ما قدّمته يدى ليوم معادى
يا حادى الأظعان يأمُلُ طيّةً | اقصصْ فديتك قصتى يا حادى
وانزل بهاتيك الربوع وقف على | نادى الندى إمّا عرضْتَ وناد

(١) فى الأصل محو والتكملة من الأزهار جـ٢ ص ٢٤٩ .
(٢) كذا فى الأصل والأزهار .
(٣) فى الأصل غير واضحة والقراءة من الأزهار .
(٤) كذا تبدو فى الأصل ، وفى الأزهار باسم .
(٥) فى الأصل غير واضحة ، وفى الأزهار : شيب .

هذا أسيرٌ بعادكم أجفانه	تحكى بفيض الدمع سُحْبَ عهاد
فمتى على بعد الديار وشحطها	يحظى بوصلكم حليفُ سهاد
فعليكم منى سلام طيب	ما ناحَ غرِّيدٌ بصَرحةِ واد

(٣)

ومما أتى فيه بكل الإحسان
قوله ألحفه الله الرضوان :

أرى ساقى الأنواء قد أسْكَرَ القُضْبَا	وروض سماء الزهر قد أطلع الشُهْبا (٦ أ)
سقاها انسكاب المزن كأساً روية	فمالت تثنى فى خمائلها عُجْبا
وغنّتْ بها ورقُ الحمائم سحرة	فَلَم يبق شكواها لذى لوعة لبًّا
تطارح فى دوح الأراك هديلها	وتشكو صبّاباتٍ تهيج بها صبًّا
ترجع ألحاناً بأفنان قضبها	فتحكى دموعُ العين فى سحها السحبا
وهبت بعرف الزهر ريح بليلةٌ	فمرّت وقد أحيا تَنَشّقُها الغُلْبا
وجرّت على الأكام أذيالَ بردها	فأرّجَ طيباً نفحها الأفق والتُّربَا
فقلنا شذى ذكر النبى سرت به	وإلا فما هذا الذكاء الذى هبّا
نبىٌ كريم جلّ قدر علائه	وفاق كما لأمجدُه العُجْمَ والعربا
له الشمس والأقمار تعنو مهابةً	ولمْ لا وذاك النور قد خرّقَ الحجْبا
لقد عطّرَ الآفاقَ عرفُ ثنائه	كما طبقت آياته الشرقَ والغربا
على كل ذى مجدٍ وفخر وسؤدد	بما حازه من مُكرمات العلا أربى
نفوس ذوى الألباب تاهت بحبه	فهامت به شوقاً ودانت له حبًا
له البشر طبع والسماح سجيةٌ	وقاصده يلقى البشاشة والرُحبا
(نزلنا) بقرب [1] الهاشمىّ محمد	فنلْنَا به من ربنا القُرب والعتبى
سما مجده(الأسمى)[2] على كل مُرسَلٍ	فلاشك فى عُليّاه كلا ولا ريبا (٦ب)
لقد شفّنى شوق إليه مبرح	فلله دمع فوق خدى هَمَى سَكْبا

(١) كلمة « نزلنا » غير موجودة فى الأصل قدرناها هكذا ، أما كلمة قرب فغير واضحة ، ولكنه أقرب تصور لها .

(٢) غير واضحة فى الأصل وكذا قدرناها .

عليٌ عــهـودٌ للمطايا وثيــقــةٌ إذا أوردتنى ذلك المورد العـــذبا
أقبلُ أخـفـافـا لهـا ومناسـمـاً وأبدلها من جَدْب عيشتها خصبا
فيا نسمة الأسحار من نحو أرضهم فؤادى من تلقاك يستروح الأنبا
عسى نفحات البشر من أرض طيبةٍ ستجبر قلبا قسمته النوى نَهبا
فـفي ظل مـغناهِم غناء نفـوسنا وفى حيهم تحيى نفوس ذوت جدْبا
وكلٌ عليل سَامهُ فـرط بعـده فمن ساحة الأحباب يلتمس الطبّا
وانى على عهدى وحبى ، لم يزل لسانى بأمداحى وشكرى لهم رطبا
عليـهم سـلام الله مـا حنّ شيق إليهم وحثّ السيرَ واستنجد الركبا

(٤)

ومما كـمّل فـيـه الإجـادة ووفّى
وأثنى كل الثناء على شيم المصطفى عليه السلام
قـوله عـفـا الله عنه وشـرح صـدره بمنّه

تركتُ امتداح العالمين ولُذْتُ من مدائح خير الخلق بالعروة الوثقـا
سأجعلها كهفى وحصنى وملجئى لعلى بالأمداحِ أستوجب العتقا [١]
وأشـدو بهـا فى كل نادٍ مـردداً أطارح فى شجوى وأشجانى الوُرقا (٧ أ)
وأنتشقِ [٢] الأرواح من نحْوِ يثـرب فتأرج لِي نفحاً وتعبق لى نَشْقـا
قرارة من أضـحى مـلاذاً وملجـأ وتربة مَن فى المجد قد أحرز السّبْقا
لشـمنا بأوهام العـقـول ترابهـا على نأينَا والوجدُ يَغلبنا [٣] شوقا
إذا ما سرى مِن نحـو طيبـة بارق نكاد من الأشـواق نعتنق البـرقـا
فـمن شيق تَصلَى جـوانحـه لظى ومن واله أكبـاده قُطِّعتْ خـفـقـا
فـأجسـادنا بالغرب تعتنق الأسى وأرواحنا راحتْ بأشــواقنا شرّقــا
قطعتُ زمـانى بالتـذكـر والأسى بلا عيشةٍ تصفـو ولا دمعة ترقا
لئن قطعـتنى عن بلوغى لقـبـره قواطع تَضمينى بأسهمها رشقا

(١) هذان البيتان فى الأزهار هما آخر ما أورد المقرى من شعر ابن الصباغ .

(٢) فى الأصل (وأنت) ولا ندرى هل هى أنتسم بمعنى أتنسم أو هى أنتشق .

(٣) الياء مضمومة ، وهى توهم أن الكلمة « يقلقنا » ، لكن الحرف « الثانى » أقرب إلى الغين المعجمة ، ومعنى « يغلبنا » أنسب للسياق .

فمالىَ من حَوْلٍ سوى الدمع والأسى عسى منجدُ السُّباق يعقبنى لَحْقَا

(٥)

ومن كـلامـه المختـار
فى مدح المصطفى المختار عليه السلام
قـوله كـرم الله نزله فى دار القـرار

تَنَعَّمْ بذكـر الهـاشمىّ محـمـدِ فـفى ذكـره العـيش المهنأُ والأُنْسُ
أيا شـادياً يشـدو بأمـداحِ أحـمـدِ سَمَاعك طبٌ ليس يعـقبه نكسٍ
فكرِّرْ رعـاكِ الله ذكـر مـحـمـدٍ فقـد لذّت الأسمـاع وارتاحت النفس (٧ ب)
وطاب نعـيمُ العـيشِ واتصل المُنَى وأقبلت الأفراحُ وانتعش الحسُّ (١)
ألا فـاسـمـعـوا فـخراً تأثّلَ مجـده وقـد عزّ أن يُلْقَى له فى الورى جنسٌ
لقـد عجزت عن أن تحيط بوصـفـه وأمـداحـه الأقـلام والنفس والطرس
أيا سـامعى ذكـر الحبيب تأهبـوا وقوموا بنا نشكو فقـد سامنا اليأسِ
وقـوفاً على الأقـدام فى حقّ سـيـد تعظِّمه الأمـلاك والجنُّ والإنسِ
وتعنو له الأفـلاك عـزاً وهيـبـةً إذا ما بدا والنجمُ والبدرُ والشمس
وتشتـاق ذكـراه النفـوس فـتنثنى بأطرابهـا سكراً ومـاجنُهـا كـأس
فـيـا جـملةَ العشـاق أين ولوعُكم فـشـهـرتكم فى حبِّه ما بهـا بأسِ
ألا فـاطربوا أنسـاً بحب مـحـمـد فـقـد لاحت الأنوار وارتفع اللّبسِ
فكلٌ له عرس بذكـر حـبـيـبـه ونحن بذكـر الهـاشمىّ لنا عرس

(٦)

ومن بديع نظـمـه وشـعـره
فى شرف النبى عليه السلام وفخره:

سـأنظم من فـخـر النبى مـحـمـد لآلِئَ لا يبلى جـديد نظامـهـا
تضـوّع طيبـاً (٢) عرفـهـا فكأنه تَضَوَّعُ أزهار بدَت من كـمـامـهـا

(١) أقرب احتمال لقراءتها هو ذاك ، وبها غموض فى الأصل .
(٢) الكلمتان من الأزهار .

سجايا أبَتْ إلا السماكين منزلاً فـفـاق على العلّيا عُلُوُّ مقامها (٨ أ)
خلال إذا لاحت[1] قباب لذى علىً تنيف فتعلوها قِبَابُ خيامها
إذا يمّموا يوماً إمام مكارم فأحمدُ قد أضحى أمامَ إمامها
فكم ذو[2] علىً أو ما لدرك مقامها[3] فمرَّ ولم يدرك مرامي مرامها
وكم ظامىءٍ قد رام يروى بريها فآب وقد أضحى عليل أوامها
لذاك العلى شوق بقلبى مخيِّمٌ وقد سوّفت نفسى بطول مقامها
فلله عين لا تمل بكاءها وقد حرّمتْ فيه لذيذ منامها
ونفسٍ علي بعد الديار قريحة تطارح فى البلوى حمَامَ حمامها
وعمرٍ مضت أيام شرخ شبابه وقد قدّ صرف الدهر غصنَ قوامها
فيا نسْمَةَ الأسحار من نحو يثرب ألمّ بنفسى قد ذوت بضرامها
ويا حادىَ الأظعان نحو قبابهم ألا فاخصصِ العلّيا بطيب سلامها

(٧)

ومن نظمه البديع الرائق
فى أمداح خير خلق الخالق
قوله متعه الله بالفضل الجزيل والمن الحفيل :

إذا ذكرت أمداح مجد محمد فنشرُ فتيق المسْك والنّدُّ ينفحُ[4]
وإنْ تُليَتْ آيات فخر علائه فأطيارُ دوْح الشوق والوجد تصدح[5] (٨ ب)
لذكر جلال الهاشمىّ محمّد تميل قلوب العاشقين وتجنح
وكلُّ محبٍّ إن سرى ذكر حبه يميل كما مال النزيف المرنّح
وتبدو عليه عند ذاك شواهد وكلُّ إناءٍ بالذى فيه يرشح
إذا كمِنَتْ فى القلب نار محبّةٍ فزندجواها بالتذكر يقدح
ألا صرّحوا فى حبه بوداده فليس محبّاً مَنْ بوجْدٍ يلوح

(١) فى الأصل غير واضحة ، وهذه أقرب قراءة لها .
(٢) كذا فى الأصل .
(٣) غير واضحة وهذه أقرب قراءة وربما كانت مرامها ، لكنها تكون تكراراً لما فى الضرب .
(٤) مطموسة فى للأصل .
(٥) ساقطة فى الأصل

وقوموا لدى ذكر النبيّ تواضعاً ... ففى كفّه الحصباءُ أضحتْ تسبحُ

إذا ذكرتْ أمداحِ فخر ذوى الدُّنا ... أرى كلَّ نفسٍ بالتخدُّم تسمحِ

فكيف بذكرى من طما بحر فخره ... وكلُّ وجيهٍ فيه قد ظلَّ يسبح

نبيٌّ لواءُ الحمد فى الحشر ظلُّه ... وكل نبيٍّ تحتَه ليس يبرح

سبى الإنسَ والأملاك والجنَّ حبُّه ... فكلٌّ له شوق إليه مبرِّح

فأهلاً بقوم إنْ جرى ذكر أحمدٍ ... يرى لهم عند السماع ترنّح

فطيبوا بذكر الهاشمىِّ محمدٍ ... وجولوا بنادى ساحة الوجد واسرحوا

فما العيش إلا بالحبيب وذكره ... ودَعْ كلَّ ذى غىٍّ عن الحق يجمح

عليه[1] سلام الله ما أذكت النوى ... له نار شوقٍ بالجوانح تلفح

---

(١) ساقطة فى الأصل

(٨)

(٩ أ)

وممـا شكـا فيـه الوجـد والجـوى
وتألم مما كـابده من حمـل النوى
قوله عفا الله تعالى عنه وسمح له عنه وفضله

رسالةُ مشتاق أضرَّ به الوجدُ ... يضرِّمه ما بين أضلاعه البعدُ
حليف صبابات على البعد والنوى ... به لم تزل أشواقه نحوكم تحدو
نأى عنكم بعداً وفي مضمر الحشى ... تلهّب أحزان يصعّدها الوجد
رمته النوى عن قوس بعد وذلة ... بأسهم أشجان يسددها الصدُّ
تميل به الأطراب شوقاً إلى الحمى ... وتعطفه الأشواق إنْ ذكرت نجد
مناه على بعد الديار وشحطها ... زيارتكم لو أنه يسعد السعد
مقيم ولكن قلبه عنه راحل ... ففي خده من دمعه أبداً خدّ
خطوب الليالي ثبّطت جدّ عزمه ... فها هي في أقدام إقدامه قيد
هنيئاً لقوم يمّموا أرض يثرب ... فحازوا ثواباً ليس يحصره الحدّ
ولله أجداث تعطّر تربها ... فنمّ ذكاءً مثلما نفح النَّدُّ
بها خيّم الإعظام والحلم والندى ... وفيها أقام الفخر والحمد والمجد
لئن حالت الأيام بيني وبينها ... وقصّر بي عمري ولم يسعف الجهد
فما لي (من)[١] حول سوى الدمع والأسى ... عسى لمحة من برق لطف الرضا تبدو (٩ ب)
فيا حادي الأظعان بأمل طيبة ... تحمّل شكاياتي تكنفك الرشد
إذا جئت هاتيك الربوع مسلّماً ... فأبلغهم أني بذكرهم أشدو
ومازلت أرجوهم على البعد والنوى ... فلايك حظي من نوالهم الطرد
فإن كنت مقصياً[٢] فما عنهم غنىً ... وإن كنت مطروداً فما منهم بدّ
لمن يشتكي المشتاق يا خير مرسل ... ومن [illegible] يلتمس الرفد

---

(١) ساقطة في الأصل .

(٢) في الأصل بضم الميم ، والصواب فتحها « مَقْصيًا » اسم مفعول على غير القياس .

جنابى مهيض أرتجى منك عَضْدَهُ — وكيف يضامُ من له منكُمْ عَضُدْ
فكنْ لى شفيعاً فى ذنوبى إنها — تَعَاظَمِ حصْراً أن يحيط بها العَدُّ
عليكم سلام الله ما هبّت الصبا — وماست بدوح البانة القضبُ المُلْدُ

(٩)

ومما حث فيه سُرى السباق
وحضٌ على زورة الهادى إلى الوفاق:

حُثَّ الركاب إلى الشفيع فقد ذوى — روضُ الشبيبة وانحنى غُصْنُ القُوَى
وانهض إلى تلك المعالم قاصداً — فبتُرْ بها تشفى تباريح الجوى
أوَ ما سمعتَ حمامَ دوحِ العمرقد — غنّى بألحان التباعد والنوى
نادى على فَنَنِ الفناء منبّهاً — فأصمَّ سَمْعَكَ ما بقلبك من هوى
عجباً لقلبٍ لا يزال مروَّعاً — فى كل يومٍ بالفراق وما ارعوى (١٠ أ)
فى كلِ يوم فقدُ أحباب ، لقد — أمضي النوى فى أهل ودّى ما نوى
يا ويحَ ملتهبِ الجوانح حسرةً — فى قعرِ بحرِ هوى التشوق قد هوى
ظمآن قد روّى الثرى بدموعه — أسفاً على بعد الديار وما ارتوى
يطوى الضلوع على التأسف والأسى — فيظلُّ دمعِ العين ينشر ما طوى
يرجو ويأمل والخطوب قواطِع — فبدينه مطْلُ الليالى قدْ لَوَى
كم رام أن يحظى بزورة معلَمٍ — المجدِ والإعظام فيه قد ثوى
فثناه عن مقصوده ومرامه — خَطْبٌ حشاه بالتنائى قد كوى

(١٠)

وله فى التعلل بمسرّى الرياح
والاهتزاز إلى تحميلها رسالة الارتياح
قولُه نفعه الله تعالى بالخضوع والصلاح بمنه

هل فى الرياح إلى الحبيب رسولُ — فالقلبُ مُضْنِيٌ والفؤاد عليل
بالله يا ريح ابلغى أهلَ الحمى — أنَّ الجوانح حشوهن غليل

يا نازحين وفي الفؤاد خيالهم ... أمَدَ اللقا هل لي إليه سبيل؟
ما لي أرى غيري [1] يفوز بقربكم ... ووصالكم ما لي إليه وصول
هذا نزيلكم ألمّ ببابكم ... يبغي القِرى من نيلكم فأنيلوا [2] (١٠ ب)
أضحى بساحات الخيام مخيّماً ... يشكو وشكوى المستهار تطول
ألِفَ الشجون فؤاده فشعاره ... لما هجرتم أنّة وعويل
يعتاده عند الأصائل هزة ... طرباً وتثنيه الصبّا فيميل
تشجيه آثار الطلول إذا بدت ... وتهيجه عند الصباح هديل
طالت لياليه فطال عناؤه ... وكذاك ليل المستهام طويل
يبكي معالم قُدِّستْ آثارها ... فمتى يتاح له بهنّ مَقيل
كم بات في روض الرضا يجني المُنَى ... ولأنسكم ظلّ عليه ظليل
حتى رمته يد النوى فأصابه ... سهم يسدده البعاد قتول

(١١)

وله عفا الله تعالى عنه يرتمض من نقض العهود
ويشفق من طول أمد الصدود
وهو من النظم الفائق للدرّ الرائق

ما لي أراك مُولّهاً محزوناً ... مُضنَى الفؤاد وقد ألفتَ شجونا
إني أظنك قد نكثت مواثقا ... أرضيت نَقْضَ العَهْد ويحك دينا
فاقرح جفونك بالمدامع حسرةً ... فلكم أقمت على الخلاف سنينا
وامنح [3] زمانك حسرةً وتأسفاً ... وتلهفاً وتوجعاً وحنيناً (١١ أ)
وادرك بقية عمرك الماضي فقد ... ضيّعتَ علقاً يا جهول ثمينا
ولتبكِ نفساً لو علمتَ نفيسةً ... واجعل لها الدمع المَعين مُعينا

---

(١) في كلمتي « أرى غيرى » بعض تآكل ، وهذه أصح قراءة لهما .
(٢) الكلمة مطموسة في الأصل ، ورجحنا قراءتها هكذا بقرينة « نيلكم » قبلها .
(٣) يبدو آخر الكلمة في الأصل حاءً مهملة فرجحنا قراءتها « امنح » لتناسب « اقرح » في أول البيت السابق ، وليس يبعد أن تكون « واقطع » وشكل الطاء بادٍ كذلك في بقايا الكلمة .

لا غـــروَ أن الدّمعَ يَشــفى سَحُّهُ ... داءً غـــدا وسط الفــؤاد دفـينا

حَسِّنْ ظنونك والتــزمْ أبوابهم ... واجــعلْ شـعــارك زفـرةَ وأنيناً

لا تيـأسـوا فـعـسى ينادى عطفهم ... إنا عــفــونا عنكم ورضـــينا

(١٢)

وبما نظمه متحسراً على فقد شبابه
وتضييع ريعان زمانه وعدم إيابه
قوله نضر الله وجهه يوم مآبه :

واحـــسـرتا ممّا تكنُ جـوانحى ... ولّى شـبـاب بالزمـان الصـالح

ساعـاتُ تجْرٍ قـد تصـرّم وقتـهـا ... مـا كنت فى أسـواقـهـا بالرابح

ضيعتُها جـهلاً وما تضييعها ... من فـعلِ ذى عـقلٍ سليم راجح

واها لـقلبٍ نائم مـــتكاسلٍ ... سكرانَ من خمـر التغافلِ طافحِ

قلبٍ على طرق الغـوايةِ عـاكفٍ ... أبداً وعن سبل المصـــالح نازح

يارب عطفـــاً منك يجبره ويهـ ... ـديه لنهج طريق رشـــد واضح

(١٣)

وله عـفـا الله تعـالى عنه يذيل على البـيت الأول من هذه القطعـة، (١١ ب)
وهى مما جـــمع فـــيـــهـــا بين القـــوة والصـنعـــة
(وأخذ)[1] يحث فيها مطىّ العزم ويستنجد خاطر الجدّ إلى الصبر[2] والحزم :

إليكم رحلْنا لا لِربْعٍ ومـــعــهـد ... فأنتم محلُّ الأنس فى كل مشـهدِ

جـعلنا مطايا العـزم دمـعـاً وزفـرةً ... قَصرنا وأعـــلام الديار بمرصـــد

نتيه بقفر[3] الوجدِ طوراً بحبكم ... ويَحدو بنا الأشـواق طوراً فنهـتـدِى

إذا غـرّدت فى الأيكِ ورق حـمـائمٍ ... حننت إليكم لا لصــوتِ المغــرِّد

وإن قـــصـــد الورّاد يومـــاً لموردٍ ... فلى عند ذاك الربع أعـذب مـورد

---

(١) بياض فى الأصل .

(٢) أرجح قراءة لها مع عدم وضوحها

(٣) أقرب قراءة لها .

وإن جرَّدَ السُّباقُ أسيافَ عزمةٍ … فأنتم وإنْ أُخِّرْتُ قبلةَ مقصدى
وإن قرَّبوا فى الحبِّ نحوكَ قربةً … فنفسى قربانى وهَدْيى تَوَدُّدى
إذا ما حدا حادى الرفاقِ مزمزماً … ذكرتُ الذى قد بانَ من عهدِ موعدى
لقد حُلْتُ [1] حتى إنَّ حالى فى الهوى … لتَرثى لها مما ألاقيه حُسَّدى
فمَنْ فى انسكابِ الدمعِ والحزنِ والأسى … وبثَّ شكاياتِ التباريحِ مُسْعِدى
فما راحةُ المشتاقِ إلا دموعه … إذا لم يطقْ فى الحبِّ حَمْلَ التَجَلُّدِ
سأجعلُ سَحَّ الدمعِ شغلى وشا[...]ى [2] … لعلى أن أحظى بوصلٍ مجدَّدِ
فياربِ بالمختارِ من آلِ هاشمٍ … أَنِلْنىَ [3] ما أرجوه من قربِ أحمدَ (١٢ أ)
وجدِّدْ صلاةً ماترنَّم طائرٌ … عَلَى الطاهرِ الأزكى الشفيعِ مُحمَّدِ

(١٤)

وله يتأسف على شبابه الماضى ويبكى زمان
البعد الحاكم عليه بجورِه القاضى
طارح فيه – عفا الله عنه نائح الفنن
وله السبق فى شأوِ هذا السَّنَن:

يا نائحَ الأفنانِ طارحْ مُكْمَدَا … قد خُدِّدت بالدمعِ منه خدودُ
يبكى على ما منهم قد فاتَهُ … هيهاتَ لو أنَّ البكاءَ يعيدُ
لا كانَ دهرٌ بالبعادِ قد انقضى … بالحزنِ موصولٌ عليه جديدُ
ساعاتُ عمرٍ ضرَّمَتْ حسراتُها … ناراً لها بين الضلوعِ وقودُ
لله عصرٌ للشبابِ قد انقضى … لو ساعدتْ فيه المرادَ سعودُ
عزَّ العزاءُ فَمَنْ لقلبٍ مُكْمَدٍ … يضنيه بعدٌ منكمُ وصدودُ
عودوا عليلَ بعادِكم فزمانُه … عرسٌ إذا ما عدتموه وعيدُ
وإذا رفضتم قربَه ووصالَه … فالعيدُ عند المستهامِ وعيدُ

---

(١) أقرب قراءة لها ويعضدها قوله « حالى » بعدها .

(٢) تآكل فى الأصل ، وهذه أنسب التقديرات لأسلوب ابن الصباغ .

(٣) فى الأصل عدم وضوح .

لا تنكروا أن البعاد بميته ... ... (1)

تالله لابرح العميد ممرّغاً بالتُّرب خداً والدموعُ تجودُ (١٢ ب)

أسفاً عليّ ما كان منه وحسرةً فعسى الليالي بالوصال تجودِ

فيحل دوح مقام روضات الرضا وبعفوكم ظِلٌ عليه مَديد

(١٥)

وبما نظمه بلسان الخضوع

معبّراً عمّا بقلبه من الولوع

قوله عفا الله عنه ونفعه بالخشوع:

ذليلٌ دمع مقلته دليل على أن الحشا (منه)[2] عليلُ

ألَمّ ببابكم يبغي شفاءً لداء البعد فهو له قتولِ

أيُخصِب روض أهلِ القرب منكم ويَمْحَق روضَ آمالي المُحول

ويكتُب بالظُّهور لهم ظهير ويمحو خَطَّ خُطَّيَ الخمول

وتسقيهم رحيقاً سلسبيلا ومالي نحو مشربهم سَبيلِ

لئنْ فازوا بِقربكم وتاهوا ولَذَّ لهم بساحتكم مَقيل

وغيّب شِمس وُصْلتِي انكساف وأعقب بدرَ تقريبي أُفول

فشافع ما اقترفت هو ان ذُلِّي وأعظم شافع أني ذليل

أنيلوني رضاً منكم وقُرباً وحاشَى مَجْدِكم ألا تنيلوا

لئن قَطعتْ [3] سبيل الوصل عني خطوب شرحها عندي يَطول (١٣ أ)

فحسبى أننى عبْد قَطوع وحسبى أنك المولى الوَصول

بحق جلالكم وجمالكم لا تذيقونى النوى فبكم أصُول

أجيرونى وأحيوا موت قلبى وأدْنونى [4] وزلاتى أقيلوا

---

(١) البيت كله متآكل تقريباً إلا « لا تنكروا » وما أضفناه اجتهاد .

(٢) ساقطة فى الأصل .

(٣) فى الأصل بعض انطماس .

(٤) فى الأصل بعض انطماس .

(١٦)

وممّا نظمه مُرتمضاً لهجران أحبابه ومقرّراً تعلّقه بحفظ العهد وأنْ قطع الصبرِ من السلوان جملة أسبابه قوله نضّرَ الله وجهه فى مآبه :

ما فى الفؤاد –وإنْ هجرت– سواكا ... كلا ولا فى فِي القلب غيرُ هواكا
يا هاجراً أضنى المتيّمَ هجره ... قُلْ لي متى يدنى الرّضا مضناكا
فوحق حبّكِ لا يفارقنى الضّنا ... حتّى أرَى متفيئاً بذراكا
فاهجرْ وعذّبْ بالبعاد حشاشتى ... فأسيرُ حبّكَ لا يروم فكاكا
هذى دموعى حسرةً تهمى على ... ما فاتني من نيل قرب رضاكا
يا هائماً بهواهم عرّس بهم ... ولْتفنِ فى عرصاتهم محياكا
فعسى أوارك أن يعلّ بنهلةٍ ... تطفى لهيبا من غليلٍ ظماكا
يا متلفِي وهواه بين جوانحِي ... رفقاً بمضنى لا يطيق حراكا (١٣ ب)
خذلته دعواه وعزّ نصيره ... فمتى تجمّع شمله لقياكا
فارحمْ حليفَ مراقدٍ كم بات فِي ... ظُلَم الدياجى معلناً بنداكا
هجرَ المنام وبات يسكب جفنه ... سحّ الدموع بساحتىْ مغناكا
تالله ما يشفى تلهّفه ولا ... يرى ضناه غير قرب لقاكا

(١٧)

ومما أنشد بلسان الخجل علي أقدام الوجل قوله بلّغه الله تعالى جميع السُّول والأمل :

أراك حول خيام الحى مُختبّلا ... حيرانَ تومى إلينا خائفاً وجلا
تبكي وتشكو لنا ما قد جنيتَ وقدْ ... أحدثْتَ حين هجرتَ الحادث الجللا
نأيتَ عنّا وقد نويت (١) هجْرتنا ... ونحن لم نعتقد هجراً ولا مللا

(١) النون والواو فيهما محو فى السطر ، وأعيدت كتابتهما فوق المحو .

أحين لم تُلف في أبيـات حَيِّهمُ ... حـيـاً ولا في منازل الرِّضـا نُزُلا

أَتيْتنا لائذاً بالفـضل تعـثـر في ... أذيال ذُلِّ الجفا مـسـتعبرا خَجِلا

إنا لنقـبل من يأتي إلينا على ... مـا كـان من علل ونغـفـر الزَّلَلا

. . . . (١)

أليس عـاراً على مَنْ قـد بذلنا له ... ودادَنا أنْ يُرَى بغـيـرنا جَذِلا (١٤ أ)

كم قد دعوناك للإحسان تكرمة ... وكم بعثنا إليك الكتْب والرُّسُلا

فـإن تعدْ للوفـا عـدنا إليك وإنْ ... تخن فـإنك ممّن يرتضي المَلَلا

كم من مُريد على أبوابنا خَجِلٍ ... يبثُّ أحـزانَه ويشـتكي العِلَلا

لم يجن أزهار روض القرب كلا ولم ... يشـرب بكاسـاتنا علاً ولا نهـلا

وأنت بالغدر موسوم (٢) ولكن مع الـ ... أحيان وجه الرِّضى يدعوك مبتهلا

قم وانتهز فرصةً إن كُنْتَ ذا فِطَنٍ ... وانهض فإنَّ رقيب الحيِّ قد غفلا

(١٨)

ومما أمـلاه بلسـان الاكـتـئـاب
في حـالة التـبـاعـد والاغـتـراب
وباح بما يلقاه من الأشجان والأوصاب دمع له على خدّ حزنه صاب
رعى الله تعـالى له هذه الأسـبـاب: (٣)

مُحِبٌّ بَراه الشوق بالمغرب الأقصى ... يناديكم ريشوا جناحي فقد قُصّا

سقته الليـالي كـأس ذلٍّ ومهنةٍ ... فأصبح لا قبض لديه ولا قبصا (٤)

يزيد بنقص العمر ضعفاً وشيبةً ... وتـلـك زيـادات تُكَسِّبُه نقصا

جليدٌ على حكم الملمات صابرٌ ... له أنة ترقى ولست ترى شخصا (٥)

وقـد قَصَّ بلواه وأهمَلَ دمعه ... فهل عطفةٌ منكم فيقبل ما قَصّا (١٤ ب)

---

(١) البيت ذاهب أكثره من المخطوط .

(٢) في الأصل « مرسوم » وهو تحريف .

(٣) خمس الشاعر هذه القصيدة ، انظر ص ٩٩

(٤) أكثر البيت ذاهب من الأصل هنا ، وأكملناه من التخمين في ص ٩٩

وكم لوّحتْ بالوجد فيك رُموزه (١) فلمّا تناهى الشوقُ بيّنت النّصّا
وقد لاذ بالباب افتقاراً وذلّةً فكيف له في شرعة الحبّ أن يُقصى
إذا هبّ من روض الرضا عرفُ نفحةٍ تمايلَ فاهتزت معاطفُه رقصا
ستقطع بيد الحبّ أينقَ وجده ويعملُ في مرضاتك الوخدَ والنّصّا
فبي من غرامي فيك وجدٌ مبرّحٌ وأشواق قلبي لا تُعدّ ولا تُحصى
لعلّك تحيي دراسات رسوم من بريقه هجران الأحبّة قد غصّا
فيمنح بالتقريب أُنساً ورفعةً ويصبح من بعد التباعد مختصا

(١٩)

ومن نظامه في التذلل
والتقلب على جمر الخوف والتململ
قوله : أنجح الله له هذا التوسُّل
وهو من النظم البديع عند التأمُّل

أعفّر في الثرى خدّاً ذليلا وأسعد في نياحته الهديلا
فخوفي من قطيعتكم براني وأورثني المذلّة والخمولا
. . . . (٢)
شفيعي عندكم ذلّ افتقاري وأني قد حللتُ بكم نزيلا (١٥ أ)
أيقصى لائذٌ بكمُ معنّى وكيف وظلكم أضحى ظليلا
فجودوا لي بتقريب وأدنوا قصياً يرتجي منكم وصولا
لئن أصبحت محجوباً فما لي سوى أن أذرف الدمع الهمولا
متى يدنو لمغناكم فيجني بروض الأنس والقرب القبولا
فواكبداه من نار الأسى كم تضرّمه وتذكيه غليلا
على أيام عمرٍ قد تولّت وأبقتْ في الفؤاد جوى دخيلا
فهل من مسعدٍ لي في انتحابي فيسعدني وأسعده طويلا

---

(١) غامضة هنا ، واستوضحناها من التخميس في ورقة ص ١٠٠
(٢) البيت متآكل أكثره هنا .

عسى نفحاتُ روضَ الجود تسرى — فـيُحْيى نَشْقُهـا صبّاً عليـلا
خـذوا بيـد الفـقيـرِ فليس يرجـو — سـواكم فى تحيُّره دليـلا

(٢٠)

ومن نظمه المُكَمَّل المُوفَّى
فى النبى عليه السلامُ المقرب المصطفى
قوله جزاه الله تعالى الجزاء الأوفى

ألاهل لصبٍّ يرتجى أمَدَ اللقـا — وصول إلى الهادى إلى الرشد والتقَى (١)
. . . . — . . . .
بأمداح خير الخلق أُعْنى .... (٢) — وأنشرها فى الأرض غرباً ومشرقا (١٥ ب)
له الشرف السامى على كل مَفْخَرٍ — به قد حوى أسنى المراتب مطلقا(٣)
فلا فخر أعلى من فخار محمدٍ — ولا عـزّ أسـمى ولا مَجْدَ أسْبَقَا
سبـقنا به كل الورى لا محـالة — ونلنا به فى ذروة المجـد مرتقى
بحُبِّ رسـول الله طاب نعيـمنا — وطبنا ولا نخـشى به أبدا شقَا
لقد طال شوقى للحبيب وقبره — فيا ليت شعرى هل يتاح لى اللقا
تميل بى الأشـواق حبّاً لذكـره — إذا مـا سرى برق العذيب وأبرقـا
ويطربنى لحن السـمـاع فـأنثنى — كـأنّى غُصن بالصـبـابة أورقَا
لقد صدعت قلبى حمام حمى اللوى — وصـيتـونى بُعداللقا بَعْدهم لقَى
فـواحـسرتا إنْ لم أفُز بوصـالهم — وواأسـفـا إنْ لم يكن لى ملتـقى

(٢١)

ومن نظمه فى نسـيم الأسـحـار
وشـميم الرياحين العـاطرة والأزهار
قـوله بلّغة الله رتبـة عـبـاده الأبرار

---

(١) البيت مطموس فى الأصل أكثره .

(٢) فى هذا الشطر غموض فى الأصل .

(٣) أقرب قراءة للكلمة ، وهى منطقية لا شعرية .

وهى من كلامه النفيس المنتقى المختار [١] :

مرُّ النسيم مع الأسحار يشجينى [٢] ... ونغمةُ الوُرْقِ فى الأفنان تُفْنينى

والآسى والورد والخيرى ينعشنى [٣] ... والأقحوانَ مع النسرين تسبينى (١٦ أ)

وفى صبا الريح إن هبَّت يمانيـة ... عرَّف عرفنابه نشـر الرِّياحين

ورقَّة البثِّ والشكوى تهيـجنى ... وبالصـبابة والأشواق تغـرينى

أصبحتُ أسحبُ ذيلى فى الهوى مرجاً ... مـوله القلب فى عـرض المجانين

أصبح بين خيـام الحىِّ باسمهـم ... رقُّوا لملتـهب الأحشـاء محـزونِ

مـا إنْ له ملجـأ إلا جنابكم ... إنْ تطردونى فمن فى الخلق يؤوينى

أو ترحمونى فكم من عطفةٍ لكم ... إليكم بجـميل اللطف تدنينى

أوليـتنى مِنناً جلَّت مـواهبـها ... فاستصحب الفضل فيما كنت تولينى

ما لى شفيع سوى ذلى ومسكنتى ... فلترحم اليوم مسكين المساكين

صلوا وصدوا فما شئتم أشاء وما ... ترضون من محنتى فى الحبِّ يرضينى

متى أرَى فى ظلال الوصل أرفل فى ... ثوب التدانى وداعى القرب يدعونى

لأهجـرنَّ الورى طرّاً وألزم مـا ... حـيـيت بابكم فـذاكم دينى

معفَّر الخـدِّ فى ترب الديار فـلا ... شئ سوى قربكم فى الدهر يسلينى

قربت نفـسى قربانا وليس سوى ... نفسى ووجدى جعلت [٤] اليوم سكينى

فلتقبلوا إن قبلتم فى الهوى قربى ... وباسمكمْ عند أخذ الروح غنونى [٥]

فالقتل فيكم حياة لا نفاد لها ... والفقد فيكم وجود العيش فأحيونى [٦] (١٦ ب)

---

(١) خمس الشاعر هذه القصيدة فى ص ١٠٣

(٢) فى الأصل هنا غموض ، ونقلناها من المخمس ص ١٠٣ ، وكذلك « تفنينى » فى آخر البيت .

(٣) فى الكلمة غموض فى الأصل ، ويصح قراءتها ينعشنى أو تنعشنى وكذلك يسبينى أو تسبينى فى آخر البيت .

(٤) مطموسة ونقلناها من ص ١٠٥

(٥) هذا الشطر مطموس ، ومنقول من ص ١٠٥

(٦) هذا البيت متآكل أكثره فى الأصل ، ونقلناه من التخميس فى ص ١٠٥

(٢٢)

ومن نظامه في شكوى الهجران ،
والرغبة في الوفاء بعهد الموعد الذى قد كان،
قوله ألحفه الله تعالى الرضوان :

لا تتركوا المشتاق نهباً للعدا — في قفر هجركمُ وحيدا مفردا
إن تخذلوه فما له من ناصرٍ — أو تبعدوه تسلموه للرُّدى
ولقد وعدتم أن تعودوا سقمه — فنبذتموه في شكايته سدى
والآن أحوج ما يكون فهل له — من عودة بعيادة تشفي الصدى
مهجوركم أضحى ذليلاً واقفاً — بالباب يرجو الجود منكم والجدا
إن تسمحوا بقبوله وبقربه — من وصلكم كان السعيد الأسعدا
يا مالكى قلبى ونفسي في الهوى — أيكون حظى منكم أن أبعدا
هذا فؤادى قطَّعته يد النوى — فغدت ضلوعى للصبابة معهدا
فالحزن تنشدنى حمام حمامه — في دوح أشجان البعاد مغردا
انزف دموع العين في عرصاتهم — واجعل ربوعهم لوجهك مسجدا
(واصبر على)[1] سح الدموع فإنها — تدني إلى وصل الحبيب مبعّدا

(١) أول البيت مطموس ، ولعله كما أثبتنا .

يا مـــفـــرداً فى عـــزّه وجـــلاله
صلْ مفرداً فى الحزن يحيى مكمدا (١٧ أ)

إن تطردوه فـمـا له من حـيلة (١)
إلاّ جنابكم فـــذاك تعـــوّدا

فـإذا سرتْ نفـحـات نافحة الرضـا
يهـتـز كـالغـصن القـويم تأوّدا

اسم الحـبـيـب وذكـره يحـيى به
مـهـمـا يسـير مـغـوّراً أو منجـدا

فـيظلُّ ولهـاناً بحب حـبـيـبـه
يختـال فى ثوب التـواجـد منشـدا

صبٌ تولّه فى الوجـود بحـبـه
وحبيبه فى الحسن أضحى أوحدا

(٢٣)

ومما حرض فيه على لزوم الأبواب
والاعتكاف على خدمة الأحباب
قوله عفا الله عنه يوم الحساب:

لا تبغِ عن باب الحـبـيـب براحـاً
والشـم ثراه بُكْرة ورواحـــا

عفّر بترب الدار خـــدك والتـــزم
مـا عـشتَ فـيـهـا أنةً ونواحـا

طارِح حَمامَ حِمى الأحـبـبـة نادبا
وامزج بفيض دموعك الأقـداحـا

واجـــرح بماء الدمع خـــدّك إنّهُ
جرح يعانى (٢) فى الفؤاد جراحـا

قف بالربوع وناد (٣) فى عرصـاتها
واسـمح بنفسك كى تنال ربّاحـا

وإذا سكرت بنبـرة (٤) الحب التى
تهـدى السـرور وتذهب الأتراحـا

(فـاذهب) لحـيـهـم ولُذْ بجنابهم
واجعل سماعك فى الوجود صياحا(٥) (١٧ ب)

---

(١) فى الأصل محو يبدو منه شكل الحاء المهملة ، فقدرنا « حيلة » ولعلها « جنّة »

(٢) كذا فى الأصل ، ولعلها « يعافى » كأنه يريد أن الدمع يشفى جراح الفؤاد .

(٣) الدال ذاهبة من الكلمة .

(٤) أقرب قراءة ما أثبتنا ، ففى البيت التالى كلمة « سماعك » ، لكن شكل الحروف يعطى قراءة إضافية « نسمة » .

(٥) أول كلمة ذاهب فى الأصل ، والشطر الثانى غير مفهوم .

لا لوم للسكران فى شرع الهوى إن فاه بالسر المصون وباحا

واستروح الأرواح من تنظيمهم [1] وزها بروض وصالهم وارتاحا

أرواح أزهار الوصال إذا سرت تحيى بنشق نسيمها الأرواحا

قم فانتشق إن لم تكن بك ر... ريح الحبيب فعرفه قد فاحا

ولنبتكرها قهوة تشفى الجوى وتعيد أحزان الورى أفراحا

من كرمة التكريم قدماً كُوِّنت فاشرب بها كأس الوصال مباحا

أفنت نضارتها نظار [2] ذوى النهى وتوقدت وسط الدجى مصباحا

هى أسكرت أهل الهوى وكستهم عند التواجد حلة ووشاحا

فتراهم عند السماع كأنهم قُضُبٌ تميس بها الرياح رواحا

من لم يسلّم حالهم فى وجدهم لا شام برق الوصل مهما لاحا

فهم البدور إذا عدمت أهلة وهم الشموس إذا عدمت صباحا

(٢٤)

وممــا نظمه فى الهجران مستلطفا
ومدّ فيه راحة الرّجا لنيل رحمة مستعطفا
قوله منحه الله تعالى براً وتلطفا بمنّه

لما هجرتم واصلت أشجانه وتجدّدت ببعادكم أحزانه (١٨ أ)

لا يعرف الشوق المبرّح والجوى إلا معنّى [3] ضرّمت نيرانه

رسمت بلا بله بصفح فؤاده رسماً بصفحة خدّه عنوانه

إن تسألوا عن أمره أو شأنه فشئونه تخبركم ما شانه

بانت أحبّته وبان عزاؤه وتنكّرت فى عينه أوطانه

لا يستقر على النوى متلهّب خذلته فيما قد نوى أعوانه

أيام هجرك أورثته فجيعة فالدمع يهمى دائما هتّانه

---

(١) كذا فى الأصل ، وفى المعنى ضعف .

(٢) كذا فى الأصل ، ولعلها : نضار ، أى أنفقوا فيها أموالهم .

(٣) فى الكلمة بعض محو .

ياويح ملتهب الجوانح والحشا ... أسفاً على عُمْرٍ مَضَتْ أزمانُهُ
ولّى زمان شبابه عنه وما ... بُلَّتْ بماء شئونه أردانُهُ
لم تبق منه شجونه إلا ذما ... جسم ضئيل يسَّرَتْ أكفانُهُ
فلترحموا في حبكم مستضعفاً ... لحنانكم أضحى يشير بنانُهُ
قد كان من خدامكم لكنَّه ... أقصاه عن أبوبكم خذلانُهُ
لولا تنشّقُ عرّفِ أزهار الرّجا ... لَذَوَتْ بلفح بعادكم أغصانُهُ
لكنّ روض رجائه في عفوكم ... قد نمقّتْ بخلوصه غيطانُهُ
وشَدَتْ بأيكة دوحه أطياره ... وتمايلَتْ طرباً بكم أفنانُهُ
. . . . . فضلكم الكفيل بحفظه ... . دائماً إحسانه (1) (١٨ ب

(٢٥)

ومما نظمه في استيلاء الوجد
عند تنسُّم نفحات نجد
وهو من النظم الذى امتزج فيه الغزل والزهد
فجاء أحلى من الشهد، وقوله وصل الله
تعالى له أسباب النجاح والرشد :

تَنَسَّمْ هذه نفحات نجد ... تأرّج عرْفُها فأثار وجدى
سرت من أرضهم سحراً فخلنا ... فتيق المسك خالط ماء وردِ
وجرّت في مغانيهم ذيولا ... فأهدتْ نحونا أرواح ندِّ
تذكرني صباباتي صِباها ... فتهمي أدمعي سحًا بخدّى
إذا سَجَعَتْ بدوح البان ورقٌ ... أحنُّ إلى مغاني أهل ودى
وإن صدحت بصرحة جزع وادٍ ... يذكرني الوفاء قديم عهدى (2)
فيا شادِىَ الغصون أصخ قليلاً ... أبثُك يا حمامُ أليم وقدى

(١) أول الشطرين غير بين في الأصل .

(٢) البيت في الهامش .

ويا حـادىَ الرِّفـاق [1] ألا فَبَلِّغْ ... سـلامَ فـتىٍ شـجـاه طول بُعْد
يجلُّ غـرامُه عن درك وصـف ... ويعظم شـوقه عن حـصـر عَدّ
دعـاه الشـوق نحـوهم فَلَبّى ... وبات حليفَ أشـجـانٍ وسهد
على مـا فـاته (قـد) ذاب [2] حزنا ... وهلِ حـزن على مـا فـات يجدى (١٩ أ)
وَهبْكم أتكم عنه فصـمتم ... وبلَّغ منكم آمـال قصَد
أيرجع سـالف من عـمـره قـد ... مـضى مـقـرون أوقـات بصدّ
دعـونى أسكب العـبـرات حزناً ... على نفـسى فـذاك الرأى عندى
عـسى مـاءُ المدامع فـيك يطفِى ... لهـيـب تلهُّب يُذْكَى بوقـد

(٢٦)

ومما نظمه فى تضييع زمان شبابه
متحسـراً لفـقـده وذهابه

ضيعتُ أيام ريعـان الشـبـاب وقدْ ... أصبحت أبكى الذى ضيعت فى الكبر
واهاً علىَّ لقـد عـز العـزاء فـمـا ... صنعى وهل راجع ما فات من عمرى
ضـعفتُ عن حلبة السُّباق وأسـفاً ... فـمـا أنا اليـوم فى ورد ولا صـدر
فـاز المخفُّونَ يا نفـسـى بقـربهمْ ... وخـاننى أملى فى سـابق القـدر
أبعدتُ واحـزنى عنهم وقـد قـربوا ... ما قصتى بينهم ويحى وما خبرى
إن لم يكن منهم وصل يتاح فـمـا ... يغنى إذا هجروا خوفى ولا حذرى
يا نفس ذوبى على ما فات منهم أسى ... يا عين سحى دماً قد عيل مصطبرى
ردوا ليـالى أيامى التى سلفت ... عنى لعلّى أن أقـضى بهـا وطرى
. . . . . [3] فضلكم على إحسانكم ... لما صـرفتُ إلى رجـائكم بصـرى (١٩ ب)
وقد برئتُ لكم فى الأمر من حيلى ... فلتـأخـذوا بيـدى إنى على خطر
لولا اعتـلاقى بأسبـاب الرجـا والمُنى ... لفاضت النفس من تلهُّف الضجر

---

(١) كذا فى الأصل ، ولعلها « الركاب »

(٢) كلمة قد غير موجودة فى الأصل ، وكلمة ذاب مثبتة فى يمين الصفحة استدراكاً

(٣) أول البيت غير واضح فى الأصل

وليس لى حيلة أرجو سوى أدمعٍ ينهلُّ وابلها فى الخدِّ كالمطر
إن تسمحوا لى بقرب بَعْدَ بُعْدِكُم إذاً أفوز بنيل الأمن والظَّفَرِ

(٢٧)

ومما مَثَّلَ نفسه فيه مخاطبةً
ونظمه على وجه التوبيخ والمعاتبةْ
فجاء كالمناقشة لها بإشارة الحق والمحاسبة
قوله نفعه الله تعالى بالمراقبة :[1]

حتى متى عنا تصدُّ وتعرض هلا إلى نفحاتنا تتعرَّض
إنْ كان أعباك السقام وطبُّه فالجأ إلىَّ أنا الطبيب الممرض
أقدِمْ علينا يا جبانُ فكم ترى متوانياً فى وَعْرِ غيِّكَ تركض
أو ليس قد راشتْ جناحَكَ أنعمٌ منا فما لك نحونا لا تنهضِ
انزل بساحتنا ولُذْ بجنابنا فنَزِيل حضرة عزنا لا يرفَضِ
ما حلَّ ساحتنآ أناسٌ أعرضوا عنا فلاذوا بالرِّضا إلا رضوا
رفضوك إذ ألفوك غداراً وقد سدوا سبيل الوصْل عنك وأعرضوا[2] (٢٠ أ)
سبقوك فيما تدعيه وأعملوا[3] كرَّ[4] المطايا نحونا وتفوضوا[5]
سهروا ونمت وإنهم مُذ ودَّعوا فينا لذيذَ منامهم ما غمضوا
ورضيتَ ويحك حالة لا ترتضى فصحيفة سودا وفَوْدٌ أبيض
لهم الأساةُ فنادِ فى عرصاتهم أضحى ببابكم العليل فمرَّضوا

(٢٨)

ومما نظمه فى تنبيه الفؤاد

---

(١) لهذه القصيدة تخميس فى الديوان نفسه ص ١٠١

(٢) فى البيت انطماس وبياض فى بعض المواضع وأصلحناها من المخمسة فى ص ١٠٢

(٣) ، (٤) فى الأصل هنا غموض والإصلاح من ص ١٠٢

(٤) كذا فى الأصل « تفرضوا »

من طويل الرقاد وإعمال الغزو إلى باغي
الهوى والجهاد ، وهو مما أحسن فيه النظم وأجاد:
قوله هداه الله تعالى سبيل الرّشاد، ونفعه به في يوم المعاد

نبّهْ فؤادك من طويل رقاده ... واعمل على رفض الهوى وجهاده
شهر الأصبّ [1] ألمّ طارق وفده ... أكرمْ بوفدٍ شفّنا ببعاده
من كان في غيٍّ وطول بطالة ... فلينتبه هذا أوان رشاده
قم ليلة متوسلاً متبتلاً ... ومرتّلاً للذكر في أوراده
خدّدْ بدمع العين خدَّك في الرجا ... واضرع له يكفيك طول بعاده
كم ساهر قد نال فيه مراده ... لكن بطول بكائه وسهاده
في محرابه ... يحكي حمام الأيك في إيراده [2] (۲۰ ب)
كم بات والشوق المبرح في الحشى ... مذْكي لهيب ضرامه بفؤاده
هجر المنام وقام يشكو حزنه ... لو ساعد الإسعاف في إسعاده
جعل السرى ميدانه فتبّتْ به ... خيل المحبة عن وهاد رقاده
يا حسْنه من فارس فرطُ الأسى ... والحزنُ والأشواق من أجناده
ونعمتَ عينا بالمنام وطيبه ... يا غافلاً لم يستعد لزاده
قم فانتهزها فرصة سمحت بها ... ساعات وقتٍ جلّ عن أنداده

(۲۹)

ومما ساقه في نظمه أتمّ مساق
وصاغه صياغة أهل الفراق
فرَقّ معناه بجزالة لفظه وراق ، شام فيه برق
الأصيل وحنّ من الأشواق، قوله عفا الله تعالى
عنه ونضّر وجهه يوم التلاق

إذا لمعتْ عند الأصيل بروق ... تذكّر ذو وجْدٍ وحنّ مشوق

---

(۱) كذا .

(۲) أول البيت غير واضح .

وإن صدحتْ ورقٌ بصرحة أيكة ... فأشواقهُ تحدو به وتشرق
يهيجها ذكر العقيق إذا سرى ... وأين من الصبِّ القصيِّ عقيق
إذا حرّكَ (1) الأظعانَ حادٍ بشدوه(2) ... فقلبي له نحو القباب خفوق (21 أ)
فيا حادي الأظعان رفقاً فإن لي ... فؤاداً علي الشفريق ليس يطيق
أسفتُ لدهر حال بيني وبينهم ... وما خلت أنَّ العائقات تعوق
ترحّلَ أخداني إلى أرض طيبة ... فهل لي إلى ذاك المقام طريق
لقد صدعتْ قلبي حداة جمالهم ... عشية سارتْ بالهوادج نوق
سرواولهم عرْفٌ تأرّج طيبه ... كما شيبَ بالمسك الفتيق خلوق
فيا سائق الظُّعْنِ المثيرة بالضحى ... أفي ظُعْنكم قلبٌ عليٌّ شفيق
إذا جئتم مغنى الأحبة باللوى ... وفزتم بأنوارٍ لهن شروق
سلوا في خيام الحي من أهل وجرة ... متي يلتقي مضنى النوى فيفيق
ألا هل بنادي رمل رامة وقفة ... فتشفي نفوس للحبيب تتوق
فكم نادمَتْ زُهْرَ النجوم صبابةٌ ... وليس سوى دمع الجفون رحيق
فلله قلبٌ بالبعاد محرقٌ ... وإنسانُ عينٍ في الدموع غريق
سَلامٌ على تلك القِباب مُرَدَّدٌ ... كما نمَّ مسك بالعبير فتيق

(٣٠)

ومن كلامه الحسن المختار
في أمداح المصطفى المختار

بمدائح المختار أحمد خير من ... حاز المكارم يبْلُغ المأمول (21 ب)
فمتى أزور معالما ومشاهداً ... يشفَى بها مما أكنُّ غليل (2)
يا حادي الأظعان نحو محمد ... هل لي إلى تلك الديار سبيل
إن جئتَ ساحات الحمى أبلغهمُ ... أن المتيَّم بالبعاد عليل
إنْ لاح برق أو ترنَّمَ طائرٌ ... يهتز شوقاً نحوهم فيميل

---

(1) الكلمتان في الأصل فيهما غموض وهذا أقرب تصور لهما .

(2) في هذا الشطر غموض في الأصل .

فـمـتى يُقرِّب مَنْ بَرَاه شـوقُهُ ... ومتى يتاحُ إلى الحبيب وصولُ
إن بلّغتني للحبيب ركائبي ... أو جدّ بي وخد لها وزميل
قبلتُ أخفافَ المطايا شاكراً ... ويقل في شكرى لها التقبيل

(٣١)

وممـا نظمـه فـي العتـاب
ولام علـى تـرك الجـواب
وشـرح طريق الصـواب قـوله عـفـا
الـلـه تعـالـى عنه فـي المآب

يا من دعوناه وليس بمجيب ... أقبلْ فنادى المكرمات رحيبُ
قسمت على أهل الخلوص مواهبٌ ... وأراكَ مالكَ في الهبات نصيب
ما ذاك إلا أن شربهم صفا ... لهم وشربُكَ في السلوك مشوب
واهاً عليك أتدّعي أخلاقهم ... هيهاتَ قد صدقوا وأنت كذوب
سهروا ونمتَ وفي الجوانح والحشى ... جمرٌ ترى الأكباد منه تذوب (٢٢ أ)
باتوا وثغرُ الدمع يبسم كلما[١] ... قد طال من وجه الظلام قطوب
غسلوا سوادَ أديمه بمدامع ... تهمي سحائب وبلها وتصوب
فأعيد ليلهم نهاراً مشرقاً ... لما أضاءت بالحبيب قلوب
سلموا فصارت حربهم سلماً وكم ... كانت لهم عند النفوس حروب
هصروا بروض القرب أغصان الصفا ... فسرت شمالٌ بالمنى وجنوب
هل في البكاء مع النحيب مساعدٌ ... فيجيبني في نوحه وأجيب
أسفاً على ما قد نرى[٢] من غفلة ... وسهام أسباب المنون تصيب
هل رجعةٌ أو أوبةٌ من قبلِ أنْ ... يأتيك يومٌ للحساب عصيب
كنْ لائذاً بالصالحين وجاههم ... فبهم ستكشفُ في المآل خطوب
إن لم تكن منهم فحالفهم فقد ... يرعى الحليفُ فيخلصُ المسلوب
لازمهم فعساك تنشق نفحةً ... فلنشر أرواح القلوب هبوب

(١) كذا ، ولعلها مثلما ، لأنه لا يصلح « كلما » مع « قد » .
(٢) كذا ، وأظنها « نيا » ليضعها بإزاء « تصيب » .

(٣٢)

وله عفا الله تعالى عنه فى فضل أهل الإحسان
ومـا أعـدَّ الله لهـم من الروح الريحـان
بما أحسنوا فيه من الأعمال وأصلحوه من
الجنّان وهو من النظم الرائق/والقريض الفائق، (٢٢ ب)
الصـالح للانتـفـاع به واللائق

المحسنون بـجـنـة [(١)] الإفـضـال ... قد أنطقـتـهـم [(٢)] الأعـمـال
يتـدللون عليك فى خلواتهم ... متنعـمين بروضـة الإقـبـال
وأرى المسيئين اغتدوا قد ألبسوا ... خِلَعَ الضنا من ذلة الإنكال
أضحتْ تشير إلى مكارم عفوكم ... منهم بنان تأمُّلِ الآمـال
ما حالُ مكتئب ذليلٍ خاضع ... مثل الذى يلقاك بالإدلال
إنّ الرجاء لمن أتاك مؤملاً ... بخلوصِ فاقاتٍ على أوجال
أرجى من الأعمال عندك ، إنها ... بالعدل تُسْلَبُ عن مقام كمال
إن الكريم إذا عفا عنِ مجرمٍ ... لم تبق سيئة له فى الحال
والعدل فى الأعمال لا يبقى لذى ... الحسنات فى الدعوى مجال منّال
فانظرْ إلى تفضلاً وتكرما ... فأنا الغريق بساحة الأوحال
طوبى لمن عَطَفَتْ عليه نَظْرَةٌ ... تقضى له حقاً بحسن مآلِ
يا موجدى بعد انعدامى أخْرَسَتْ ... أحكام أمرِك فى الوجود مقالى
سلمتُ أمرى لائذاً بالفضل إذ ... أنت الذى ترجى لكل نوال

(٣٣)

ومن نظامه فى التلهف على تصرُّم عمره
والتأسف على وداع الصوم وشهره (٢٣ أ)
وهو من بديع نظمه ونبيل شعره ، قوله

---

(١) فيها غموض فى الأصل .

(٢) كلمة « أنطقتهم » غير واضحة وبجوارها كلمة غير مقروءة أصلاً .

بيّضَ الله تعالى وجهه يوم حشره:

لهفي على عمرٍ تصرّم وانقضى | هلْ رجعة فيُعادَ لى ما قد مضى
ردوا لويلات مضين فأضلعي | تحنى جوانحها على جمر الغضا
يا متلفي بصدوده رفقاً بمَنْ | يبعادكم عن وصلكم قد عُوِّضا
فوّضْتُ فيما ترتضيه وإننى | مازلتُ فيما ترتضيه مفوّضا
فامنح رضاك لقاصدٍ بك لائذٍ | مازلتَ تمنح مَنْ يلوذ بك الرضا
يا من شجاه البعد ناد بنادهم | فعساك يا مهجور يوماً تُرتَضَى
أدرك بقايا العمر ويحك وانتهضْ | فالحزمُ يا حِلْف الونى أن تنهضا
هذا فديتك شهر صومك راحلٌ | وكأنه برقٌ أضاء فأومضا
أتراك قد حَسَّنْتَ فيه جواره | وقضيت فيه حقوقه فقد انقضا
ما فاز بالآمال إلا مخلِصٌ | فيه الودادَ لمرسليه أمحضا
أسفي على شهر مسراتى به | كانتْ تُتَاح فأعرضتْ مذ أعرضا
شهر الصيام نأى فيا عينى اسكبى | دمعَ الجفون مُذَهَّبا ومُفَضَّضا
كم سُحْبُ أجفان به هطلت لذى | .... للرِّضا متعرضا
سهر الليالى مهملاً لدموعه | وقضى به من شوقه ما قد قضى (٢٣ ب)
لا يجتنى ثمر المنى من روضه | إلا فتى فى ليله ما غَمَّضا

(٣٤)

وسأل منه بعض المزمزمين التذييل على الثلاثة الأبيات الأول فأجاب سؤاله بهذا النظم الذى به ذَيَّلْ ، وهو مما أجاد فيه القول ، وتَمَّمَ وكمَّلْ ، قوله – جزاه الله تعالى الجزاء الأكمل بمنّه

ألا عَرِّج بذى سَلَمِ | وقف بالرَّبع واستلمِ
فتلك الدار من سلمى | بها قد كانت مُلْتَزِمى
بحقك لُذْ بربعهم | وحيِّهمُ على العَلَمِ
وناد به ودمع العيـ | ـن فوق الخدِّ كالدِّيَمِ

ألا يـــا ربـــع هـــل يُقضَى ... بشــــملٍ فـــيك مُنتَظِم
رســـومك لم تدع رســـمـــا ... لجـــثـــمـــانى فـــوا سَقَمى
كـــذا الأطلال قـــد طلَّت ... دمى هـدراً فـــمن لدمى
لَعَمْـــرُكُـــمُ وذا حَلـــفٌ ... كـــريم جلٌ فى القـــسم
لقـــد أضـــحى وجـــودِ بكم [(١)] ... العـــدم [(٢)]
وقـــفتُ بهـــا ولى حـــزنٌ ... عليكم غـــيـــر منصـــرمِ (٢٤ أ)
فـــقلتُ أيا كـــريم [(٣)] ألـــى ... بِرَحْبِ فِنَاك مـــــــن ذم
يميناً لا برحـت بهـــــا ... فليس الغـــدر من شـــيـــمى
أبكّيـــهـــا وأندبهـــا ... وأجـــعل ربعـــهـــا حـــرمى
فـــيـــا وجـدى بكعـبـتـهـا ... فَطُفْ ســـبـــعـــاً على قـــدم
ويا رَكْبَ الصـــبـــابة فى ... ربوع جـــوانحى أقـــم
أعـــاذلتى عـلى حـــزنى ... علـى الأحـــبـــاب لا تلُمِ
سقَتْكِ الـــسحب دارَهـــم ... بـهـــتّانٍ ومنســـجـم
فكم شـــرفٍ بهـــا نلنا ... وعـــزّ غـــيـــر مُهْتَضَمِ

(٣٥)

ومن بديع الكلام ورائق النظام
فى فضل شهر رجب الفرد الحرام
قوله أمدّه الله تعالى بالعافية والسلام

وفدت عليك بضـــاعـــةٌ لو تعلمُ ... فيها لمن يبـغى التجـارة مـغنم
نَهِنه جـــفـــونك من منامك وانتبِهْ ... رجب لعـمـرك للتـقـرب موسِم
يا مـــفلسين لقـــد أتى الربح الذى ... . مـــنـــه تهمـــم
مِنْ كم وكنـت [(٤)] به بناقة حاجة ... . الأوقات [(٥)] . . . يغنم (٢٤ ب)

(١) كذا فى الأصل « وجود » بكسر الدال ، وكلمة « بكم » غير واضحة .
(٢) سائر الشطر غير بين . (٣) هذه أرجح قراءة للكلمتين .
(٤) هكذا يظهر فى الأصل ، ولعلها : فلكم وقفت به بناقة حاجة .
(٥) قبلها وبعدها طمس فى الأصل .

أوقـــات ربح كلهـــا لك يسّرت ... لا تسلمنّهـــا يا جـهـــول فتسلم
وفـــــد الأصـبّ بنا أناخ وإنه ... وفدٌ على مـــا تعلمـــون مكرّم
طوبى لمن قـد بات فـيـه قـائمـاً ... بالذكـــر في مـــحـــرابه يترنّم
يتلو الكتـاب مـرتّلاً مـتـبـتـلاً ... ودمـوعـه في الخـدّ سـحّاً تسجم
يبكي على مـا فـاته من عـمـره ... وبقلبـــه نار التـــأسف تضرم
يرجـو ويأمل والذنوب تخـيـفـه ... والعـفـو يمحـو مـا جناه المجـرم
يخـفي ضـرام الشـوق بين ضلوعـه ... والدّمع عـمـافي الضـمـيـر يترجم
وكـــآبة المحـــزون تظهر حـــاله ... والصّب إن رام التـــســـتـــر يعلم
هجـــر المنام وبات يشكو حـــزنه ... وبطيّ أحناء الضلوع جــــهنّم
هذا هو الحـزم الذي يرضـيـه لا ... من بات في لين الفـــراش ينعّم
من بات في ظلم الدّجنّة خـادمـاً ... فـغـداً يمتّع في الجنان ويخـدم
فـاعـمل على رجب وصم أيامـه ... تعطى الجـزيل من الهـبـات وتكرم
فـعليه قـد حضّ النبيُّ مـحـمـدٌ ... الهـــاشـمـيُّ الأبطحيُّ الأكـــرم
صلى عليه الله ما انصرم (١) الدُّجا ... وتـطـلـعـت وسط المجـــرّة أنجم

(١) غموض في الأصل .

(٣٦)

(٢٥ ومن نظامه المطبوع اللفظ والصنعة ما ذيله على البيتين الأولين من هذه القطعة ، وهما لبعض الصالحين السالكين المتقين ، شرح الله صدره للهدى ، وفسح له في ظل السعادة والعافية المدى ، في توبيخ النفس على المعاصي المؤدية للردى قوله – عفا الله تعالى عنه وسمح له :

عصيت مولاك يا سعيد	ما هكذا يفعل العبيد
عَبْدَ سَوءٍ عصيتَ جهلا	لم ينسهك الوعد والوعيد
مضت لياليك في التصابي	وأنت عن رُشْدها بعيد
واهاً على العمر قد تقضّى	ولم أنل منه ما أريد
فدمع عيني له انهمالٌ	ونارُ حزني له [(١)] وُقود
يا حسرة في الحشى استكنّت	ضرامها ما له خمود
تبْلَى الليالي وحزن قلبي	على الذي فاتني جديد
ياسادتي والنوى أليمٌ	والشوق مستحكم شديد
هل لي إلى وصلكم سبيلٌ	فقد برى جسمىَ الصدود
ما زال يهفو وإن تناءى	بذكرك المـ... [(٢)] العميد
وكيف ينسى [(٣)] أو كيف يسلو	من قد تقضت له عهود (٢٥

(١) كذا ، والسياق يقتضي لها بعود الضمير على النار .

(٢) في الأصل عدم وضوح ، ولعلها « المدنف » .

(٣) كذا « أو » والوزن يقتضي « و » .

رقوا لمغـــــرى أضحى كــئيباً　　له بأبوابكـــــم قعـــــود[1]

إن لم تجــودوا بجبر كـــــرى　　فمـــن تُرَى غيركم يجـــود

مُنّوا علـــــى المدنف المـــعنَّى　　عودوا عليلَ البعـــاد عـــودوا

رحمـــاكمُ في حليف حـــزن　　على الضـــــنا والأسى جليدُ

قـــــد خُدِّدَت مُذْ هجــرتموه　　بدمعـــــه فيكـــم الخدود

إن لم تَلاَفَوْا سقـــام نفـــسى　　فبالنـــوى مهجتى تبـــيد

بنظـــرة منـــك يا مُنَائـــى　　تسعـد آمـــالى السعـــود

وبالرضـــا إن منحتمـــوه　　بعـــذب للـــوارد الســـورود

طوبى لمن نـال منـــك أمـــناً　　فبـــات يغبـــطه الوجـــود

(٣٧)

وله عفا الله تعالى عنه في مسرى شمال الوفا وجنوبه واهتزاز غصون العَطْف عند هبوبه وشرب كأس الوَصْلِ من يد ساقى الوُدّ وقد دام فى دءوبه ، وهو من النظم البديع للمعنى الرفيع .

لقد آن من أزهـــار روض الوفا [2] القــطف

ونمّ لكـــــم من نَشْرِ مسك الرضـا عرْفُ

سرت للوفا عنـــــدى جنوب وشمألّ

(فهزت) [3]غصون العَطْفِ واتصل اللطف (٢٦ أ)

---

(١) فى الأصل « قصعود » وهو إرتباك فى النسخ .

(٢) أقرب قراءة للكلمة ، ولعلها « الرضا » لولا التكرار .

(٣) فى الأصل عدم وضوح .

وطاف بكأس الوصـــل ســـاقى وداده[1]

ودُرُّ حبـــاب الأنس من فوقها يطفـــو

ألا فاشـــربوا صـــرفا ووالوا دؤوبهـــا

فبالصـــرف والتدآب ينكشـــف الكشف

إذا ما صَفَتْ أوراد شِرْبك فى الهـــوى

وغُيِّب واشيها وواصـــــــلك الإلف

ونادمت مَن تهوى وأخلصتَ فى الهـوى

فملك الوردى حتمـــاً عليك إذا وَقَفُ

توارت شموس الكشف عن أعين الـورى

ومانعَها عن دَرْكِ أنوارها الضـــــعفُ

ودون ظهـــور الأمر سجـــف غياهبٍ

سيظهر ذاك الـــسر إن رفـــع السَّجْفُ

وجـــــود له سرٌ عجـــيبٌ مُغَيِّبٌ

يجل خفاءً أن يحـــيط به الوصـــف

أجِلْ طَرْفَ أفكار اعتـــبارك دائمـــاً

بساحـــات ربع الحبِّ إن ساعد الطرفُ

ففى ساحة الأحـــباب للقلب راحةٌ

وفى الخيْفِ إيناس إذا ذكر الخـــيفُ

---

(١) كذا أرجح قراءتها

وعلّلْ بوصل الطيف نفساً عليلة
ومن للمعنّى أن يساعده الطيفُ
ألا فاعزموا فالأمر جِدٌّ مُؤَكّدٌ
وجُدّوا فإن الوقت في حكمه سيف
فيالهف نفسٍ ضيعت جِدَّ عزمها
وأنّى وهل يُغْنى على فائتٍ لهفُ

(٣٨)

وله – عفا الله تعالى عنه – فى مدح أحمد الهادى الشفيع – صلى الله عليه وسلم :

بلغت بأحمدَ أنفسٌ آمالها	حمدت مبادئها [1] به ومآلها (٢٦ ب)
تاقت له فتزودت أوجالها	واستصغرت فى حُبِّه آجالها
لبست لما قد شفَّها أسمالها	ولباسُها أسمالها أسمى لها
تهوى الرياح جنوبها وشمالها	ولذا تميل يمينها وشمالها
إن ضرَّمَتْ نارُ البعاد خبالَها	أسفاً فكم مِنَحٍ بذاك خبا لها
أو كان غَيَّرَ سيّرُها أشكالها	جهداً فإنَّ نحولها أشكى لها
الشوق قَطَّعَ بالنوى أوصالها	فكأنه بعذابها أوصى لها
وكذا المعالى إن فتاً أهوى لها	يلقى المكارم راضياً أهوالَها

(١) كذا نرجح ، وفى الأصل غموض

نور التشـــوق للديــار جَلاَ لها		عن حُجْبِهـــا فرأت بذاك جلالها
تلك المعـــالم إن خطبت جمَالها		فاخــدُمْ بأجواز القفــارِ جمَالها
قد أطلعت بسَمَا القلوب هــــلالها		ولذاك تُعْمِلُ نحـــوها إهلالهـا
يافارسَ الدعـــوى أدْرك أبطـــالها		لا تَغْلُ فيهـــا والتزم إبطـــالها

(٣٩)

وسأل منه بعــض المزمــزمين التذييـــل

على البيتــين الأولين من هـــذه القطعة

فذيّل عفا الله تعالى عنه بما جمع فيه بين جزالة اللفظ ورائق المعنى والصنعة

آه إن عـــاد الزمـــان لـــنا		واجتــــمعنا فى مــــنازلنا (٢٧ أ)
نفتح أبـــواب الهنا فرحـــا		ونغيـــظ الحاســـدين بِنا
أين ما كنا علـــى رامـــة		نجتنـــيه من ثمـــار المُنى
أين أيـــام بجزْعِ اللـــوى		ووصـــالٌ كان بالمنحـــنى
ولُيَيْلاَتٌ خلـــت ومضـــت		وعهـــود قد تقضـــت لنا
كم جنيـــنا من ثمـــار الهوى		بِذَرَاكم مـــن لذيـــذ الجنى
أنا واللـــه علـــى عهـــدكمُ		لـم أزل أرعـى الذى بينـــنا
فوحـــقِّ الحب ما أبصـــرتْ		مقلتى من بعـــدكم حـــسنا
ساجـــع الأيكـــة طـارح فتى		هجـــرت أجفـــانُهُ الوســـنا
بان عن أوطـــانه ياله مـــن		محـــبٌ فـــارق الوطَـــنا
كُلُّ ما تخفـــــى جوانحـــه		دمـــع عـــينيه به أعلـــنا

كتب الوجدُ كتاباً بها ... وأرى الدَّمْعَ له عَنْوَنَا

رقمت بخدِّه أسطرٌ ... فبدا سرٌّ له بطنا

أترى الوصلُ له عائدٌ ... فيرى الدهرُ له محسنا

(٤٠)

وله – عفا الله تعالى عنه – فى تَرَجِّى الحنان ،

وتمنى العطف بجميل اللطف والامتنان (٢٧ ب)

يعلن فيه بالحنين ، ويشكو بالوجد والأنين

وهو من نظمه الحسن ، وكلامه المستحسن

لعلك تحنو أو ترق على ضعفى ... فإن لم تكن تحنو علىَّ فوالهفى

حنينى إليكم بالغرام مبرِّح ... وأدمع أجفانى تنم بما أخفى

كتمتُ صباباتى وأخفيت زفرتى ... فبرح بالمكتوم من لوعتى طرفى

حليف الهوى أضحى على الباب واقفاً ... ومازالت الأشراف تحنو على الحلف

وكم لكمُ باللطف من جبر تالف ... فأبقوا الذَّما واستدركونى باللطف

على حِلمكم آمالَ نفسى قصرتها ... لأنكم فيما أؤمله كهفى

أديلوا من الهجران والبعد وصلةً ... ففى قربكم أمنى وفى بعدكم خوفى

وكم لى من عزم فيُنْقَضُ عقده ... أالعزم والأحكام مرغمةٌ أنفى

مضى زمن كانت به لىَ قدرةٌ ... فأصبحت من وهنى وضعفىَ فى خسفِ

فإن تك منكم لى على البعد رقةٌ ... فقد ظفرت بالسعد ياسيدى كفى

وإلا فمالى بعد بعدك حيلة ... سوى دمعة من مقلة فيك لا تغفى

عسى نفحات الجود من روضة الرضا ستنفح للمهجور طيِّبَةَ العرف

(٤١)

وله – عفا الله تعالى عنه – يشكو البعاد (٢٨ أ)

ويستكفُّ اللوائم في الهوى عن العذل الدائم

الترداد ، وهو من النظم الموفىّ المتمّمِ والدر النفيس المنظم :

لقد آن أن يشكو المتيم بعده وماذا على من شفّهُ البعد أن يشكو

ألوّامَهُ كُفُّوا عن اللوم في الهوى فقد بان ماأخفى الهوى وانجلى الشكُّ

تباكَوْا على أهل الصبابة والأسى إذا لم تطيقوا في المجالس أن تبكوا

عذيرى في قوم بهم عرس النوى ولا دمعة تهمى أفي نِقْلَةٍ شكُّ

أرى الوجدَ سِلْكاً نَظْمُهُ در أدمع فلله من درّ به حسن السلك

فَغَسِّلْ بماء الدمع أغيارَ ما مضى وخلّصْ بنار الحزن ما سبَكَ إلا فكُ

إذا مازج الدينار خُبْثٌ فإنما يخلص ما فيه من الخبث السَّبْكُ

ألا إنما الدنيا متاع لأهلها فأولها حرص وآخرها ترك

فَجُدُّوا ووالوا العزم في الأمر واحرصوا فما هو إلا الملْكُ حتما أو الهلْكُ

فطوبى لمن جادوا عليه تكرما فذاك الذى يُقْضَى له الخلد والمُلْكُ

(٤٢)

ومما نظمه في تذكر أوطان الصَّبا

عند هبوب الصَّبَا ، وهو من الزهد المنظم

على طريقة ..... والتصوف ....(١) ٢٨)

---

(١) فى هذه المواضع تآكل كثير.

شى من الهزل قوله .... الله تعالى جميع ... بمنه

يهيج غرام الصبّ إن هبت الصَّبَـــا فيذكر أوطاناً بها أَلِفَ الصّبــــا

ضمان على عين المتيم إن هفـــا بريق اللوى أن تسكب الدمع طـيبا

فيا معهد الأحباب والصبُّ نـــازح متى يرد الظمآن فى الرّى مشـــربـا

ويا دار سلمى والتباعــــد بيننـــا متى الدهرُ يدنى منك صباً معذبـا

يطارح بالأسحار وُرْقَ حمائـــــم وإن جنَّتِ الظلماء سَامَرَ كوكبـــا

ولا عجبٌ أن طال بالربع حزنـــه وقد أصبحوا عن ساحة الربع غُيَّبَـا

فلله أعــــلام المُحَصَّبِ كم وكم ركبنا بها للأنـس واللهـــو مركبـا

معاهد كانت للأوانــــس مألفــاً فياما ألذ العيـــش فيهـــا وأطيبا

لقد كان لى فيها مغــانٍ ومربـــعٌ فأصبحت لا أبغى سوى العز مطلبا

ثنيتُ عنــــان الطرف بعد جماحه لأن عـــذار الخدّ أصبــح أشيبـا

نبا خاطرى عن وصل سعدى وزينب لأنــــى قد نُبِّئْتُ من سبأ نبـا

سأعمل للأحباب سير ركائبــــى وأقطع بحراً للمعالــــى وسبسبا

فقد [1] شمت من تلقاء يثرب بارقاً وقد طاب عيشى بالحبيب وأخصبا

ألا فاعجبوا : قلبٌ [2] ترحل مشرقاً وغادر جسماً قد توطن مغربــــا (٢٩ أ)

فمن مُبْلِغٌ عنى الأحبـــة أن لـى فؤاداً بنار الشـوق أصبح ملهبـا

يذكرنى حادى الرفـاق إذا سـرى حمائم بانات حَلّلْنَ المحصبــــا

---

(١) غير واضحة فى الأصل.

(٢) كذا يقتضى السياق ، وفى الأصل مطموسة .

ويطربنى ذِكْرُ العقيـــق فأنثنــى ... كأنى غصنٌ جاذبته يــد الصَّبــا

ألا يا صبَا الأسحـــار عنى فأبلِغَنْ ... سلاماً كمـــا نَمَّتْ أزاهر بالرُّبــا

على الطاهر الأزكـــى العلىِّ محمد ... وأصحابه السامين فى المجد منصـبا

(٤٣)

ومن نظامه فيما جنته الخطوب من البعاد ، إذ أســـالت

الدمع وجرحت الفؤاد قوله – هداه الله تعالى سبيل الرشاد :

الدمـــع هـــان والفؤاد جـريح ... ســيانِ دانٍ فى الهـــوى ونَزوحُ

هذا قصىٌّ أبعدتـــه خطوبُــهُ ... عنهم وهذا قربـــه ممنــوح

يا ويـــح مَقْصِـــىٍّ براه بُـعْدُهُ ... يغدو بأوصــاب النوى ويـــروح

تخذ المدامعَ قهـــوةً فلـــه بها ... أبداً غـبــوق دائــم وصبــوح

ودلائل المشـتاق لا تخفـــى وإن ... كتم الهـــوى فالدمع عنه يبــوح

....(١)

أو ما تراه (٢) كلـما هبت (٣) لـــه ... نفحات نافجة الصفاء (٤) يصيـح (٢٩ ب)

ألف الظلام فصاح عنـــد فراقــه ... فى مـثل هذا يحسن التبريـــح

فى رقة الأسحـــار ســرٌّ كامنٌ ... فَلَكَمْ دمٌ فيها لهـــم مسفوح

وَلِمِسْكَة الظلماء عَرْفٌ طيِّـبُــهُ ... يزرى بكافور الضيا ويشيـــحُ

للشــيح والبـــانــات رقة نسمةٍ ... عند الأصائلِ والصبـوح تفـوح

---

(١) البيت كله متآكل فى الأصل .

(٢) ، (٣) ، (٤) الكلمات الثلاث بهن نقص حروف ، وبين كلمة « الصفاء » وكلمة «يصيح» كلمة مقحمة وغير واضحة .

أوماتـــرى ورق الحمائم سُحْــرة　　تشدو وتندب إلفهــا وتنـــوح

قـــم واغتنمها سحرة توسى بها　　مما أكنّته الضلـــوع جـــروح

عَلّ الحبيب إذا رآك بقـــــربه　　كلفاً يكون له إليـــك جنـــوح

(٤٤)

ومن بديـــــع نظامـــه ومطـــبوع كلامـــه

فى تضرُّم الفــؤاد بأوصـــاب الجوى واحتراق القلب

بنيران الهوى قوله - عفا الله عنه - وألحفه رضاه بمـنه :

فؤاد بأوصـــاب الجـوى يتضــــرم　　وقلب وإن أودى به الوجــــد ...

تُصيبُ قلوبَ العاشقين رماتـــها　　ولكن بحب الراشقين تتيــــم

ولم أر كالعشـــاق تفنى نفوسهم　　وعندهمُ فى الحـب ذلك مغنم

فكم [1] حكم الشوق المبرح[2] فيهم　　ولا حُكْمَ إلا ما به الشـوق يحكم

ضمانٌ [3] لهذا الصب أن حياتـــه　　بصارم أوصاب الهوى تتصــــرم (٣٠ أ)

ولم يبق مــــنه الحب إلا بقيــة　　ولكنه يخفـى السقـــام ويكتـم

تسربل سربال الغـــرام وفوقـــه　　رداء من الأحزان بالشوق معلـــمُ

إذا ما دجا جُنْحٌ من الليل مظلـمٌ　　فبالدمع يجلو جنحه حـين يظلـمُ

تقلّدَ سيف الجدّ والصبرُ درعـــه　　وللشوق فى الأحشاء جيش عرمرم

أقام له الشوق المـــبرح مأتمــا　　فظل خطيب الوجد عنه يترجـــم

---

(١) مطموسة فى الأصل .

(٢) فى الأصل تبدو « المرجح » ومعناها بعيد .

(٣) الكلمة غير واضحة فى الأصل .

وبلبله حادى الوجود بشـــــدوه ... فصاح وللأشـــــواق نارٌ تُضرّمُ
تعارضت الأحكام فى الخطب عنده ... فَسلَّمَ أنْ لا فى الشـــدائد يُسْلَمُ
تفكر فى معنى وجـــودِ وجـــوده ... فخاطبه عنه فصيحٌ وأعجـــــم
وأبصر سر الكون بالحـــق فانجلت ... بدورٌ بأفق الكشف عنـــه وأنجـم
ومن فَلَكٌ من رمز المقادر أحرفـــاً ... يَبِينُ له رسمٌ على الكون يرســم
فدونك فافهم فالأمور جليـــــةٌ ... لمن كان عن أهل التصوف يفهـم
ولابد مـــــن أوراد وقتٍ مُعَمَّـــر ... وإلا فمن لـــذات ذلك تحـــرم

(٤٥)

وله – عفـــا الله تعالى عنه – يخاطب حـــادى الأظعـــان ، مستفهـــماً أترحّل الســـكان ومقرراً ما فعل الغرام بمهجة الهيمان ، وهو مما جمع فـــيه بين الجـــزالة والصـــنعة والبيـــان : (٣٠ ب)

أيـا حــادى الظـعائن أين راموا ؟ ... أقصدهمُ عـــراق أم شـــآم ؟
إذا عرضـــت خيـام الخيف خبِّرْ ... بما بالصب قد فـعل الغـــرام
وإن يومـــاً حللت ديـــار سلمـى ... فقل كلفٌ بـــه كلف السقـام
تهيجـــه إذا لمعـــــت بُـروق ... وتشجيه إذا سجعـــت حمـام
فللشوق اضطـــرام والتهـــاب ... وللدمـــع انسكـاب وانسجـــام
يود لوَ انـــه قد حـــل نجـــدا ... فيُشْفَى من مواردهـــا الهيام
أيا بانـــات نجـــد هـــل شميمٌ ... فيحيينى على النـــأى انتِسَام

تهب به الريـــاح على مشـــوق | يُهَيِّمُـهُ بنفحتـــــه البشـــام
نصيبى من نَصيبينَ انتشـــاق | يُعَلُّ بطيـــب نفحتـــه الأوام
وعلويُّ الريـــاح لهـــا بقلبى | إذا هبّتْ روائحهـــا التثـــام
تُذَكِّرُنى أذِمَّةَ أهـــــل ودى | فيشجينى التذكـــر والذمـام
ويثنيـــــنى لهبتهـــا سُرورٌ | كما تثنى مُدَاوِمَهَـــا المـدام
تبـــوح صبابتى بخفيٍّ ســـرى | وهل لصبابةٍ عنـــدى اكتتـام
.... (١) جنونى .... | فقـد أيقنتُ أنـــى مستهـــام (٣١ أ)
فؤادى ما دهاك أجِبْ ندائـــــى | وخبر ما وراءك يا عصـــــام

(٤٦)

ومما نظمـــــه بلســـان الانكســـار

راغباً فى الصفح عن الجنايـــا الغـزار

قوله – متعه الله بالحســـنى فى دار القرار :

أتراك عمـــا قد جـــناه تصفـح | فبقلبه نار التأســف تلفـــح
للعفو يجنح فى الشـــدائد خاطرى | ولعفوكم عند الشـــدائد يُجْنَحُ
يا ويح من سُترت عليه عـــيوبه | إن كان فى يوم القيـــامة يفضح
مـــن لى إذا عُرضت عليك جنيّتى | إن لم تكن لى بالتجاوز تسمـــح
أترى تُعَذِّبُ مسلمـــا ولسانـــه | بشهادة التوحيد فيك يصـــرح
إن أثقلـت أعبـــاء ذنبٍ ظَهْرَهُ | فبفضلها الأعبـــاء عنه تطـرح

(١) فى الأصل غموض شديد .

تـــالله لابرح العمـــــيد بباكـــم	فلغيركم آمالـــــه لا تطمــــح

فلتقبلوا أو تطـــــردوا أو تبعـــدوا	عنكم حليف بعادكـــم لا يبـرح

لألازمنّ السعى نحــــوك راجيـــا	فلعل سعيى بالتزامـــــى ينجـــح

إن الجنـــاة إلى رضـــاك تعرضوا	وقفوا بأبواب الرجـا واستفتحـــوا

من خائف قد أوبقتـــــه ذنوبـــه	ومتيم بالشوق [1] فيك يصـــرح	(٣١ ب)

فاغفر لهـــذا ما جنـاه وكن لـذا	ففؤاده بسهـــام بعدك يجـــرح

خُرس اللســان عن الكلام مهابـةً	وإشـارتى عمـــا أريـد تُلَـوِّحُ

(٤٧)

وله – عفا الله تعالى عنه – يذيِّل على البيتين الأولين والبيت الأخير من هذه القطعة ، وهى لبعض الصالحين السالكين المتقين – نور الله تعالى بالصفاء قلبه – ومنحه توفيقه وعونه ورضوانه وقربه ، وأمَدَّه بإنجاده الإلهى وإسعاده الأبدى بمنِّـه :

سبحـــان ربى الواحــــد المنـــان	والحــــمد لله العظيـم الـشان

صمدٌ ووترٌ لا إلـــــه كمثلـــه	والله أكبرُ دائـــم الإحســـان

أستغفرُ الله الــــذى استغفـــاره	يقضى لنا بالصفــح والغفـــران

وأمجِّدُ الصمدَ المجيدَ إلهَنـــــا	ما دام جثمانـــى بكلِّ لسانى [2]

---

(١) غموض فى الأصل ، وكذا نرجحها .

(٢) أرجِّحَ قراءة لغموض الأصل .

وألـــوذ منه بعصمـــــة متوكلاً ومسلماً فى الأمـــر للرحمـان

ثم الصلاة على النبىّ محمــــــد وعلى الصحابة عصبـــة الإيمـان

(٤٨)

(٣٢ أ)

ومن رقيق نظـــــامه ومطبوع

كلامــه فـى صـوب الأدمـــع

السِّجام ولمع البرق وسجع الحـــمام

قوله - أمَدَّهُ الله تعالى بالعافية والسلامُ

أرى دمع الجفـون له انسجـــــام ألاح البرق أم صـدح الحمـــامُ

أهبّتْ نفـــحةٌ مـــن أرض نجــد بنشــر البان أم بانت خيـــام

أم الأنــــــوارُ بالعَلَمَينِ عَنّتْ فهاج الشـوق وافْتَضَحَ الغـــرام

أشِمْتَ بُرَيْقَ أكناف الحمــــى أم دعاك لأن تبـــوح بهم هيـــامُ

أعاقك عن عقيق الخيف خـــوفٌ فَعَزَّ الصـــبر واســتولى السقام

بدالك فوق صحن [1] الخـدِّ دمعٌ يصعـــــده بأضلعك اضطـرام

أظنك مغرماً مثلى كئيبـــــــا فَبُحْ بهـــواك مثلك لا يُـــلام

وخبِّر ما دهـــاك وصِفْ فإنـــى بهم كَلِفٌ وصــبٌّ مستهـــام

أتطمع فى الوصـــال وقد تنـاءى لقد بعد المدى بك والمــــرامُ

ألا للـــه ذِكْرٌ بالمصـــــلى وسكّانٌ بذى سلم كـــــرام

أثاروا بالحشا حرقاً وحزنـــــاً فنـوم العين بعدهـــم حـــرام

---

(١) كتبها الناسخ على يمين الصفحة.

ترى هل تسمح الأيـــــام حقاً بوصلهم فيشتمـــــل النظـــام

لقـــد بعـــد المـــزار وخفت أني سيفجأني (على بعدى)[1] الحمام (٣٢ ب)

فيا للـــــه من عمـــر قصيـــر وشوق للأحبـــــة لا يرام [2]

سقى ربعـــاً بيثرب حـــل فيـه عُلا قد فـاق كلَّ علا غمـــامُ

وحيـاه بريحـــــان وطـــــيب كمـــا قد فُضَّ عن مسك ختـــامُ

(٤٩)

ومـــن نظـــــمه – عفـــــا الله تعالى عنه –

فى ترجىِّ الوصـــــــل بعـــد البين ، والتعلُّـــــل

بانتـــظام الشمل قـــبل الحيّن ، والاعتذار عن تمادى

النوى بالاستسلام للقدر الذى يفرق بين السمع والعين :

هل فى وصالٍ بعد بينٍ مطمـــــع فـأرى بشمل شملُ أنسك يُجْمَعُ

ياليت شعـــرى والديار قصيـــــة هل ما مضى عنا برامة يرجـــــع

لى بعدكم حالٌ ، وشرح سبيلهـــــا يا نازحين على الخـــدود يوقَّـــعُ

كبدٌ تذوب على البعـــــاد كآبـــة وجوانحٌ أسفاً تُشَبُّ وأضلـــــع

تا لله ما اخترت النـــــوى لكنـه ماذا على حكم المقـــادر أصنـــع

(٥٠)

ومما نظمـــــــه فى مسرى النسيم العليل

وتعليـــــــله القـــلب العـــليل

---

(١) يبدو حرف باء قبل « الحمام » فقدرناها هكذا رداً لعجز البيت على صدره .

(٢) كذا فى الأصل .

(٣٣ أ)

وهو من النظم البديع والكلام الرائق الجميل

قوله – هداه الله تعالى سواء السبيل

سرى أَرَجُ النسيم ضحىً عليلاً — فَعَلَّ بنشْقِهِ قلباً عليلا

وأذكرنى عهوداً قد تقضَّتْ — فأذكت بين أضلاعى غليلا

ألا يا نسمةً من أرض نجد — متى يجد المشوق لهم سبيلا

متى تُدْنيه نحوهم الليالى — فَيَلْقَى فى منازلهم مَقِيلا

متى فى ساحة الأحباب يوماً — يجُرُّ بقربهم زهواً ذيولا

لَعَلَّكِ يا صَبَا الأسحار عنى — تكونى [1] نحو أحبابى رسولا

لقد بعد المزار وطال شوقى — ولم يُبْقِ النوى صبراً جميلا

فيا نارَ الجوى ضَرِّمْ [2] فؤادى — ويا عين اسكبى دمعاً هَمُولا

على أحباب قلبٍ قد تناءَوا — وأبقوا فى الفؤاد جوى دخيلا

سقى دارَ الحبيب هتونُ مُزْنٍ — يُعيدُ هجيرها ظلا ظليلا

وحياها بريحان وطيب — فكم نلنا بها عزاً أثيلا

منازل فى الفؤاد لها حنين — بها الزمنُ الخؤونُ غدا بخيلا

ولا زالت بدور السعد فيها — تَطَلَّعُ ما حدا خادٍ حمولا

(٥١)

(٣٣ ب)

ومن نظمه فى إشجاء بيْنِ المُوَدِّع

وتوكيل الفراق بسَحِّ الأدمع

قوله – عفا الله تعالى عنه ورَقَّاه للمحلِّ الأرفع بمنه :

---

(١) كذا . (٢) كذا

يا واقفـــا أشجـــــاه بينٌ مودِّع ... هـــذا الفراق فأين سَحُّ الأدمـــع

للـــــه قلب بالعـــــراق مُرَوَّعٌ ... يضحـــى ويمسى فى أليم توجع

يا بين كم تشجى فؤادى عامـــداً ... وتذيب أحشائى وتلهب أضلعـــى

أَمُوَدِّعِن صبراً عسى من قد قضـــى ... بالبين يقضى بالتواصـــل فارجعِ

يا نفس للبين المتـــاح فسلمـى ... يا دهر بالأمر المقـــدر فاصـدع

ولقد جزعت لبينهم إذ ودعـــوا ... من ذا ليوم وداعهم لم يجـــزع

عل الزمان يعودنى فيعيـــــد لـى ... ما قد عهدناه بتلك الأربُـــع

فعلـــى المنـــازل بالعُذَيْبِ تحيةٌ ... ما هـــاج مشتاقاً حنينُ مُرَجَّعِ

لو أبصرت عيناك يوم وداعهـــم ... يا صـاح وجدى فى الخليط ومصرعى

لأسِفْتَ من أسفى على وجدى بهم ... ورَثَيْتَ من حالى وطول تفجعـــى

(٥٢).

ومن نظـــــامه الذى حـــاز فيه الإحسان

قوله – عفا الله تعالى عنه – فى شهر رمضان

وتَغَمَّـدَهُ بالعـــفو والغفــــــران بمنِّـه : (٣٤ أ)

هذا هلال الصـــوم من رمضـــان ... بالأفـــق بان فلا تكن بالوانى

وافاك ضيفا فالتزم تعظيمـــــه ... واجعل قِراه قراءة القـــــرآنِ

صمه وصنه واغتنـــم أيامـــه ... واجبر ذما الضعفـــاء بالإحسان

واغسل به خَطَّ الخـــطايا جاهدا ... بهمول وابل دمعك الهتّـــان

لا غـــرو أن الدمع يمحـــو جريه ... بالخدِّ سَكْباً ما جنـــاه الجانـى

لله قوم أخلصوا فتخلّصوا من آفة الخسران والخذلان
هجروا مضاجعهم وقاموا ليله وتوسلوا بالذل والإذعان
قاموا على قدم الوفاء وشمّروا فيه الذيول لخدمة الديان
ركبوا جياد العزم والتحفوا الضنا وحدا بهم حادى جوَى الأشجان
وثبوا وللزفرات بين ضلوعهم لهبٌ يُشبُّ بأدمع الأجفان
راضوا نفوسهمُ لخدمة ربهم ولذاك فازوا منه بالرضوان
إن لم تكن منهم فحالفهم عسى تجنى بجاههمُ رضا المنان
حالفهمُ والزم فديتك حِبهم واجعله فى دنياك فرض عيان
يا لهف نفسى إن تخلفنى الهوى عن حلبة سبقت إلى الرحمان
فلأنزفنَّ مدامعى أسفاً على عمر تولى فى هوى وتوان (٣٤ ب)
يارب بالمختار أحمد خير من حاز المكارم فى ذرى عدنان
لا تحرمنّى فضل شهر الصوم ولْ تجعل مقرّى جنّة الرّضوان

(٥٣)

ومن بديع النظام فى ربوع طيبة الكرام والتشوق إلى زورة خير الأنام ، سيدنا ومولانا محمد عليه أفضل الصلاة وأزكى السلام ، ما يشهد له الطبع بالتقويم ، ويبتهج به الصدر المنشرح والقلب السليم ، قوله – أقر الله تعالى قراره فى دار النعيم ، بفضله ، إنه منعم كريم :

بطَيْبَةَ ربعٌ للمعالى ومشهدُ | إليه إشتياقى كل حين يُجدَّدُ
ألا هل كئيبٌ شفّه البينُ والأسى | أساعده فيما شجاه ويُسعد
ففى القلب نارٌ لَفْحُ وقد ضرامها | بأفلاذ أكبادى تُشَبُّ وتوقَدُ
على بُعْدِ هاتيك الديار وشحطها | ودهرٍ على ما رُمْتُه ليس ينجد
مضى جلُّ عمرى فى البعاد وفى النوى | فهلْ عطفةٌ يُدْنَى بها اليومَ مُبْعَدُ
فوا أسفى قد ذبت شوقاً وحسرة | يقرب غيرى للحبيب وأبعدُ
وفى كل عام عزمةٌ نحو أرضهم | ولكنها الأقدارُ تُدْنى وتُبعد (٣٥ أ)
ترانى اشتياقى للحبيب وقبره | ودمعى وأجفانى بذلك يشهد [1]
أحاول أن أدنو فيبعدنى القضا | فدمعىَ مسفوح وقلبى مُكْمد
متى تسمح الأيام يوما بزورة | فينجح لى فيما أؤمل مقصد
سَقَتْ غادياتُ المزن تُرْب معالم | بها كان للأحباب رسمٌ ومعهد
وحيّا على تأى الديار يثرب | ثرىً حلّه خير الأنام محمد

(٥٤)

ونظم عفا الله تعالى عنه هذه
القطعة الرائعة الممتعة الفائقة
فى عِراص يثرب الغراء وقبابها ، وما للجود قد هطل
بها من واكف سحابها ، ووفى فى ذلك من ذكر
علاء قدر المصطفى ، ما استَقَلَّ فيه بالسبق واكتفى

بيثربَ للعلا رُفعتْ قباب | بها للجود قد هطلت سحابُ

---

(١) كذا والأولى « تشهد » .

قبابٌ لم تزل في الدهـــــر قدمـــا تحث لهـــــا الركائبُ والقبـاب

بها تُلْقَى المعالى والعوالــــــــى وفيها تُقْتَنَى النِعَـــمُ الرَّغــاب

سقــــــى مزنُ الغوادى تُرْبَ أرض بهـــا قد حَــلْ أحمد والصحاب

فيا للــــــه من أرض فــــؤادى إليـها لم يزل شوقاً (يُشاب) [1] (٣٥ ب)

ديارٌ [2] قد ثوى فيهـــــا حبيب له فى القرب قد رُفِعَ الحجـــابُ

نبى حاز فى العليــــــاء مجــــدا بوصـف جلاله نطــــق الكتابُ

تَرَفَّـعَ فى المعالــــى عن مُضَــاهٍ وجل عن المثــــال فلا ارتيــاب

مفاخــــره يكلُّ الحصرُ عنهــــا ويعجز أن يحيط بهــــا الحساب

بحبِّ محمد خير البرايـــــــــا لنـــــا فى الحشر يُدَّخرُ الثـوابُ

متى أحظى بزورتــــه فكم قـــد بــــزورة قـــبرهعُتِقَتْ رقـاب

حداة العيس بالفلوات رفقــــــا أُسَائِلٌ أين يرتحِلٌ الركـــــاب

ألا هـل منكـــم لأسير شــــوق يبث إليكم الشكوى جــــواب

قفوا الأظعــــان يشكو ما بــــراه فقـد عظم التَشَكِّى والمصـــــاب

نويتم رحلـــــة وأقـــام لمـــــا ترحل عن معالمــــه الشــبـاب

ضعفتُ عن المسير فدمـــع عينـى له فى الخـدِّ سَحٌ وانسكـــــاب

ألا فلترحموا من بـــات حزنـــــاً يُضَرِّمُ بين أضلعــــه التهــاب

لئن أُخِّرتُ وحـــدى عن مـــرادى وخلفـنى الأحبـــة والصَّحاب

---

(١) معظم الكلمة مطموس فى الأصل.

(٢) فى الأصل غموض.

فقدْ أَلفتْنىَ الأحـــــزان فيكـــم وحالفنى انكســــار واكتئــاب

سلام مـثل نفــح المسك نشراً [1] يُخَصُّ بطيبه ذاك الجنــــابُ (٣٦ أ)

(٥٥)

ولــــه - عفــــا الله تعالى عنه - فى هبوبه

جنـــوب نجـــد المشـير للوجـــد شارحـــاً

تغلغل الصبابة ، مقرراً تمكن الكآبة ، راغباً فى أداء

تحيته للعقيق [2] ، لما عدم المسير فى ذلك الطريق :

تهيج صباباتى ويُذْكى لهيبُهـــا إذا ما سرت من أرض نجد جنوبها

وتُذْكرنى الزوراءُ زورة أحمـــد فتنهلُّ من أجفان عينى غروبهـــا

تطاول عهدى بالديـــار فأصبحت دموعى فوق الخدِّ يهمى سكيبهــا

فمــن مبلغٌ وادى العقـــيق تحيةً كنفح فتيق المسك يأرج طيبهــا

يا حادى الأظعان رفقاً بسيرهـــا فلى غلةٌ بين الضلوع لهيبهــا

ونفس على بعد الديار قريحـــة أذاب ذمـــاها نأيها ووجيبهـــا

سلوا مهجتى عن سقمها ونحولهـا وإن كان عنها قد أبان شحوبهـــا

إذا ذكرت عهـداً تولى زمانـــه بمعهد مغناكم يطـــول نحيبهـا

فأبقوا ذما نفسٍ أُهيِّل مودتـــى بسهم نواكم قد رمتهـــا خطوبها

ألا فاعجبوا بالغرب نفس عليلـــةٌ وفى لثم ترب الغور يُلْفَى طبيبهـا

---

(١) فى الأصل تبدو كأنها « بكراً » أو « نشراً » واخترنا الأخيرة.

(٢) فى الأصل : العقيق ، والأيسر تأويلاً : للعقيق .

وكيف بَقَاهــا فى منازل غربــة | وفى يثرب أضحى مقيماً حبيبهــا (٣٦ ب)
علــــى يثرب ما لاح برقٌ تحيةٌ | كنفحة روض فاح طيبا هبوبهـــا

(٥٦)

وله – عفــا الله تعــالى عنه – ينادى
ورقاء الأفنــان ويطارحـــها فى الألحــــان ،
وشتان بين فصـــــاحته وعجمتـــها وشتان ،
وهو من النظم الذى قلما بمثله لغيره سمح الزمان ،
ذلك دليل على زكاء طبعه وذكائه ، وتقدمـــه فى
صُنعه ونظمه وبنائه ، وانفراده بالسبق فى نظـــرائه

يا شاديا فى ذرى الأفنـان أفنانــــا | فنون شدوك فى الأسحار أفنــانـا
كرر بصرحة وادى الجزع شدوك قد | أذابنا شجوٌ ما تبدى وأشجانــــا
أراك بين غصون البان تندب فى الـ | أفنان إلفاً وذاك الإلف قد خانـــا
كذاك أصبحتُ ياورقاء مثلك مــن | شبابِ عُمْرٍ نأى عنى وقد بانـــا
ولّى ولم أجنِ فى ريعان غِرّتِـــه | جنىً أنــال به بِراً واحسانـــا
أسفتُ لكن على دهرٍ به لـم أجد | على بلوغى لما أملتُ أعوانـــا
قاسيته بالضنا خوف الجوى أسفاً | ها قد مضى بالأسى شجواً وأحزانا[1]
لكن ما بيننـــا فى حالنا أبداً | شوق أُبيِّنُه فى البثّ تبيانـــا (٣٧ أ)
أنا لفرط الضنا أبديكِ فرط أســى | وأنت تبدين فرط الشجو ألحانـــا

---

(١) فى أكثر كلمات البيت غموض كثير .

أراك تبكين دون الدمـــع ياعجباً ... ودمع عينى جرى دُرّاً ومرجانـــا

قالت : مياه جفونى صُيِّرَتْ لَهَبَــاً ... فاعجب لماء جفون عـــاد نيرانا

فأحكمت فى مقال الحق حجتها ... وأظهـرت فى مجال الفكر برهانـا

فَمُدْتُ أُهْمِلُ والأشـواق تقلقـــنى ... دمعاً جرى فوق صحن الخدّ هتانا

يا ويح مكتئب يبكى الذى فاتــه ... أنصاره أدمعٌ تنهل طوفانـــا

ترى الزمانُ له يدنى أحبتـــه ... فَيَنْظَمُ الشملُ سلكاً مثل ما كانا

عَلَّ الليالى تعيد الشمل مشتمـــلا ... فكم أذاب النوى بالبعد أشلانــا

يا أرض طيبة حياك الحيا واغتـــدى ... يَنْهَلُّ فيك سحابُ المزن أزمانــا

ودُمْتِ تُحْدَى إلى مغناكِ أنفسنـــا ... بالشوق معلنةً سراً وإعلانـــا

(٥٧)

ومما نظمه فى أزاهـــر البطـــاح وظهـــور اللوعة عند الافتضـــاح عند هبـــوب الصبا النجـــدية ، وتَحرُّكِ الأرواح الوجدية ، ويا لها قطـعة يعجز عن صـــناعته ورقـــته فيها (١) العراق ، ويقـرُّ له فيهـــا بالسبـق فيها الفحول السُّبّاق ،إسألها منه بعض المزمـــــزمين المجيدين ، فحـــرك (٣٧ ب) بها قلوب الصوفية والمريدين قوله – نظمه الله تعالى فى سلك عباده المهتدين :

ما بين زهر الربـــا ونَوْر البطـــاح ... ظهرت لوعتى وبان افتضـــاحى

وإذا ما سَرَتْ لنَجْدٍ صـــباها ... هزنى نحوكم نسيمُ ارتيـــاح

فاستجيبوا لمن براه انـــتزاح ... وغدا بالنوى كـــسيرَ الجناح

---

(١) غموض شديد فى هذا الموضع .

واسمحوا لى أحبتى والطفـــوا بى   بحنان منكم يروض جمـــاحى

فلمن أرتجـــــى سواكم وأنتم   بدور أفقى ونُورُ شمس صباحـــى

خيم الوجد فى ضلـــوعى فأورى   نار شوق تضرمت بانتزاحــــى

هذه أدمعى بخــــدىَ تهمـــى   فى غدوّى عليكم ورواحـــى

وفؤادى على الذى فات منكـــم   أبداً لا يزال دامــــى الجراح

صاح شمر ذيول عزمك والـــزم   طـرق الجِدِّ لا طريــق المِزاح

نحـــو قبر النبى حث المطايـا   واجْهَدِ النفس نحو ربع الفـلاح

حبستنى (١) صروف دهرى عنـه   ليت شعرى متى يكون سراحـى

تيمتنى (٢) معـــالم وديارٌ   لم يزل نحـوها يطول انتزاحى (٣)

أنـــا فى الحبِّ لائذ بهواكـم   ليس لى فيـه عنكم بــراح   (٣٨ أ)

آه من خجـلتى إذا كنت ممـن   خاب فى الحب قدحه فى القداح

بشرى طــيبة ربـــاض أنيق (٤)   نَشْرُهُ فـاق نَشْرَ (٥) نَوْرِ الأقـاح

فعليهـــا من الكئيب ســلام   ما تغنَّتْ بالدوح ذات وشــاح

---

(١) الحروف الثلاثة الأولى ذاهبة ، وقدرناها كذلك لتناسب « سراحى » فى آخر البيت . ولعلها كذلك « حجبتنى » .

(٢) الحرفان الأولان ذاهبان .

(٣) فى الأصل « اقتراحى » ولا معنى لها .

(٤) كذا « أنيق » بالتذكير .

(٥) الكلمة مطموسة والسياق يفرضها .

ومما نظمه في نسيم روض السماع

واهتزاز القلوب عند الاستماع

ما جمع فيه بين الجزالة والصنعة والرقة والانطباع

وأودع فيه فنوناً من التصوف والإشارات التي إلى غير

أهلها لن تذاع ، قوله عن الله ما له إليه من الانقطاع

وأمتع بحسنه وإحسانه وتحسينه غاية الإمتاع :

نسيمُ روض السماع فاحا ... فاهتز مضنى النوى ارتياحا

غنّتهُ وُرْقُ الوجود لحنا ... على فنون الفنّا فباحا

ورقْ سماع الوجود عجم ... لكنها أصبحت فصاحا

ألقتْ إليه مكنونَ سر ... ففك إشكاله فصاحا

خطابها للعقول رمز ... من فاق في فهمه استراحا

دونك فانظر بعين جدٍّ ... هذا ضياء الصباح لاحا (٣٨ ب)

هلال دعواك إن عراه ... خسفٌ وخفت به افتضاحا

ففي ربوع الكرام خيِّمْ ... وعنهمُ لا ترم براحا

وخدِّدِ الخدَّ بانهمال ... تدْمَى المآقي به جراحا

وقل إذا ما شجاك بينٌ ... وأبعدتك النوى امتزاحا

كسيرُ بين بالباب يرجو ... حنانكم فاجبروا الجناحا

فإن تجودوا له بعطف ... فقد حوى النجح والفلاحا

ومـن نظـــــمه المعجـــب وكـــــلامه المغـــرب

ما يشـــهد له بالفضـــل فيه بلغـــاء أهل المغـــرب

ويقـــف عنده المُجيد المُغْرب فى شـــدو الشـــادى

بـين الخمائل ، المحرِّك لغصـــن القـــلب المائل ، يندب

فيـه عمراً مضى وشيبا بمـــــفرقه قد أضـا ، ويستحـــث

الركاب إلى الحبيب ، سيدنا ومولانا محمد عليه الصلاة التامة

والســـــلام العـــاطر ، ما لاح نجم وماس قضيب :

يا شـادياً بين الخمائـــل أطْرَبَـــا ... أصبحت ياشادِ بشدوك معجبـــا (٣٩ أ)

متعت سمعى ثم هِجْتَ صبابتـــى ... لله منك منعمـــاً ومعذِّبـــا

لا زال غصـــنك مائساً من نَغْمَةٍ ... تثـنيه بالأسحـــار أنفاس الصبا

وغياض دوحـك من غضارة حسنها ... تصفـــو مواردها وتعذب مشربا

ألحان لحنك فى الغصـــون تهيجنى ... وتثير وقداً فى الحشـــى وتلهـبا

أذكرتنى لما شـــدوت مغـــرِّدا ... عهد أتولى للصبابة فى الصـــبا

وزمان عمر قد مضـــت أيامـــه ... فيه عهد العيـــش غضاً مُخْصِبا

فالآن قد لاح المشـــيب بمفرقـى ... وغداً خصيبُ العمر عندى مجدبا

وتنكرت منى الحســـان وأخلفت ... عهدى وخانت فى التواصل مذهبا

ونســـيم روضـــى قد تَحَوَّلَ حَرْجَفا ... من بعد ما قد كان نشـراً طيـــبا

يا نفـــسُ أصبحت الغـــداة عليلةً ... فخـــذى إلى طرق النجاة تسببا

حُثَّى الركاب إلى النبى محـــــمد	إن كنت تبغى [1] للسقام تَطَبُّبَا
لوذى بهاتيـــك القباب فإنهـــا	أبداً تنـــيل من الرغائب مطلبا
سقت الغوادى أرض يثرب هاطــلاً	يهمى بســاحات المعالى صَيِّبَا

(٦٠)

ولـه - عفا الله تعـــــالى عنه - يستوقف/الركـائب (٣٩ ب)

فى مغانى الربوع ، ويسأل السائرين إلى ديار الحـــبيب

أن يشرحوا عنده ما بقلبه من ولوع (وَ) يشـــوق إلى

يثرب المقدسة الترب ويحض على السير إليها مع الصحب

أقول لركب يمَّمـــوا أرض يثرب	قفوا العيس إن جئتم مغانى ربوعها
ونادوا بهاتيك القباب وعرضـــوا	بنفسٍ براها طولُ فرط ولوعـــها
تناءت بها الأيام عن أهــــل ودها	فأهملت الأجفان وبلَ دمـــوعها
إذا ما حدا حـــادى الرفاق مزمـزماً	تضرَّم نار الشوق بين ضـــلوعها
فلله ما أشجى أنينَ حنيـــــنها	ورقةَ بلواها وذلّ خضـــــوعها
تحنُّ إلى نجدٍ وتشــــتاق يـثرباً	وما شـــوقُها إلا لتُرْب شفيـــعها
فلو نزعتْ نحو الحبيب بقصــــدها	وســـاعدها الإسعاف عند نزوعها
لأينع روض القرب بعد انذبالــــه	وأخْضَلَ بعد الجدب عشب ربيعها
ولكنها الأيـــام دانت بينها	فتهمى دمـــوع ضرجت بنجيعها

---

(١) كذا .

(٦١)

وممـــا أجـــاد فـــي نظـــمه واكتـــفى

مما ســـماعه وترديـــده بركـــة وشـــفا (٤٠ أ)

قـــوله شـــرح الله صدره في مـــدح سيدنا ومـــولانا

محمدٍ المصطفى صلى الله عليه وسلم وعلى آله وسلم ووفّى بمـنّه :

أجِلْ في مغاني وصف أهل العلا طرفا	ونزّه بروضـــات امتداحهُم طَرفا
وطوِّل إذا ما صُغْتَ أوصاف أحـــمدٍ	وأصحابه الأشراف واستغرق الوصفا
ونظم كتابا من مكارم خُلْقِهـــــم	ودوِّن بعُلْياها الدواوين والصحـــفا
فتلك سجايا ذِكْرٌ وصـــف خلالها	يزيد بها حبي إلى ضِعْفه ضـعفـا
بهم طاب من بطحـــاء طيبة تُرْبهَا	بهم عزّ مثواها منهم شمخت أنـفا
بهم تَمّ ريّاها وفـــاح نـــيمها	بهم تُرْبها قد فاق نَوَرَ الربا عـــرفا
همُ أسسوا العليا وأحـــيوا رسومها	فَفَخْرُ العُلاَ حتْماً عليهم غدا وقـفا
منازل فيها بُرْءُ سقـــمي وعِلّتي	فياما ألذَّ العيش فيها وما أصفـــى
بتُرْب مغانيـــها من السقـم والضنا	وبرح شكايات التبـــاريح يُستَشْفَى
عليّ عهـــود للمـــطايا وثيقةٌ	إذا أعملتْ بي نحو ذاك العلى خفًا
أمرِّغ خـــدى في تراب مسيرها	وألثم إجـــلالاً مواطئـــها ألْفـا
أيا خير خـــلق الله كن لي مُؤمِّلا	فلم أتخذ ركـــنا سواك ولا كهفا
شفيعي ياخـــير الأنام مـــدائح	أُنَظِّمُها درّاً وأحكمـــها رَصْفا
إذا قدّم الراجـــون منك شفـــاعةً	وسائلهم يوماً أقدمهـــا نصفا [١] (٤٠ ب)

---

(١) كذا تيسرت قراءة الشطر وفي المعنى غموض.

عسى بامتداح الهاشميّ وصحبـــه　　سيمنحني الرحمن من فضله لطفا

عليهم سلام الله ما ناح ساجـــع　　بروض رواق الحسن مدّ به سِجْفَا

(٦٢)

وممـــا نظـــــمه في حثّ الركائب وطيّ السباسب

وحرّض فيه على الترقّي لأسنى المراتب وأزكى المطـــالب

ما راق نظمه بمدح سيد الأنام عليه أكمل الصلاة والسلام

قوله متعه الله تعالى بالعافية المتّصلة الدوام بمنّه وفضـــله

إلى منزل الأشراف حُثَّ الركائـــبا　　وللهمة العلياء فاطوى (١) السباسبا

أيا مدعٍ في الحـــب ، والغدرُ شأنُهُ　　إلى كم ترى عن خصرة العزّ غائبا

وقد كنت للأحـــباب تَفْنَى صبابةً　　ولكن أراك اليوم عنهم مجـــانبا

إلى طيبةٍ أرضٍ بها خيّم العـــلا　　فَحُثّ ركاب العزم تُعطَ الرغـــائبا

بزورة قبر الهاشـــمي محمـــــد　　تنَال المنى حقاً وتجنى المواهـــبا

مـــضى العـمر لم تظفر بنيْل لبانةَ　　ولم تقضِ في ريعانه عنك واجـــبا

فَمُتْ كمـدا .... (٢)　　(ونُحْ) حسرةً واهمى (٣) الدموع السواكبا (٤)

ونادِ مُعنّى (٥) سَدّدَ البين نحـــوه　　سهاما لأفلاذ القلوب صوائبـــا　　(٤١ أ)

---

(١) كذا بالياء .

(٢) بقية الشطر غير واضحة .

(٣) كذا بالياء .

(٤) في الكلمة بعض محو .

(٥) كذا في الأصل : « وناد » وأظنها « بكاء » ، وكذلك « معنى » مطموسة أصلاً .

رَمَيْنَ فؤاداً قطعته يَدُ الجـــــوى فطافت به الأحوال فيكـــم مذاهبا

نأت داره عنكـــــــم بغير مـــراده فياحـــسرة قادت لقلبٍ مصــــائبا

وكم رام أن يدنو فَيَنْقَضُ عـــــزمُهُ ومن ذا لأمـــــر الله يغـــدو مُغالبا

أيا خير خلق الله أدعوك راجـــــيا وماكان من يرجـــوك يرجع خائبا

لئن أبعدتنـــــى عن مـــزارك زلَّتى وجرمى فقد يمَّمْتُ قصدك تائبـــا

لعلك لى فى الحـــــشر تشفع إننى بمدحك قد أصبحتُ للعفو طــالبا

ومازلت مداحـــاً لآل محـــــمد وأصحابه السامين قِدْحاً[1] مَرَاتــبا

عليهــــــم ســلام الله ماحن شَيِّقٌ وما قدْ حدا حــادٍ إليهم نجــائبا

(٦٣)

ومِمَّــا نظـــــمه فى مطــالعة البـــــروق

مــرابع البطحــــــاء ، والمامِهِ ساحـــتها

بجنراكم الأنواء ، وشرح فيه ما لبقعة طيبة مــن

الطَّيب والذُّكاء المجد والعَلاَء قوله أمده الله تعالى

بالعافية والنعـــــماء بمــــنّه وفضلـــــــه

يا برق طالع مربــــــــع البطحاء .... بالأنـــــواء[2]

ربْعٌ له قلبــــى يذوب وأضـــلعى تُحْنَى على لهب من البرحــــــاء (٤١ ب)

يأبى علىَّ الصـــــبر عنـــه أن أُرَى إلا ونار الشوق حشـــو حشــائى

---

(١) تتراوح بين قدما وقدحاً ، ورجحنا الأخيرة .

(٢) بقية الشطر متآكلة .

لا شوق إلا أن يُضرَّمَ فى الحـــشا ... وقداً لـــدى الإصباح والإمـــساء

ياســـائلى عن أرض طيبة ، إنها ... أرضٌ بها قد خيَّمتْ أهـــوائى

حُثَّ الركاب إلى مـــغانى ربّعها ... وأدأبْ على الإدلاج والإمـــساء

واقرى [١] السلام على البعاد مُخَصَّباً ... ولْتُعْلِنَنْ بين الخـــيام ندائى

وإذا وصلتَ إلى العقيق فســـلْ به ... عن طِبِّ أسقـــامى وبُرْءِ عنائى

يا ليت شعـــرى هـــل يبرِّد غُلَّتى ... ولهيبَ وجـــدى بَرْد ذاك الماء

ومتى أنادى بالحـــداة لَدَى الحمى ... والنفس قد شفـــيت من الغـــمَّاء

والدارُ دانيةٌ ودوحـــةُ وصلِهـــم ... قد أينعـــت أزهـــارها بوفاءِ

قد طاب مرتبع بطـــيبة فانزلوا ... ورِدُوا بهـــا ماءً بغـــير رشـــاء

هذى منازل أحمد فقفـــوا بهـــا ... عيساً براها الـــسيرُ بالإنـــضاء

شكراً فقبِّل وَطْءَ مســـراها فـــقد ... خَضَبَ الوَجى أخـــفافها بدمـــاء

ولقد يقلُّ لوطئهـــا التقـــبيل إذْ ... فى خطـــوها بُرْءٌ مـــن الأدواء

لمْ لا وللقـــبر المعـــطر تُربةٌ ... قد أوصلت أشـــلاؤها أشلائى [٢]

يا أرض طيبة والديار قصـــية ... سقـــاك رِياً وبْلُ كلِّ سـماء (٤٢ أ)

ومشت عليك صبا النـــسيم عليلةً ... تنـــدى بطيب الروضة الغـــناءِ

---

(١) كذا ، ولعله يقصد : « واقْرَ » من القراءة ، مع تسهيل الهمزة ، ثم حذف الألف لبناء الأمر على حذف حرف العلة ، ويستبعد أن يقصد « واقرى » من القِرى ، وإثبات الياء هنا أيضاً خطأ .

(٢) كلمة « ولمْ » وكلمة « أوصلت » فيهما طمس ، وكلمة تربة تبدو « قربة » والمعنى بعيد وإن كان محتملاً .

(٦٤)

ومن شعره النفيس ، الآخذ بمجامع النفوس قوله – نفعه الله تعالى بالتقوى وكساه منه [1] أجمل لبوس بمنّه وفضله :

انظر على أى حال أصبح الطلل	وخل دمعك فى الآفاق ينهمل
وقف وقوف حزين فى منازلهم	وابك الذى أسلفت أيامك الأول
لله ربع خلا من أهله وعفا	للفكر فى بعضه عن بعضه شُغُلُ
يذيبنى حسرةً ترنيم حاذى السنوى	وتستبيح دمى الأحداج والإبل
أصبحت يوم نأى عنه الخليط ضحى	وأضلعى بلهيب البين تشتعل
قفوا حداةَ النوى أحداج عيسكم	أبثها شوق من ضاقت به الحيل
ما أنسَ لا أنسه إذا أدلجوا سحراً	وللحداة بوادى وجرة زجل
يا راحلين بقلبى والفؤادِ معاً	لى نحوكم أملٌ لو صح لى الأمل
بحق شوقى لساحات العقيق إذا	ما جئتُمُ أرض دار المنحنى فانزلوا
بها وقولواغريبٌ نازح .... [2]	بالغرب أضحى وعنه سُدّتِ السبلُ
لأرض طيبة تاقت نفسه فانثنى	بذكرها .... [3] (٤٢ ب)
لمْ لا وفيها ثوى مخيَّما سيدٌ	بفضله تشهد الأملاك والرسلُ
له الشفاعة يوم الحشر قد وهبت	والناس ضَمَّهُمُ الأهوالْ والوَجَلُ

---

(١) كذا ، ولعلها « منها » أى من التقوى .

(٢) غير واضحة .

(٣) غير مقروء .

عُلاَ أبى القاسم المحمود نائلُه   عُلاٌ بأسرار سِرِّ الحق يتصل

بها أنارت لنا أنوار شمس الهدى   ومن يقل غير هذا فهو مختبل

هو الذى فخره قد فاق كل عُلا   فما له فى الورى نِدٌّولا مَثَلُ

هو الذى مدحه فخر وتكرمةٌ   وحبُّه لم يزل تُشفَى به العللُ

عليه منى سلامٌ عاطرٌ نفحهُ   ماحَثَّ سيراً لمغنى ربعه جَمَلٌ

(٦٥)

ومن نظمه الأطيب وشعره

المستعذب فى ترديد الحسرات

وإهمال العبرات ، قوله – عفا الله تعالى عنه بمنه :

أرَدِّدُآهَ من أسف وحزن   وما تجدى لدى الحسرات آها

وأهمل أدمعاً كالقطر سَحّاً   على نفس نواها قد براها

نأت عن دار أحباب كرام   فأضناها وأشجاها نواها

رمتها أسهم الأقدار قصدا   فذادت عن لواحظها كراها

مناها أن تحل ديار نجد[1]   وماتبغى من الدنيا سواها (٤٣ أ)

وما دار بنجد تيّمتها   ولكن حبُّ من وارى ثراها

فلو لثمت ترابَ ثرى قباب   بطيبة دارها نالت مناها

قباب للعلاء وللمعالى   سنا شمس الظهيرة من سناها

وَحَقِّ بهائها وضيا سناها   لقد زُهِىَ الزمان بها وتاها

---

(١) فى هذا الجزء غموض .

فلا زالـــت تحــفُّ بها العــوالى وتحمـــى من أعـــاديها حماها

لقد حجبتنى الأقـــدار عنهـــا متى يقضـــى لعينىَ أن تراهـــا

عليهـــا ما شَدَتْ وُرْقٌ ســـلام فشـــوقى نحـــو مربعها تنـــاهى

(٦٦)

ومن بديـــع النظـــم ورائقـــه ونفيـــس الشـــعر وفائقـــه مايذيـــب القـــلوب برقّته وانطـــباعه ، ويحرك النفوس إلى الوجـد فى أماكنه الزكية وبقاعه ، قوله – عفا الله تعالى عـنه :

بُرَحَـــاءُ وجـــدى ثار حرٌّ غليلها فمتى بعذبِ نميرِ قُرْبكَ ينقـــعُ

أترى الزمان يجـــود منك بخلوة فأبثُّ أوصابى إليك وتسمـــع

ما للعـــميد يذاد عن أبوابـــكم وبكم لكـــم مما جنى يتـشفع

أيُذَادُ عن حـــرم الـــنوال مؤملٌ لحنانكـــم آمـــاله تتـطلّع (٤٣ ب)

يا ساكنى العَلَمَيْنِ من سقط اللـوى حتى متى بنوى البـــعاد أزعـزع

فوضٌ ما بى من جـــوى وصبابة لا زال فيكم للمؤمـــل مطمـــع

قد كنت أشفق مـــن قوع نواكمُ واحســـرتا وقع الذى أتوقـــع

ضاقت علىَّ الأرضُ حين هجـرتمُ وتصدعت كبدى فمـــاذا أصنع

لا حول لى إلا الدموع عسى الذى قد فاتنى منكم بكـــم يستـرجع

أسفى على ساعات عـــمر قد خلت هيهات لو كان التأســـف ينفع

يانفـــس ذوبى حسرةً وتلهفـــا ولّى الشباب ومامضى لا يرجـــع

فاستدركى بالحزم منك بقية | أعلام مربعها خلاء بلقع
حتى الركاب لأرض طيبة إنها | أرض ثوى فيها النبىُّ الأرفعُ
كم خَطَّ فكرى من سطور عزائم | نَقْضُ القضا مابينهُنَّ يوقع
سبق الكتاب بكل أمر كائن | فاسكن فما لك فى المقادر مدفع

(٦٧)

ومن نظمه فى الغليل واللوعة

وشرح الشوق وإهمال الدمعة

قوله - شرح الله صدره،ونوَّر قلبه بمنه :

إلى كم ....[1] نفسى ملاماً | ونار الشوق تضطرم اضطراما (٤٤ أ)
دعوا لومى وتَعْذَالى فإنى | بهم أصبحتُ صباً مستهاما
برَى جسمى لهيب غليل شوقى | فحالفت الصبابة والسقاما
أروم لبانةَ صدعت فؤادى | وكيف بها وقد بعدت مراما
إذا نفحت سحيرا ريح نجد | أرى الأشواق تزدحم ازدحاما
وإن لاحت قباب للمصلى | أذوب بفرط لوعاتى غراما
ألا هل نهلةٌ من ماء سلع | فتشفى من ظما مضنى أواما
ذكرت البانَ بانَ الغَوْرِ ذكرى | معنى شجوُه يشجى الحماما
فَضرَّمَتِ الحَشى الذكرى لهيبا | وسَحَّتْ دمع أجفانى سجاما
فيالله من قلب نواه | تقطعه وتصميه سهاما

---

(١) غير واضحة .

ذكرتُ معاهد البطحـــاء ذكـــراً نَفَتْ حســـراته عنى المـــناما

فبِتُّ وكفٌّ أشجـــانى وحـــزنى كســـتنى للأســـى ذالاً ولاما

قضى حكم النوى حتـــماً بـــذلى فَعَوَّضنى من العـــز اهتضـــاما

فلو أن الحبـــيب قضى بقـــربى لَحُزْتُ مراتباً شـــرفت مقـــاما

سأبكـــى منزلاً قد با ن عـــنى وأهـــدى نحو مربعها ســـلاماً

(٦٨)

ومـــن نظـــمه عفا اللـــه تعـــالى عنه (٤٤ ب)

فى شـــهر ربيـــع الأبرّ ومولد رســـول الله

صلى الله عليه وسلم الأغرّ ، وهو من بديع الكـلام

ونفيس النظام ، قوله - بوأه الله تعالى دار الســـلام

هذا ربيعٌ قد أتـــاك مبـــشرا بقـــدوم مولد خيرِ مَنْ وطئَ الثرى

لا شـــك فيه أنه فى فـــضـــله بين الشهور كمثل أحمد فى الورى

وافاك يزهو بـــين أشهرِ عامـــه متهـــللاً متـــدللاً متبـــخترا

بهر الشـــهور بليـــلة نبويـــة ضمـــنت له آياتـــها أن يبْهَـرا

أرِجَ الزمان بذكـــره فكأن فى الْ أفواهِ مـــن ذكراه مِسْكـاً أذفـــرا

فيه تطلـــع نـــور بدر هـــداية ياما آجـــلٌ سنا عُـلاه وأخطـــرا

نورٌ قضى رب الـــورى تتْمـــيمَهُ حتمـــا على رغم العُداة وقـــدرًا

شرفٌ لأحـــمد قد أتى تعظـــيمَهُ بالنـــص فى آى الكتـــاب مُسَطَّرا

لولاه ما طلـــعت بدورَ أهـــلة كلا ولا صُـبْحٌ أضاء وأسفـــرا

للخلق أرسِلَ شــاهِداً ومبــشرا ومُشَفَّعــاً فى المذنبــين ومنــذرا

للــــه مــجدٌ فخرُهُ مُتــقدِّمٌ فى المعــلوات وإن أتى متأخــرا

(٦٩)

ولــــه - عفا الله تــعالى عنه - يبـث أشــجانه (٤٥ أ)

ويشكـــو البُعْدَ وزمــانه ، وهو مما أجــاد فــيه ،

وجاء سابقاً فى جميع مناحيه ، قوله - سمح الله تعالى له :

.... (١) البُعْدَ قَصُّ القــوادم لكنت مع الأظعــان أول قادم

وكيف لمن أضــحى لَقَىً بلقاكم وأعلامه قد أصبحت كالمعــالم

سلوا ليله عــن شجوه ونهــاره فقد أشفــقا من حزنه المتــداوم

هما أخَّراه عن مدى مَدْرَك العــلى هما قيَّداه عن بلــوغ المكــارم

فها هــو فى أفنان دوحة حزنه يطارح بالأســحار نوح الحمائم

فمــن مبــلغ عنه العقــيق بتحيةٌ كما نَمَّ غِبُّ القطر زهر الكمــائم

لئن بانَ بانُ الغور عنه فمــا له نصيرٌ سوى سحِّ الدموع السواجم

أيا سرحة الوادى متى تمــنح اللقا ليالٍ ترى التفــريق ضــربة لازم

ولما حدا حادى الرفـــاق بيثرب وحثوا مسير اليعــملات الرواسم

وخلفنى ضعفى أفضت مدامعــى وَقَبَّلْتُ بالأوهام تُرْبَ المــناسم

ترى تجمع الأيام شــملاً بشملهم فيصدق للمشتاق صدق الــعزائم

وتطلع أقــمار بطــالع أسعــد .... (٢)

أيا دهر إن فرقــتَ شــملى أولا عساك إذا تقــضى يُنْجِح الخــواتم (٤٥ ب)

---

(١) أول البيت ضاع فى التصوير.

(٢) هذا الشطر مطموس .

(٧٠)

وله - عفا الله تعالى عنه في توديع يثرب وسكانها ، والتشوق إلى قربها والتأسف على بعد جيرانها ، وهو مما يصدع القلب بشجوه ، ويحرك البلبال برقة شدوه :

يا جيرة ودعوا والقلب منصدع ... هل في اللقاء على بعد المدى طمعُ
راحوا وقد أُودِعَتْ أحشاؤهم حُرَقاً ... لله ما أُودعوا بالجزع إذ جزعوا
دارت عليهم كؤوس الدمع مترعةً ... تسقيهم جُرَعاً من بعد ما جرعوا
عن يثرب رحلوا وكلٌّ راحلة ... فيها حنين له الأحشاء تنصدع
شاموا من الخيف برقاً صادقاً فهَفَتْ ... لبينه سُحْبُ دمع ليس تنقشع
ثنوا أَزِمَّتَهُمْ يوم الرحيل ومن ... كُلٍّ الثنايا لها الآمال تطلع
من الضنا خلعوا عليهم خِلَعاً ... لله عند انتزاح الدار ما خلعوا
لِمْ لا يرون الضنا يوم النوى خلعا ... ومن سناها على أعطافهم خلع
يا أرض طيبة والآمال مطمعةٌ ... هل لي بساحات ذاك الربع مرتبعُ
نادَى عُلاكِ بآمال الورى فلها ... مع الأماليِّ في ناديكِ مجتمع
أَلْبَسْتِ بهجتَكِ الأيامَ فابتهجت ... وحلّ فيكِ التقى والدين والورع (٤٦ أ)
ياحسرةً لبعيد الدار مكتئب ... لم يبق منه لصرف الدهر منتفع
جار الزمان عليه في حكومته ... فصار يصغى لما يلقى ويستمع

سكانُ وادى الحمى والمنحنى ومِنَى ... تُرى على البعد مامِنْ بَعْده صنعوا[1]
تلك المغانى وإن شط المـــزار بها ... قلبى على بعـــدها حرَّان منصدع

(٧١)

ولــــه - عفـــا الله تعـــالى عنه وشكر قصــــده
يذيـــل عـــلــى الأبـــيات الأربعـــة الأول
لبعض الصالحين - عفا الله تعالى عنه - فى قيام ليلة القدر
والتوجع على توالى الكسل فى هـــذا الأمر ، وفى ذم الدنيا
وزوالها ، وشرح معانيها وأحوالها قوله - سمح الله تعالى له :

أيا ليلة الـــقدر الشـــهير مكانــها ... أضــعنا وحق الله قدرك من قَدْرِ
فواأسفاكم ذا التكاســـل والونَى ... تغافلت يا مغــرور عن ليلة القدر
وقومٌ على باب الكــريم وقوفهـم ... يناجون مولاهــم قياما إلى الفجر
تضئ بإشراق الخلوص وجوههـــم ... فنورهمُ فى ظلـــمة الليل كالبدر
فياحُسْنَهُمْ واللـــيل أسدل جُنْحَهُ ... وأدمعهم تهمى كمنسكب القطـر
أطالوا على باب الكـريم وقوفهـــم ... ومـــن لازم الأبواب يظـــفر بالبرّ (٤٦ ب)
فذا وأبيك الحزم فاعمل بحـــسبه ... فما أقبح التقـــصير فى آخر العمر
مضى عنك ريعان الشباب ولم تتـب ... فماذا لهول الحشر أعددتَ من حِذْرِ
أفِقْ كم أطلت النوم واقــصر فإنمـا ... لياليك أحداج تســوق إلى القـبر
ألا إنما الدنيـــا - فديتُك - فتنة ... وفتنتها من أعـظم الوزر فى الحشـر

---

(١) تقديم وتأخير قبيح ، والأصل : ترى على البعد ما صنعوا من بعده ؟

فدعها ولا تأمن لخـــدعة مكـــرها ... فكم مغرم فيها تجازيـه بالغَدْرِ

نصحتك فاسمع من مقالة ناصـــح ... دعاك إلى التوفيق في السر والجهر

ولُذْ بالـــــنبي الهــاشميّ وحبِّهِ ... وحب أبي حفص وحـــب أبي بكر

وباقي الصـــحاب الغُرِّ من آل هاشم ... ذوى العزِّ والعلــياء والمجــد والفخر

أيارب وأنفـــعنا بحُبِّ جميــــعهم ... وشفعــهمُ فيما اقترفنـــاه من وزر

(٧٢)

ولـــــه - عفا الـــله تعالى عنه - يذيل علـــى البيتين الأولين من هذه القــــــطعة ، وهي لبعض الصالحين - عفا الله تعالى عنه - في هجر المضاجع والقيام ، والعكوف على خدمة الملك العــــلاّم :

هجروا المضاجع والتنـــعم والهـوى ... قاموا على قدم المتـــاب الأحمدِ

طردوا المنام عن الجفـــون وأيقـــظوا ... جفن الســـهاد إلى الإله الأوحـدِ (٤٧ أ)

سَحُّوا المدامع ثرّةً إذا أيقـــــــنوا ... أن انســكاب الدمـــع أخذٌ باليدِ

لم يَخْلُـــــصُوا سبقاً إلى دَرَكِ العُلَى ... إلا وقد هجَـــروا لذيذ المـــرقد

خلصوا من الكدْرات لما أخلـــصوا ... ولذاك فازوا بالنــــعيم الأرغد

صاموا الهجير وأظـــمئوا فيه الحشا ... فغـــداً يُرَوَّى من لذيذ المـــورد

شهدوا - فديتك - مشهدا ما مثله ... فيما يروم أولو النهى من مشـــهد

فاقصد إلى تلك المقـــاصد والتزم ... سَنَناً تُبَلَّغْ فيه أســـنى مقـــصد

يا قاصراً عن حلبة جـــازوا المدى ... لـــن تَبْلُغَنْ مداهُمُ فلتجهـــد

إن لم تطق لهم مساجلة فلذ ... بالهاشميِّ الأبطحيِّ محمَّد

واعْمل إلى تلكِ المعاهد رحلة ... واطوِ السباسب للبقيع الغرقد

فعساك تُمنَحُ إن حَلَلْتَ به الرضا ... وتنال سعداً فى مقام أسعدِ

ياحادى الأجمال يأمل طيبة ... مهما بلغتَ مقام ذاك المعهد

أوجئتَ أكناف الحمى والمنحنى ... بلغ تحية مستهام مكمد

يشدو على بُعْدِ الديار وشحطها ... بلسان شادٍ فى الغصون مغرِّد

أتُرَى الزمانُ يعيد لى ما قد مضى ... فأَرَى وحُكْمُ السعد فيكم منجدى

(٧٣)

(٤٧) وله – عفا الله تعالى عنه –فى وقفة التوديع

ورقة القلب الصديع ، ما فاق فى المعنى

النفيس ورقَّ فى اللفظ الجزيل البديع :

صدعت فؤادى وقفة التوديع ... ما للنوى ولقلبيَ المصدوع

ودعتهم سحراً وأدمع مقلتى ... ممزوجةٌ أمواهها بنجيع

مالى وللبين المُشتِّ أما اشتفى ... مما جنساه وساعةِ التشييع

لو أبصرتْ عيناك حالى بعدهم ... لأسفتَ من أسفى وذل خضوعى

إن النوى حكمت على بجورها ... جَوْرُ النوى أذكى لهيب ضلوعى

عجباً أتدعونى النوى فأجيبها ... هلاَّ عصيتُ وكنت غير مطيع

أرسلت دمعى للنوى متشفعا ... لو أنها قبلت ذمام شفيع

لو أن قلبك يوم بانوا سُحْرةً ... صخر لذاب لرقة التوديع

ماكنت أحسب أن بيناً كـائنا[1] كلا ولم أشـعر له بوقـوع

حتى أُصيبَ القلب يوم وداعهـم سحـراً بسهم للفؤاد مُريـع

قد كدتُ يوم فراقهـم أفنى أسى لولا التأسـى منهمُ برجـوع

يارب قرّبْ أوبةً منهـم علـى إكمال تيسير وحسـن صـنيع

وأنِلْ خليفتك الإمـام المرتـضى ما شاءه فى مجـرمٍ ومطـيع (٤٨ أ)

وافتح له وانصره واقـضِ لحـزبه بـدوام عـزّ لا يُـرام منيـع

(٧٤)

ومـن نفـيس نظـامه ، ورقيـق كلامـه

مايحـرك خطـرات القلـوب إلى الاستعـطاف

ويجذب أرواح الراجـين إلى التضـرع والاستلـطاف

قوله - نفعه الله تعالى - بما تحلى به من هذه الأوصافِ :

لطفاً بعبدٍ قد أتاك ضعيـفا فلقد عهدتك بالضـعيف لطيفا

إنى ألفتُ وفاءكم ومـنَ الوفـا أن تمنحوا راجيكم المـألوفا

بكم ألوذ من البعـاد وصـرفه فمتى أرى صرف النوى مصروفا

حاشاك أن يغدو المؤمـل خائباً وبباب طَوْلِك قد أطال وقـوفا

يابدرَ آمالى وشمـس رجـائها لا تعقبوا شمس الرجاء كـسوفا

كاسات بعدك أسكرت مضنى النوى دارت عليه فلا يـزال نزيـفا

فإذا بدا نور اللطـائف عـاد فى صحو ومَدّ له الرجـاء سجـوفا

---

(١) كذا بالنصب .

حلف البعاد غدا ببـــابك واقــفا ولأنت أكـــرم من أجار حليفا

من لى سواك ولم تزل ياعـــدتى بى فى الأمور المعضـــلات رؤوفا

أوسعتنى نُعْمَى تضاعــف عدهـــا فوّفتَ أبرادى بهـــا تفـــويفا (٤٨ ب)

ياواحداً صمــــداً قديمـــاً لم يزلْ بالعفـــو عن زلاتنا معــــروفا

لك بالعــباد عظــيمُ لطفٍ جلّ أنْ نلفيه محـــدوداً ولا موصـــوفا

ولذا مددتُ يد الضــراعة راجـــياً وعليكـــم أمـلى غدا موقـــوفا

وجعلتُ أحمـــد شافعى فبحـــقه كُنْ يارجـا أمــلى علىَّ عطوفـا

فعليه من نائى الديـــار تحــيةٌ يتّدَى ربيعـــاً عرْفُها ومصـــيفا

(٧٥)

ومـــن نظـــامه الحســن البديــع وشعـــره

النفيـــس المطبـــوع قـــوله عفـا الله تعـــالى

عنـــه فـــى الشــــهر الأغــرّ ربيــــــع :

أسدت إليك يدُ الـــزمان صنـــيعاً روضـــاً غدا بالغاديـــات مَريعا

فاشكرْ مُدَاولة الزمـــــان فإنـــها قد أوصلتْك من الشهـــور ربيـــعا

وابْهَجْ بشهرٍ قد سَعِدت به تكـــن للبان ثدْيِ المعلـــوات رضيعا

شهرٌ به طلعت شمـــوس الدين فى برج السعود على الكمـــال طلوعا

رُفِعَتْ لخـــير الخـــلق فيه رايةٌ أضحى بها عِز الوجـــود منيـــعا

شهر بيـــمن المصـــطفى والمجتبَى قد طاب مـــورده ولذّ شروعـا

ياحُسْنَهُ بين الشهور لقد حوى   قدراً على كل الشهور رفيعا   (٤٩ أ)

لم لا وفيه ليلةٌ نبويّة   بجمالها ظلّ الزمان بديعا

ياطالباً للرّبح فيه لا تنم   هذا أوانُ أن تسحّ دموعا

فيها بأحمد كن له متشفعا   وكفى بأحمد فى الذنوب شفيعا

وأطِلْ بباب الفضل فيها وقفةً   واقطعْ خضوعاً ليلها وخشوعا

ياحرّ مابين الجوانح من لظى   لهبٍ عليه قد طويتُ ضلوعا

أسفى على أيام عمر قد مضت   حسراتُها تدع الفؤاد صريعا

فلأسكبنّ عليه وبْلَ مدامع   وأضرّج الخدين فيه نجيعا

يا وُرقُ طارِحْنَ الشجون أنا جوىً   بفناء مغنى الحزن بات صريعا

لم تُبقِ منه شجونه إلا ذما   أضحى صميماً للفنا ومطيعا

أترى الليالى هل تجود برجعة   هيهات لا أرجو لذاك رجوعا

لكن على ما كان منى لم أزلْ   أرجو إليه أوبةً ونزوعا

وبحب أحمد أرتجى نيل المنى   وبمن له فى التُرب حلّ ضجيعا

حادى الرفاق لأرض طيبة كن إذا   جئتَ العقيق لما أكنّ مذيعا

خبرهمُ أنى لوقع نواهم   مازلت مصدوع الفؤاد مروعا

فعلى العقيق تحيةٌ من ذى جوى   يغنى ضناً وصبابة وولوعا   (٤٩ ب)

وله ـ عفا الله تعالى عنه في البـدار
إلى المتاب ، والتطارح على الأبـواب
قوله ـ نفعه الله تعالى بها وبأمثالها يوم المآب :

بادر إلى محـو الذنوب بتـوبة ... فعسى رضا مولاك منك قريب
واضرع إليه في الدُجُنّةِ خاضعا ... وسحاب دمع المقلتين يصوب
طلعت شموس الصالحين واشرقت ... وبدا لشمسكَ بينهن غروب
أيام ريعان الشباب أضعتها ... فمتى أراك إلى المتاب تُنيب
لا تأمَنَنْ حدث الزمان وخَطْبَهُ ... إن الزمان حوادث وخطوب
لا يخدعنّكَ يا غفول بسلْمِهِ ... فالسِّلْمُ مكرٌ عنده وحروب
أمسك عنان الطرف عند جماحه ... فأمامه يوم ـ فُديتَ ـ عصيبُ
راقبْ إلهك في الجوارح كلها ... فبكل جارحةٍ عليك رقيب
مرضٌ بقلبك لا يزال وماله ... إلا الدموع الهاطلات طبيب
واحسرتا لشباب عمر قد مضى ... زرت عليه للقلوب جيوب
تالله لا أدت دموعي حقه ... لو أنني في حزنه يعقوبُ
لله عصرٌ فيه قد نال المنى ... صحبي ومالي بينهن نصيبُ (٥٠ أ)
يا خيرَمَنْ وَطِىءَ الثرى شكوى فتى ... قد أبعدته عن ذراك ذنوبُ
ناداك والأشواق تحدو قلبه ... فله على بُعْدِ المزار وجيبُ
أيذوب أشواقاً ويفنى حسرة ... وفِناً جناب الفضل منك رحيبُ
ماحال مَنْ بالغرب أضحى مفردا ... وله بساحات العقيق حبيب
فعلى العتيق وساكنيه تحية ... تسرى بنفحتها صبا وجنوب

(٧٧)

وله ـ عفا الله تعالى عنه في كفّ الملام ، والرفق بالمستهام ما بهر به كُلّ شعر وراق كُلّ نظام ، قوله ـ أعلى الله درجته فى دار السلام

أَلُوّامى إلى كم ذا ألام ولومى فى الغرام بهم حرامُ
أَيُعْذَلُ في الصبابة مستهامٌ له بالغور قد لاحت خيام
على زفراته يطوى ضلوعا عليها بالضنا حكم الغرام
فيالله من صَبٍّ حزين بشجو شجونه صح الحمام
أصاب فُؤَادَهُ للبين رامٍ فأصمته على كَثَبٍ سهام
إذا ذكر العقيق وساكنيه فللدمع انهمال وانسجام
وإن هبّتْ صبا نجْدٍ سحيراً فَلَلأشواق وجد واضطرامُ (٥٠ ب)
ألا هل نهلةٌ من ماء سلع فيُشْفَى من غليل ظمأ أوامُ
أيا تلك المعاهد هل سبيلٌ فيُمنح في ذَرَاك لنا مُقَام
أقول ولى إلى مغناك شوق له أبدا على قلبى التزام
أيا داراً بطيبةَ لى حنينٌ وشجوٌ نحو ربعك لا يرام
تُرى الأيامُ تجمع فيه شملى فيُقْضَى بعد تفريقى انتظام
على ساحات ربعك من مُعَنّىً بعيد الدار مغترب سلامُ

ولـه ـ عفا الله تعالى عنه ـ يـذيل على البيـت
الأول من هذه القطعة ، وهما مما جمع فيه
بين الجزالة والبيان والرقة والصنعة :

هذا العــقــيق وبانُهُ والأجــرع ... وقـصــورُ كـاظمـةِ خـلاء بلقعُ
أخنى الزمان على مغانى ربعـهـا ... ياحَرَّ مـا تُطْوى[1] عليـه الأضلع
خـدَّى عليـهـا خـدَّدتْه مـدامـعى ... ياويح خـــدى خـــدَّدتْه الأدمع
لله مــا أشـجى مـغـانى مــربع ... نَسَجَتْ مـــعـــالمهُ الرياح الأربَعُ
تلك الربوع وإن تطاول عــهــدها ... فلهـا بقلبى حـسـرةٌ . وتوجع
مــاكــان أرْغَدَ عــيشَ أيامٍ بهــا ... سلفـت ووقتٍ بالمســرة يُقطعُ (٥١ أ)
إذ كـان روض العيش غـضـاً يانعـا ... ولنا مَقَـــيلٌ فى ذراه ومـــربعُ
فـالآن قــد حكم الزمـان بيـيننا ... ونعى بفـرقـتنا الغـراب الأبقعُ
أترى تعـود لنا ليـالٍ قـد مـضت ... هيـهـات مـا فى رد ذلك مطمعُ
ياناد ب الأطلال ويحك كم ترى ... والجـــفنُ دام والفــؤاد مُصَدَّعُ
دع نـدب ربـع دارس وارحـل إلـى ... أرضٍ بهـــا نور النبـــوة يسطع
فـمناك مـوردُ عـذبِ مـاءٍ بردهُ ... يشـفى غليـلاً من ظمـاك وينقع
ياسـائلى عن أرض طيـبـة إنهـا ... أفق به شـــمس المكارم تطلع
للمـجـد أفلاك بيـثـرب أشـرقت ... فـبكل نادٍ من ســنـاها مَطْلِعُ
لو كـان لى حـولٌ أتيت ربوعـهـا ... لكنّ مـا قــد شـاء ربى يصنع
فـعلى المنازل بالعـقـيق تحيـةٌ ... مـــابات غِرِّيدُ الأراك يُسَجِّعُ

---

(١) كـــذا بالضم .

وله عفا الله تعالى عنه ونفعه فى
شرف المصطفى عليه السلام ومجده
وشكر أوصافه العلية وحمـــــــده

[أشرف] المجد ومحض السؤدد	للنبىّ المصطفى مـــحـــمّدِ
وله فى الفخـــر أعلى منصبٍ	اقــتناه فى كــريم المحتـــدِ (٥١ ب)
صف وعدد ماتشـاء من عُلا	ســيــد فى المعلوات أوحـــدِ
بعـــلا عُلّىَ قـــدر مـــجـــده	كلُّ ذى عـــلا عُلّىّ يقــتــدى
وبـــأنـــوار بـــدور هـــدْيـــه	فى غـيـاهب الضـلال يهـتـدى
وكفّهُ كـــالمزن فى تهـــتـــانه	قـدْ همـا سـحـاً لكل مـجـتـدى
يارســول الله قـــد أســدت لنا	مِنَحُ الألطاف بيــضـــاء اليـــد
سـامـعى فـخــر النبى احـصـروا	هذه أوصــاف مــجــد أحـــمــد
منشـدى بوصف أوصـاف صَفَتْ	أحــيــنى بذكـــرها يا منشـــدى
غننى بهـــا ثناءَ أحـــمـــــد	قـــد ثنانى عن مـــغـــانى مَعْبَد
فلقـــبى فى الســـمـــاع غُلّةٌ	حرُّها يذكى غليلِ الكبـــــد
كـيف لا نهـتـز عند ذكـر من	يرتجى للمــعــضــلات فى غــد
يوم يجـزى الناس مـا قـد عـملوا	يشــهـد الفـضل له فى المشـهـد
وترى له بذاك مـــوقـــفـــا	خُصّ فــيــه بالمقـام الأحــمــد
إذ يُرىّ كل نبىّ خـــائـفـــا	يســأل الرحـمن أخــذاً باليـــد

ورســـــول الله مَعْ أمـــــتـــــه   دافـــعـــاً عنهم عظيم الكمـــد
تارةً عند الصـــراط واقـــفـــاً   ولَدَى مـــيـــزانهم بالمَرْصَدِ (٥٢ أ)
وكـذلك الحوض يسقـيـهم به   من كؤوس قـد صـفت في المورد
وينادي يا إلهي أمـــتـــي   ربِّ فـانجز فـيـهمُ لي مـوعـد
أمـــةَ المخـــتـــار مـــا بالكمُ   لاتصلُون على ذا الســـيـــد
أكـثـروا عليـه من صـلاتكمْ   وأديمـــوهـــا دوام الأبـــد
فـصـلاة الله تغـشى أحـمـداً   وتروح نحـــوه وتغـــتـــدي

(٨٠)

وله عفا الله تعالى عنه وشرح صـــدره
يذكر مجد النبيّ صلى الله عليه وسلم وفخره

لمحـمـد المختـار مـجـدُ فـخـرُهُ   تعنو لعـــزة قـــدره الأقـــدار
أنوار غُرّته وحـــسن بهـــائهـــا   منهـا استـمدت حسنهـا الأنوار
وسمـاءُ بهـجـتـه إذا مـا أشـرقـت   منهـا الشـمـوس تضيءُ والأقـمـار
ولطيب نفـحـة ذكـره تحكي لدى   أسـحـارها غبّ الســمـا الأزهار
لله منه خـــلالُ أوصـــاف بَدَتْ   تشـتـاقُهـا الأسـمـاع والأبصـار
في وصف أحـمـد واعـتـلاء علائه   عـجـز اللسـان وحـارت الأفكار
قَدْرٌ عـلـيٌّ لـيـس يُدْرَكُ كُنْهُهُ   ناهيك مـجـدُ حـازه المختـار
سـرٌّ عـجـيبٌ جلّ عن أفـهـامنا   لا تسـتـقلّ بدركـه الأعـمـار (٥٢ ب)
هـذا عـــلاءٌ قـــد علَتْ راياتُهُ   وحـمـتهُ قِدْماً بالظُبَا الأنصـار
آيُ الكتـاب بفـخـره قـد أنزلتِ   وبمدحـه قـد نُظِمَتْ أسـفـار

يا ربع دار حلّ فيها أحمدٌ والسادة الخلفاء والأبرار

مَنْ لى بخدٍّ فى ثراك مُمَرَّغ ودموع عين سَحُّها مِدرار

من لى بلمحة نظرة يُطْفَى بها من لفح ملهوب الجوانح نار

مَنْ لى بمورد عَذْبِ ماءِ برده يُشْفِى به صَبٌ براه أوارُ

مَنْ لى بأن أحظى بزورة منزلٍ للوحْي فى جنباته آثار

فمتى أحُلُّ حِمَى العقيق مخيما ويقرّ لى عند الحبيب قرار

ومتى أرى يوماً به تُقْضَى لذى الأشواق مما قد نوى أوطار

ومتى بأكناف المُحَصَّبِ والحمى يوما تُتيح لنا اللقا الأقدارُ

فلقد ذوى غصن الشباب وأثقلت ظهرى بواطأة عبئها الأوزار

لكن على كرم الكريم توَكّلِى فهو الجواد المفْضلُ الغفّارُ

وبأحمدٍ أرجو الشفاعة فى غدٍ فله بها يوم النشور يُشار

فعليه من نائى الديار تحية ما نَمّ نسرينٌ وفاح عَرَارُ

(٨١)

(٥٣ أ)

وله عفا الله تعالى عنه ـ فى اكتساب
التَّجْرِ الرابح ، والدُّؤوب على العمل الصالح
مع ما تضمّنت من ذكر فضل الخلفاء الأربعة
عليهم الرضوان :

هذه أسواق ربح السؤدد فاكتسب أعلاقها كىْ تَسْعَدِ [١]

نُشِرَتْ أمتعةُ التوفيق فى طالع الهَدْىِ فهل من مهتدِ

فتلقاها أولو الحمد الذى [٢] حَلّ عُلْيَاهم مَحَل الفرقد

---

(١) كذا بكر الدال بعد « كى » .

(٢) كذا ، والصياغة مرتبكة .

بذلوا أنفسه في كسبها — بصفا القلب وحُسْن المقصد
وسعوا بسعي المجدّين لها — ليس يحوى المَجْد من لم يَجْهَد
حزتمُ العليا وفزتم بالمنى — يا صحابة النبيّ أحمد
من كعلياءِ أبي بكر الذى — حاز بالإيثار بيضاء اليد
أو كمثل عمرَ الفاروقِ فى — نصر دين الله يوم المشهد
أو كعثمان شهيد الدار ذى الـ — ـملوات والتقى والسؤدد
أو علىّ بن عم المصطفى — الهمام الفارس المؤيد
لصحابة النبىّ أثرةٌ — ورثوها عن جلال المحتد
فهمُ كالزهرِ يُهتَدَى بهم — فاقفُ أثار الشموس تهتدى (٥٣ ب)
حبّ أحمدِ وحبّ صحبه — يوم حشر الخلق أخذ باليد
فعليهمُ سلام طيبٌ — من محبٍّ بالنوى مقيَّد

(٨٢)

وله عفا الله تعالى عنه وأمده بنعمه
الكافية على العروض والقافية :

ياسراة الحىّ ما أشجى النوى — لفؤاد متيّهام مُكْمَدِ
قد وردتم منهلاً يشفى الصدى — وحُرِمْتُ من لذيذ المورد
بردوا بالوصل نار غُلّتى — وارحموا ظما فؤادىَ الصدى
ليس لى صبر ولا لى جلدٌ — قد فَنِى صبرى وقلّ جلدى
أزمعوا على الرحيل فى غدِ — ويح قلبى من نواهم فى غدِ
أسلموا الفؤاد حين سلموا — وثنوا عيسهم عن مقصدى

أوحشونى يوم ساروا سحرا من لصبرى بعدهم واكبدى

نارَ أحزانى فؤادى حَرٌّ فى دمع أجفانى بخدّى خدّدى

ياحمامات اللوى ترنّمى أسعدينى فى البكا وردّدى

شَجْوٌ ذاك الشدْوِ أشجانى فمن فى بكائى وشجونى مُسْعِدى

خبّروا الأحباب أنى مغرمٌ واحملوا عنى صحيح السندِ (٥٤ أ)

صرتُ من فرط الغرام مثلا فاشهدوا أمرى بكل مشهد

عِلَلِىْ فى الحب لا تبرَى وقد سئموا شكوى سقامى عُوّدِى

فدعونى واتركوا ما بيننا فهو حسبى وهو لى بالمرصد

نَفْسِ يا نفسى له فسلمى واركعى ذُلاً إليه واسجدى

من مجيرى من أليم بُعْدِه مَنّ نصيرى غيره مَنْ مرشدى

أنت عونى فى أمورى كلها أنت يا معنى وجودى مُوجِدى

(٨٣)

وله عفا الله تعالى عنه ـ فى وصف

ليالى اللوعة وزجر العذال عن العذل على

إهمال الدمعة ، وهو من شعره الذى جمع فيه بين

الجزالة والرقة والصنعة :

رُدّوا ليالى لوعتى وعنائى فلذيذ عيش الصبّ فى البرحاء

مالى وللعذال إذ يلحون فى حزنى عليك وزفرتى وبكائى

كم يُعْذل المشتاق فى البلوى بكم والعذل فى البلوى من الإغراء

[رفقا] بما بى من نوى وصبابة لا زال موقوفاً عليك رجائى

فارحم على طول التباعد والنوى | خداً عليك(١) مضرجاً بدمائى (٥٤ ب)
إن صح لى منك السماح بعطفةٍ | فالأرض أرضى والسماء سمائى
وإذارضيت بمهجتى يا بغيتى | فبما به ترضى يكون رضائى
أنا فى الأمور مسلم مستسلم | راض لدى السراء والضراء
يا موجدى كن من عذابك منقذى | وارحم بذلّ اللحد طول ثوائى
من لى إذا أُفردت وحدى فى الثرى | وبقيت مرتهنا ليوم جزائى
من لى إذ امْثُلْتُ بين يديك فى | نادى الجزا والناس فى الغمّاء
من لى إذا نشرت علىّ صحيفةٌ | تنبى بما أخفيتُ من أنباء
من لى إذا ما قيل لى يا مذنباً | مازلتَ فى الدنيا قليل حياء
وافيتنا بجرائم أربتْ على | عَدّ الحصا والرمل فى الإحصاء
ياموئلى أوليت عبدك فى الدُّنا | فضلاً ولم تقطع جزيل عطاء
فامنن بموصول الفضائل دائما | واسمع أنين تضرعى ودعائى

(٨٤)

ومن النظم الذى جمع فيه بين المعانى الرائعة والألفاظ
الفائقة قوله ـ عفا الله تعالى عنه يذيّلُ على البيت الأول من
هذه القطعة وهو لبعض ـ الصالحين :

سلام على رمل الحمى عدد الرمل | وَقَلّ له التسليم من شيّقٍ مثلى (٥٥ أ)
وقفت به والعين تهمى شؤونها | بدمع حكى فى السّحّ منسجمِ الوبل
خليلىّ كم يشجر الفؤاد بعذله | ولا شىء أشجى للفؤاد من العذل

(١) فى الأصل انطماس .

فما لكما والعذلَ فى ندبِ دمنة ... كأن لم يطل ندبابها أحدٌ قبلى

أينكرُ سح الدمع والحزن والأسى ... لمن شوقُه شوقى ومَنْ خبّله خبّلى

دعونى أصل شجوى بشجوحمامها ... عسى شكلُهايوما يداوى ضنا ثكلى

يذكّرنى شجوُ الحمام وشدوه ... حميداتِ أوقات توليْنَ بالوصل

أميل إذا ذكر العقيق تواجدا ... فلا تنكروا مهما جرى ذكره ميْلى

متى تسمحُ الأيام فى العمر مرةً ... بإنجاز وعدٍ لا يُكدّر بالمَطْلِ

ويرجع عهدٌ بالمصلى عهدتُه ... ويُجْمَعُ فيه بعد طول النوى شملى

لقد ضاق ذرعى بالبعاد وبالنوى ... فمن لى بأن أحظى من القرب بالنيْل

دعونى ونوحى واكتئابى ولوعتى ... ورقوا لأشجانى ولا تنكروا فعلى

ولا تعجبوا مما بدا من تواجدِ ... علىّ لأنى قد ضَعُفْتُ عن الحَمْلِ

أبستر حالٌ قد ذوى غصن روضِه ... وأصبح من بعد النضارة فى مَحْلِ

لقد ضرّمتْ حرْبُ التباعد نارها ... ولم أستبن عن أى عاقبة تُجْلِي

فصرت أعزّى النفس فيما أصابنى ... أفكرُ [1] بالباكين أحزانهم حولى (٥٥ ب)

فإن جاد لى باللطف والعطف مالكى ... فمثلى مَنْ أضحى غنيا عن الكُلّ

وإن كان ضدّ الأمرِ والعفوُ يُرْتجى ... فماذا الذى يُرْجى من المال والأهل

فيادائم النعمى أجِرْنى من النوى ... ولا تحرمنّى ماعهدتُ من الفضل

وسامح لمن قد حَلّ مجلس ذكرنا ... بأحمدَ خيرِ الخلق خاتمةِ الرسل

وبالعفو والألطاف عامل جميعهم ... ولا تطردَنْهُمْ عن نوالك من أجلى

---

(١) فى الكلمة غموض فى الأصل ، ويزيد اللبس وجود الباء فى « الباكين » والمعتاد « أفكر فى »

(٨٥)

وله عفا الله تعالى عنه فى دار طيبة الغــــراء وربعها ،
وشكوى الخطوب وقطعها ، وهى من قصـــائده التى راقت
فى نظمها ورقّتْ فى طبعها ، قوله سمح الله لـــه بمـــنّه

يا دار طيبــة والبعــاد مـخيف	صبرى على بعد الديار ضعيف
من لى بأن أحظى بربع مكارم	صرفت عنانى عن لقاه صروف
كم أشتكى مولاى بعداً قاطعاً	يعدو على ضعفى وأنت رؤوف
صرفت إلى نيل الأمانى حلبةٌ	والعبد عن درك المنى مصروف
لا تحرمنّى نيل ما قد أدركوا	فعليك مأمولُ الرّجا موقوف
أمضوا عزائمهم وأخّر دمعتى	عن درك ما قد أدركوا التسويف (٥٦ أ)
كيف اللحاق بهم وأنت كما ترى	بالغدر يا حلف الونا معروف
وُصفوا بأوصاف الوفا وبضدها	أنت المشار إليه والموصوف
شغفوا ببذل الجدّ فى نيل المنى	فَسَمَوْا وأنت بضد ذا مشغوف
قَدُّوا القوادم عن مدى درك الدُّنا	ولظلها مُدَّتْ عليك سجوف
حتى متى لا ترعوى بعتابنا	وإلى متى لا ينفع التعنيف
أعرضت عنا إذ غدرت تجافيا	وجنافنا أبداً عليك عطوف
فانهض إلينا والتزم أبوابنا	فالقرب أمن والبعاد مخيف

(٨٦)

ومن شعره النفيس في المشيب ووخطه
ورَقْمِهِ بصفح الفَوْد وخطّه ، وهو من النظم
العجيب ، والدُّرّ النفيس الرّطيب :

رَقَمَ المشيب بصفح فودك أحرفاً / منها تَعَرَّفَ ذو الحجا مُتَعَرِّفاً
فَكَّ الشباب رموزها فتصعدت / زفرات ملتهبِ الضلوع تلهفا
ماذاك إلا أن أخبار النوى / وردت بفرقة شملِه فتخوّفا
ما بعد وَخْطِ الشَّيْبِ زَجْرٌ فلتكن / لوقوع [خَطْو][1] خطوبه متشوّفاً
وإذا بدا للزهر حُسْنُ نضارة / فمآل نضرة حسنه أن يُقْطَفَا (٥٦ ب)
قد آن أن يبكي المضيّعُ ما مضى / عنه ويندب مَنْ أسَا ما أسلفا
يا نائماً أيقظ جفونكِ وانتبه / قد سَلَّ قاطع سُبْلِ عمرك مرهفا
سَلْ ناصعاً من مفرقيك تَجِدْ به / مهما تَسَلْهُ زاجراً مُتَعَنِّفَاً
ينبيك أنك لا محالة راحلٌ / فاحذر نذيراً قد أتاك مخوّفا
أرسلت ـ ويك ـ عنان نفسك في الهوى / أمسك فقد أجهدت طِرْفَكَ ما كفى
حتى متى وإلى متى لا ترعوى / قِفْ في مغاني عطفه مستعطفا
فعساه أن يدنيك منه تكرما / ويجود بالرحمى عليك تعطفا
ذُبْ يا خليلي حسرة وتأسفاً / إن كان يغني أن تذوب تأسّفَا
والزم مقام الذلّ دهرك واغتنم / ساعات عمر قد أطل على شفا

---

(١) الكلمة غير واضحة في الأصل ، وقدرنا هكذا لظننا أن ابن الصباغ أراد الجناس بين « وخط » و « خطو » ، ولوجود حرف شبيه بالخاء من أول الكلمة .

لا أبعد الرحمن أهل عزائم ... سحو الدموع الهاطلات الزُعَّفا
قاموا على قدم الوفاء لربهم ... وغدوا على باب المكارم عُكَّفَا
بدما الجفون خدودَهم قد خدَّدوا ... وتوسلوا فيما جنوابالمصطفى
فأحلهم روضَ الرضا بجواره ... وأجلَّ قدرهُمَ لديه وشرَّفَا
يارب لا تطرد عُبَيْداً واقفاً ... يهمى الدموع الطيبات الوُكَّفَا
فلأنت أكرم موئلٍ ياسيدى ... عن عبده فيما جناه قد عفا (٥٧ أ)

(٨٧)

وله ـ عفا الله تعالى عنه وقرب رضوانه منه ، فى تلبية الحادى لأشرف نادى ، وشرح حال الصادى وشوقه المتمادى، وهو مما ـ يحرك القلب المشوق ، ويحدو لتلك المعالم ويسوق قوله ـ سمح الله له بمنه :

لله حادى الظَّعْنِ ما أشجاه ... لما دعا مضنى النوى لبسّاه
لبَّى وللزَّفرات بين ضلوعه ... لهبٌ تضَرَم وَقْدُهُ أمواه
ذكر العقيق وساكنيه فضرَّمت ... بلهيب أشواق العقيق حشاه
شام البروقَ ولم يُسَقَّى[1] نهلةً ... ماكلُّ شائم بارق يُسْقاه
يا حسرتا نالوا المنى ونَبَتْ به ... عما نواه من الوصول نواه
يا أهل كاظمة نداءَ متيَّم ... بُعْدُ الديار وشَخْطُها أضناه
رِقُّوا لفرط سقام صبٍّ مُكْمَدٍ ... فى أرض طيبة برءُه وشفاه
فى لثم تُرْب معاهد المختار لو ... يُعْطَى المنى مما اشتهاه مُناه
يا أرض طيبة والديار قصيةٌ ... إن المعنى طال فيكِ عناه

(١) كذا بإبقاء حرف العلة مع الجزم .

ثمر الوصال بدوح روضك يانع ... فمتى يتاح على البعاد جناه (٥٧ ب)

حاز السعود وفاز بالعَلْيا فتى ... طالت لأرض الهاشمىّ خطاه

تالله مالجلال أحمد فى الورى ... ندٌّ ولا لخلاله أشباه

الله شرّف قدر أحمدَ فى الورى ... وأحَلّ فى أسمى عُلَىّ مرقاه

أنّى يضاهى أو يدانى فى العُلَى ... شرف علاء المعلوات بَنَاهُ

فبحبه أرجو غدا من مالكى ... كشفَ المهمّ من الذى أخشاه

فعليه ماسَحّ الغمام تحيةٌ ... من ذى شجون بُعْدُهُ أشجاه

(٨٨)

ومما نظمه فى الحث على ترك الونَى
والحضّ على الترقى إلى المُنَى :

بهمول الدمع يا حلف الونى ... يبلغ المشتاق غايات المنى

فاسكب الدّمع الهتون دائماً ... عَلّ سَحّ الدمع يدنيك لنا

زفرات القرب منا عطشت ... فاسقها بالدمع تظفر بالجَنَى

عكّلِ النفس بعرف عطفنا ... وانتشق زهر المنى من أنسنا

قف وقوف فاقد أحبابه ... فى طلول دارساتِ المنحنى

وابك ما ضيعت من عمر مضى ... وافْنِ ما فيه علينا شَجَنَا

واطّرِحْ - وَيْكَ - ذِمَا بقية ... طَرّزَتْ رسومَهَا كَفّ الفنا (٥٨ أ)

عُرْس الأحداج والظّعْنَ بنا ... كم تطيل فى طلابنا العنا

أعلن المشتاق فينا بالجوى ... يالصبٌ بالجوى قد أعلنا

ضَرّمَتْ أحشاءهنار الجوى ... ونفت عنه الشجون الوسنا

مـــالمن قـــد بات يشكو وجـــده | عن مـــغـــانى أنسنا قـــد ظعنا
كم دعـــوناه فـــمـــا لبى ولا | عرّست أشـــواقـــه يومـــا بنا
لا وحق مـــــا بذلنا لك من | صـــفـــو ورد الودّ مـــا أنصـــفـــتنا
فـــاقـــتـــرب منا ولُذْ بعـــزنا | والتـــــزم يا غـــــادراً أبوابنا
فَلِهبَّاتِ الرضا وقت ولـــــاً | يأمن الخـــائف فـــيـــه مـــا جنى

(٨٩)

وذيّل ـ عفا الله تعالى عنه ـ على البيـــــــتين
الأولين من هذه القطعة ، وهما لبعض الأفاضل ـ نُوّرَ
الله تعالى باطنه ، وقرن بالتوفيق محاسنه :

مـــررتُ بجـــزع واديهم سُحَيْرا | وليس الماء فـــيــــه بالمعين
وكنت بإثر مـــا ودّعت صـــحـــبى | فـــفـــاض النهـــر من مـــاء الجفون
وسِرْتُ وفى الفـــؤاد لهم حنين | فـــبـــالله مـــا أشـــجى حنينى
[أطارح سـا] جع الوادى بسـجع | يذيب بشـــجـــوه قلب الحـــزين (٥٨ ب)
أيا ورقـــاءُ كم تشـــجين قلبى | وتندب [1] فـــوق أفنان الغـــصـــون
لئن كنتِ اتخـــذت النّوح دينا | فَسَحُّ الدّمع فـــوق الخـــدّ دينى
لعـــانى (٢) النأى والتـــفـــريق رقى | ومـــضنى البين فى البلوى أعـــينى
أبينى ياحـــمـــامـــةُ أين بانوا | بحقّ ذمـــــام حـــبّهمُ أبينى
ومـــا بالعـــهـــد من قِدَمٍ ولكن | أرى التـــفـــريق يجـــمع لى شـجـونى

---

(١) كذا ، والسياق يقتضى « بندب » .
(٢) الحرفان الأولان مطموسان وقدرناً كذلك : لعانى ، أى لأسير .

فـؤادى يوم سـاروا أو دعـوه　لهـيبَ الجـمـر لما ودعنى
نسيمَ صبا الأصيل إلى عُلاهم　بحـقكِ بلغى شكوى أنينى
على سـاحـاتهم جـرّى ذيولا　وعند خـيامـهم فلتـذكـرينى
وإن سـألوكِ يومـا عن غـرامى　بهم فـصِفِى لهم شـأن الشـؤون
أنا المغـرى بهم أبداً ومـالى　سـوى ذكـراهُمُ فى كل حين
عسى الأيام تجمع نظم شملى　فـتـصْدقَ بالمنى فيـهم ظنونى

(٩٠)

ومن نفيس نظامه ورائق كلامه ، مـارقّ
معناه وراق لفظه ، وطاب تدبره وحفظه ، قوله فى
شهر ربيع الأول ـ بلّغه الله تعـالى المؤمّلَ بمنّه :

[قد بان من] شمس السعود طلوع　وبدا لأقـمـار السـرور سطوع (٥٩ أ)
ودنت مُنَى النفـحـات لما أن دنا　بالمولد الزاكى السـعـيد ربيع
شـهـر سـمـا عن أن يوفّى قَدْرَهُ　وصـفى على أن المقـال بديع
شـهـر به ولد النبى مـحـمـد　فـمـقـامـه بين الشهـور رفـيع
فارتع له وارتع بناضـر دوحِهِ　فـجـمـاله للقـاصـدين مُرِيع
واسحب ذيول سريرة السر الذى　يطوى عليـه من صـفـاك ضلوع
وتَشَفَّ منه فطالما قـد شفَّ من　إعبابه [١] قلبَ الشـجىّ نزوع
وصِلِ القـيـام به لثنتى عـشـرة　منه وحالك زفـرة ودمـوع

(١) كـذا .

واضرع لربك فى التجاوز وليكن مقامَكَ فيها ذلةٌ وخضوع

ولتغتنمها وصلةً من ليلة ما سلّمت حتى دنا التوديع

لله طالع مولدٍ بطلوعه لذوى السعادة أُمّنَ الترويع

لله ووقت أشرقت انواره بسنا نبى فى الذنوب شفيع

[يا من له ا] لخلق الكريم ومن له الحوض المسوغ واللوا المرفوع]

[آيات مجد] قد علَتْ وسمالها شرفَ وعزٌ لا يرام منيعُ (١)

....(٢)

(١) بعد هذا البيت بيت ساقط يدل عليه الفراغ الزائد . وبهذا البيت انتهى الشعر التقليدى وبدأت المخمسات .

(٢) بياض فى الأصل مكان البيت .



المخمســـــات

والمربعــــــات

ومن تخميسه لشعره نضر اللـــــه (٥٩ ب)

تعالى وجهه يوم حشـــــــره

مَنْ باح بالأشواق فى الحب استراحْ — ما إن على ذى الوجد فى الشكوى جُناحْ

لما تنسّمَ عرْفَ نُوّار البطاحْ — جاءت بنشر المسك أنفاس الرياح

فاهتز عِطْفُ الصبب للوصل ارتياح

جـرّتْ ذيول التّيه زهواً إذ جرَتْ — أحْيَتْ نفـوسـاً بالتناثى أُتلفَتْ

ياطيب أنفـاس بهـا تنفّسَتْ — مـرّتْ على أبيـاتهم فـاحتملَتْ

طِيباً كما نمّ البنفسج والأقاحْ

ياناثمـاً عن وصلـهم قم لا تنم — سحراً سرت ريح التدانى فـانتسِمْ

هبّتْ بسـرّ الأنس فـانعم واغتنم — جاءت تبشر بالرضى عنهم فَقُسْمْ

للشطْحِ قد آن أوان الافتضاح

ياسقىَ الأرواح كـاساتِ الصفَـا — أرواحنا مـالتْ إليك تشـوّفـا

زَمْزِمْ فـقـد أحْيَيْت صباً مدنفـا — طاب السّماعَ بذكر مدح المصطفى

شمسِ الهدى بدرِ الدجى قطبِ السماح

كـررْ علينا مـدحهُ يامنشـد — فلشـوقـه نار الحشـا تتـوقـد

جـاز المعالي والكمـالَ محمـد — فـهــو السّرِىُّ الأوحـدُ المُمَجّدُ (٦٠ أ)

من نوره تلتاح أنوار الصباح

بجمـاله يكسـو الملاحة رونقـا — وبحسـنه زاد الوجـود تأنقـا

شرف حوى أسنى المراتب مطلقا — منه استفـاد البدر نوراً مشـرقـا

وكل طيب في الوجود عنه فاحْ

مالت بذكر مديحه أعطافنا وتلذّذت بسماعه أسماعنا

طارت بنا طرباً له أفراحنا بالهاشميّ محمد أرواحنا

لاذت فنادت عن هواه لا براحْ

ياويح من قطع التنائي ظَهْرَهُ لما تناءتْ داره وأَضَرَّهُ

طولُ النوى نادى ليشكو ضُرَّه ياحادى الأظعان بلغ قبره

سلام من قص النوى منه الجناحْ

(٢)

ومن تخميسه الفائق ، لشعره الرائق ،

قوله ـ عفا الله عنه :

مُعَنًى بأشجان التباعد قد خُصّا كأنّ جوى الأوصاب يوماً به أوصى

يزيد على بعد الديار لكم حرصا محب براه الشوق بالمغرب الأقصى

يناديكمُ ريشوا جناحي فقد قصا

(٦٠ ب)

لقد كان في عز مكين ورفعة بقرب مزار الدار في ظل جنة

فلما رماه البين عن قوس محنة سقته الليالى كأس ذل ومهنة

فأصبح لا قبضٌ لديه ولا قبصا

ذليلٌ ولكن ما له منك ناصر لعهد زمان الأنس والوصل ذاكر

إليك مع الأحيان في الحب ناظر جليدٌ على حكم الملمّات صابر

له أنّةٌ ترقى ولست ترى شخصا

يناديكم صبّ يحاول أوبة وكم رام أن يسلو فيقصر هيبةً

مضى العمر عنه وهو لم ينو توبة يزيد بنقص العمر ضعفاً وشيبة

وتلك زيادات تكسّبه نقصا

أسير النوى صب أصاخك سمعه لعلك بالألطاف تجبر صدعه
فقد فرقت أيدى التباعد جمعه وقد قص بلواه وأهمل دمعه
فهل عطفة منكم فيُقْبَلُ ماقصا

كمون غرامى ليس تخفى كنوزُه ورقم الهوى ما إن تَحُولُ طروزُه
وكم ذل فى حكم الغرام عزيزُه وكم لوحت بالوجد فيك رموزُه

(٦١ أ)

فلما تناهى الشوق بينتِ النصا

متى يردُ الظمآن فى الرى نهلةً فيشفى أواماً قد براه وعلةً
فقد أعلن الشكوى وقد ذاب خجلة وقد لاذ بالباب افتقاراً وذلةً
فكيف له فى شرعة الحب أن يقصى ؟

لعل المنى يوماً تجود بمنحةٍ على مغرم يرجوك فى كل لمحةٍ
يطارح ورق الأيك فى كل سَرْحة فإن هب من روض الرضا عرف نفحةٍ
تمايل فاهتزت معاطفه رقصا

أجيروا فتى مازال يوفى بعهده وأحيوا عليلا سامه فرط بعده
وماذا عليكم أن يُدَان برفده ستقطع بيد الحبّ أينق وجده
ويُعْمل فى مرضاتك الوخد والنصا

سقامى ودمعى بالذى بى مُبَرِّح ونار زناد الشوق فى القلب تقدح
وهل نافع فى الحب أنى ملوح وبى من غرامى فيك وجد مصرح

وأشواق قلبى لا تُعَدُّ ولا تحصى

إذا غنت الأطيار سجعاً على فَنَنْ ذكرت الذى أوليتمونى من المننْ

فيا غاية المشتاق فى السر والعلن لعلك تحيى دارسات رسوم مَنْ

بريقة هجران الأحبة قد غصا (٦١ ب)

لقد ألبستنى فجعة البين روعةً ولكننى قد زدت وجداً ولوعةً

متى يملك المشتاق فى الحب رجعة فيمنح بالتقريب أنساً ورفعة

ويصبح من بعد التباعد مختصا

(٣)

ومن نظامه النفيس فى شعر له وتخميس [١]

قوله ـ شكر الله تعالى له سعيه ، ووفى أجره بمنّه ويمنه

كم ذا تُعامَلُ بالوفاء فتنقضُ كم ذا التكاسل والحبيب يعرض

ناداك وهو على الوصال يحرّض حتى متى عنا تصد وتعرض

هلا إلى نفحاتنا تتعرضُ

يا من تكدر فى الموارد شِربه وذوت بروض القرب منا قضبه

وغدا عليلا قد تحير لبّه إن كان أعياك السقام وطبُّه

فالجأ إلىّ أنا الطبيب المُمْرِض

هذا محيا القرب أضحى أزهرا وهلال أفق الأنس أصبح نيرا

[فإلى متى] أبداً تدور محيرا [٢] أقدم علينا يا جبان فكم تُرى

(١) أصل التخميس فى ص ٢٨

(٢) ولعلها أيضا تدور تحيّرا .

(٦٢ أ)

متوانيا فى وَعْر غيك تركض

نفحات روضى وصالنا تتنسّمُ ... وحمام وادى ودنا يترنم

غنى بروحة أنسنا يستفهم ... أوليس قد راشت جناحك أنعمُ

منا فما لك نحونا لا تنهض

مالى أراك تحوم حول قبابنا ... وتدور ولهاناً على أبوابنا

إن كنت ترغب فى سماع خطابنا ... فانزل بساحتنا ولذ بجنابنا

فتزيل حضرة عزنا لا يرفض

قد كنت فى أهل الوفا أبداً تُعَدُّ ... حتى غدرت فأبعدوك فمت كمد

هل تستطيع على بعادهمُ جلدً ... رفضوك إذ ألفوك غداراً وقد

سدوا سبيل الوصل عنك وأعرضوا

باب القبول معرض فتعرضوا [1] ... وغياض دوحته تزخرف فانهضوا [2]

مالى أرى عنا الجفون تُغَمِّضُ ... ماحلّ ساحتنا أناس أعرضوا

عنا فلاذوا بالرضا إلا رضوا

أصبحت فى ثوب التكاسل ترفل ... وتقول عند القوم ما لا تفعل

أمقام حال العارفين تؤمّلُ ... سبقوك فيما تدعيه وأعملوا

كرّ المطايا نحونا وتَقَوضُّوا [3]

(٦٢ ب)

أتروم رتبة حال قوم أودعوا ... سراً به هاموا هوى وتولعوا

شدوا مطايا العزم عنك وأسرعوا ... سهروا ونمت ، وإنهم مذودعوا

---

(١) ، (٢) الخطاب بالمفرد فى كل ما سبق ، وهنا بواو الجماعة للقافية فيما يبدو .

(٣) كذا ، ومرت فى القصيدة الأصلية فى ص ٢٨

فيا لذيذ منامهم ماغمضوا

نثروا الدموع مقعداً ومقضا ... باتوا بأشواقٍ على جمر الغضا

فسقوا بكاسات المنى خمر الرضا ... ورضيت ـ ويحك ـ حالة لا ترضى

فصحيفة سودا وفود أبيض

قف وقفة المحزون في عرصاتهم ... واستروح الأرواح من نفحاتهم

واشرب بكاس الأنس من فضلاتهم ... لهم الأساة فناد في عرصاتهم

أضحى ببابكم العليل فمرّضوا

(٤)

ومن نظمه الرفيع البديع، قوله نضر الله وجهه، إنه سميع[١]:

هبت بعرف الصّبا أرواح يبرين ... فخلتها نفحة من نحو دارين

فقلت ـ والوجد والأشواق تعربني ... مر النسيم مع الأسحار يشجين

ونغمة الورق في الأفنان تغبني

وصف الأزاهر يطويني وينشرني ... وميل أغصان دوح البان يظميني (٦٣ أ)

والنرجس الغض بالأسحار يفتنني ... والآس والورد والخيري[٢] ينعشني

والأقحوان مع النسرين يسبيني

رقوا لنفس غدت بالهجر راضية ... ولم تكن بأليم البين شاكيةٌ

[إلا] إذا استنشقت ريحاً شامية ... وفي صبا الريح إن هبت يمانيةٌ

عرف بنفحته مازال يحييني

---

(١) القصيدة المبنى عليها التخميس في ص ٢٢

(٢) مطموسة ، وإصلاحها من ص ٢٢

عتاب أهل الهوى سرٌّ يتيمنى ... وعذل نفسى فى البلوى يقنّطنى
فكم وكم عاذ لى عمداً يعنفنى ... ورقة البث والشكوى تهيجنى
وبالصبابة والأشواق تغرينى

إن كنت فى حبكم أصبحت مُطّرحا ... فإننى لم أزل أستعذب البرحا
مششتمُ فافعلوه لست مقترحا ... اصبحت اسحب ذيلى فى الهوى مرحا
مولهَ القلب فى عرض المجانين

إن عنّفونى فكم للفضل عندهمُ ... من عطفة لم تزل تدنى لعفوهمُ
أقسمت لازلت فى ساحات ربعهمُ ... أصيح بين خيام الحىّ باسْمِهم[1]
رقوا لملتهب الأحشاء محزون

إن كان ذنبى بين الناس رابكمُ ... فليس لى وقفة إلا ببابكم (٦٣ ب)
فلتقبلوا قاصداً ولَعاً قبابكم ... ما إن له ملجأ إلا جنابكمُ
إن تطردونى فمن فى الخلق يؤوينى

ما للفقير إليكم من غنى عنكمّ ... وكيف ينعم من أضناه بعدكمُ
إن تهجرونى فإنى فى ضمانكمُ ... أو ترحمونى فكم من عطفة لكم
إليكمُ بجميل اللطف تدنينى

سوغتنى نعماً ساغت مشاربها ... أهديت لى لطفاً راقت مطالبها
أوسعتنى منحاً لذّت مكاسبها ... أوليتنى مننا جلت مواهبها
فاستصحب الفضل فيما كنت تولينى

---

(١) هذا الشطر ، وآخر الشطر التالى مطموسان ، ونقلناهما من ص ٢٢

إن كنت قد أبعدتني عنكمُ زلّتي فأنت يا مالكي تقيلني عثرتي

وليس له حيلة أرجو سوى دمعتي مالي شفيع سوى ذلي ومسكنتي

فلترحم اليوم مسكين المساكينِ (١)

لم تبق مني النوى والهجر إلا ذما لأقرحن جفوني فيكم ندما

لأبكينّ على مافات منكم دما لأهجرنّ الورى طُرّاً وألزم ما

حييت بابكمُ فذاكمُ ديني

متى تدلُّ بقربي منك يا متلفي متى تبيح وصال الهائم المدنف (٦٤ أ)

متى تكون بما يشفي الضنا مسعفي متى أرى في ظلال الوصل أرفل في

ثوب التداني وداعي الوصل يدعوني

أيام وصلك أعياد لأهل الهوى ماحيلتي بينهم وغصن جاهي ذوى

[إنْ] قربوا نحوكم قربان برح الجوى قربت نفسي قربانا وليس سوى

نفسي ، ووجدي جعلتُ اليوم مكيني

صلوا عذابي ففي تعذيبكم أربي والوا سقامي فبرئي في الهوى نصبي

بذكركم لذلي قتلي فوا عجبي فلتقتلوا إن قبلتم في الهوى قُرَبي

وباسمكم عند أخذ الروح غنوني

تستعذب النفس في تعذيبكم خبلها وترتضي إن رضيتم في الهوى قتلها

وفيكم لم تزل تفنى بكم ولها فالقتل فيكم حياة لا نَفَاد لها

والفقد فيكم وجود العيش فاحيوني

---

(١) بالرجوع إلى القصيدة الأصلية ص ٢٢ وقراءة الأبيات الأربعة التالية لهذا البيت ، ومقارنتها بما في التخميس هنا يتضح اختلاف في الترتيب ، ونقص مرده إلى الناسخ أو إلى الشاعر نفسه .

(٥)

ومن تخميسه البديع ، للنظم الرفيع ، وهى قطعة فى السلوك والزهد ، نَظَمَتْ درراً نفسية من الصلاح والرشد ، و ... [١] بالشكر والحمد ، (٦٤ ب) وهى لبعض الصالحين الزاهدين المتقين السالكين ، أسعد الله جميع أوقاته ، وأمده بإنجاده وكلاءته وعصمته [٢] من جميع آفاته ، بحوله وقوته :

زَهْر إبّان الرضا قد أشرقت — وبأفق الأنس صبحاً أطلعَتْ
بشرت بالوصل لما أن بدت — هذه ليلة شعبان أتت

فانتهض فيها وشمّر مئزرك

سَحّ من سحب الأمانى وبلها — رف لما أن أتيحت ظلها
يسرت للسالكين سبلها — هذه أسواق ربح كلها

فاغتنم بالله فيها متجرك

إن تكن فيما لديه طامعا — فالزم الباب ذليلاً خاضعاً
وانتحب عند الوصول قاطعاً — واعبد الله وسله ضارعا

والزم الذكر على ما أمرك

أنت يا رهن البلى فى غفلةٍ — كم أراك ساهيا فى خذلةٍ
فانتهزها فرصة فى مُهْلةٍ — واصحب العزم وكن ذا عزلةٍ

..... [٣] ولازم سهرك

---

(١) بياض بالأصل فى أوله حرف الواو ، ثم ما يشبه النون الضاد .

(٢) كذا ، وأظنه فعلا جديداً « عَصَمَهُ » لأنه أوثق وأيسر سياقاً .

(٣) بياض وطمس فى الأصل .

فضل شعبان علينا نَصّهُ | أحمد المختار لما قَصّهُ (٦٥ أ)
فأعمل[1] الجد ووالى[2] حرصه | إن هذا الشهر شهر خصه

بالتقى والفضل مولىّ فطرك

هجر المشتاق فيه نومَهُ | شمّر الذيل وأمضى حزمَهُ
جعل الخدمة فيه همّهُ | ورسول الله وفّى صومه

فاقتفى[3] الاثار تحيى أثرك

كن لدمع العين فيه مُسْبلا | وابك بدراً للشباب أفلا
ودعِ التسويف وانف الأملا | لاتكن للحزم فيه مهملا

ولتزين بتقاه عمرك

كم تُرى حلف الونا فى ذلة | ظامئ الأحشاء نحو نهلة
طِبّ ما تشكوبه من علة | إن تكن فى رجب ذا غفلة

فبهذا الشهر حَسّنْ نظرك

يانؤوما لم يفق من نومه | قم إلى ما يُرتضى من خدمة
فبها تجنى المنى فى نعمة | واهجر اللهو وكن ذا همّة

واحمد الله إلها صورك

يمّم الجد تفز بالغرضِ | فبه يُشْفَى أليم المرضِ (٦٥ ب)

---

(١) الميم مكسورة ، وقد سهل همزة « أعْمِل ».
(٢) كذا .
(٣) كذا.

ليس للطبِّ به من عــــوض ثــم نــاد [1]الشهرَ مهمـا ينقضِ
قــد قــضــينا بخلوص وطرَك

(٦)

ومما أتى فيه بكل الإحسان ، وجمع فيه بين الفصاحة والبلاغة والبيان ، يخمس قول المدنف الهيمان :

تهوى زرود ، وأين منك زرود

قوله ـ أمدّه الله بفضله السابغ ومنّه الممدود :

حــزن على بالي الطلول جــديد وجــويٍ له بين الضلوع وُقُــودُ
يانازحـاً قــد شـفّـه التسهيد تهوى زرود وأين منك زرود
وتروم رامـــة والمزار بعـــيـــد

أُذكّرْ مـعـاهدَ كمْ نعمت بظللهـا في عـيـشـةٍ سـمح الزمـان بنيلهـا
أصبحت تندب ما مضى من وصلها وتود لو سَـمَـحَتْ برجـعـة أهلهـا
تُحَفٌ بِهِنّ أبى الزمـــانُ يجـــود

كم رمت أن أحظى لديك فخانني[3] . . . . . [2]
مـــالي أريد مطالبـــاً وكـــأنني . . . . . .
لخــلاف أحكام القـــضـــاء أريد (٦٦ أ)

قـد صـار در دمـوع عـيني عَنْدَمَـا وتَخذَتُ عـمرى بعد بُعْدك مأتما
وأرى السـرور إذا هجـرت مـحرّمـا والدّهر منقـبـضـاً على كـأنما
في صـدره أمـست عليّ حـقـود

(١) بين هذه الكلمة والتي تليها كلمة « في » مقحمة ، بدليل الفتحة على كلمة الشهر بتسلط الفعل « ناد » على « الشهر »
(٢) هذا الشطر والشطر الثالث مكانهما في الأصل بياض
(٣) الفاعل لهذا الفعل موجود في الشطر التالي ، وهو ذاهب من الأصل

يانائح الأفنان قد أفنيتني ... إن كنت تبكي من فقدت فإنني
أبكي على ما منهم قد فاتني ... تالله ما أسفي على أن ملّني

ظبي غرير أو فتاة خود

يا لائمي والعمر عني قد مضى ... ريعان أيام الشبيبة أعرضا
ماضرّمت في القلب نيران الغضا ... إلا على عمر تصرّم وانقضى

عني ولم يحصل لي المقصود

جسم أذاب جوى البعاد أديمهُ ... ومحت مزاولة السقام رسومه
وبخده رقم البكاء رقومه ... من كان مثلي لم يسل همومه

إلا البكا والنوح والتسهيد

(٧)

ومن نظامه الحسن «وتخميسه المستحسن» ، قوله ـ عفا لله تعالى عنه ـ يخمس شعر أبي الشيص (١)

لما تركت العالمين بمعزل ... ورفضت كل تعلل وتأول (٦٦ ب)
ناديت في نادي الهوى بتذلل ... وقف الهوى بي حيث أنت فليس لي

متأخّر عنه ولا متقدمُ

بعصا النوى قد أصبحت موقوذةً ... نفسٌ غدت أحشاؤها مجذوذة
ياغادراً ترك الضلوع حنيذةً ... أجد الملامة في هواك لذيذةً

حباً لذكرك فليلمني اللُّوَّمُ

عجباً عُدَاتي قد تناهى عُجْبهم ... لما غدا من عذب وردك شربهم
حسنوا بعيني بل صباني قربهم ... أشبهت أعدائي فصرت أحبهم

إذ صار حظي منك حظي منهم

(١) الكلمة فيها طمس من أسفلها.

احكم بما ترضى فلست مكابرا | أوَماتراني لا حتكامك صابرا
أقصيتني إذ لم تجد لي ناصرا | وأهنتني فأهنت نفسي صاغرا

مامَنْ يهون عليك ممن أُكرِمُ

(٨)

ومن تخميسه الفائق الحفيل ، في المقصد الجليل . لشعر مَنْ جادل النفس في سلوك سواء السبيل ، قوله ـ بلغه الله ، تعالى ، لفضله السابغ ومنّه السابغ الجزيل:

مرآة قلبي زال عنها الصدا | نورُ سنا التوفيق فيها بدا (٦٧ أ)
لما أضاءت نيرات الهدى | قالت لي النفس أتاك الردى

وأنت في بحر الخطايا مقيمْ

ماشاء مني الحق قد شِئْتُه | كم لطف عطف منه قد نلتهُ
لكنني في الأمر قد خنته | واخجلتني منه إذا جئته

والعبد مطلوب بدّين قديمْ

ربع مقام الأنس قد أقفرا | لكنْ رجائي فيك إن يُحَّرا
يمحو عن العبد الذي سطّرا | وما أرى يطلبني ، قد درى

أنّي محتاج إليه عديمْ (١)

لاشك أن العفو للقاصد | من شيمة المقتدر الواحد
ماكنت للمنعم بالجاحد | ولستُ محتاجاً إلى شاهد

فإن مولاى بحالى عليمْ

نفسيَ تشكو ليّ أحوالها | قالت أرى الرحلة يُحْدى لها

(١) في يسار الصفحة عند هذا المقطع كلام في سطرين ، يظهر منه قول القائل : « لقد تناسيت فلم تذكر ، وتعللت » ولعله تعليق بعض المطلعين.

فـقلت للنفس مـجـيـبـا لهـا ولـم تـعـد الزاد ياويلـهـا

لايـحـمـل الـزاد لـدار الكـريـم

(٩)

ومن تخميسه الذى أحسن فيه وأجاد ، وأربى على كل مخمّس وزاد (٦٧ ب) ما يكف النفس الغوية عن المعاصى ويقرب إلى [1] القلب العاصى فى قطعة فى ذم الدنيا الدنية وتجديد الأوبة للتوبة وإخلاص النية ، جمعت بين البلاغة فى اللفظ والمعنى ، والرُّشد والتقوى فى المساق والمبنى وهى لبعض الصالحين المتقين السالكين الموفّقين ـ دامت لهم السعود والعوافى ، وأمدتهم الأقدار المتصرفة بالنعم الضوافى والنِعم [2] الكوافى ، وبلغهم الكبير المتعالى ، ذروة المجد الأثيل والشرف العالى بِمَنّ الله تعالى وفضله ويمنه :

متى إلينا ترى تؤوب عن حضرة العز كم تغيب

هل لك فى توبة نصيب ياأيها الغافل المريب

إلى متى للدنا تنيب

نسيت ماكان منك جهلاً خصبٌ لياليك عاد مَحْلا

فعد إلينا تنِلْك فضلا أمَا ترى العمر قد تولى (٦٨ آ)

والرأس يعلو به المشيب

منحت ماشئت من هبات وأنت فى حلبة الجناة

تغفل عن رحلة الممات والموت حتمٌ لابد آت

وكل آت فهو قريب

عمر تولى بلا متاب ماذا يكون من الجواب

---

(١) هذه الكلمة صعبة القراءة ، والكلمتان قبلها كأنهما كذلك.

(٢) الكلمة مكررة فى موضعين متقاربين جدا ، وأغلب الظن أنها من فعل ناسخ ، وإن إحداهما كانت « المنح » أو نحوها .

يوم تُنَادَى إلى الحساب فلتهجر اللهو والتصابى

عَلّكَ يامذنبا تتوب

من جاءنا مخلصاً نَسَعْهُ برحمة ثم لا ندعهُ
هواك فى اللهو لاتطعه ولازم الباب لاتدعه

فقاصدُ الله لايخيب

بطيب ذكراكمُ التذاذى ومن يعادنى بكم عياذى
أصاب سهم النوى فلاذى وأنت[1] يارب ياملاذى

مازلت ياموئلى تجيب

عن خطب أمرى أصبحت لاهى وعن فلاَحى أصبحت ساهى
مالى عما اقترفت ناهى فلتغفر الذنب ياإلهى (٦٨ ب)

فأنت يامرضى الطبيبُ

جماح نفسى مع اعتياصى من كنت أرجو بهم خلاصى
من جرم ذنبى يوم القصاص قد غيرت حالتى المعاصى

وأضعفت مهجتى الخطوب

رُحماك فى خطبى الخطير فمن معين ومن مجيرى
مالى إلاك من نصير فخلص العبد من أمور

صغيرها دونه الحروب

بقلبى المكْمَد المروع فلترفقوا وارحموا خضوعى
قد إلهبت حسرتى ضلوعى وأحمد المصطفى شفيعى

بحبه تغفر الذنوب

(١) فيها غموض فى الأصل.

ومن تخميسه الرائق ونظمه الفائق لشعر قديم ، قوله ـ أمده الله تعالى بسلوك صراطه المستقيم.

برق الإساءة من جنابك أومضا — من خان عهداً حقّه أن يرفضا
يامن منحناه الوصال فأعرضا — مازلت دهرك للرضا متعرّضا

ولطالما قد كنت عنا معرضا (٦٩ أ)

صَفَتِ الموارد يامريد ولم تَرِد — ما[1] فى الورى ركن إليه يستند
إلا أنا فعليٍّ دهرك فاعتمد — جانبتنا دهراً فلما لم تجد

عوضا سوانا عدت تبكى مامضى

أفنيت عمرك فى المحال تعللا — لما علمت بأننا يامن سلا
نعفو ونقبل من إلينا أقبلا — وَهبَ اننا جدنا عليك تفضلا

أيعود دهرٌ بالبعاد قد انقضى

اذكر مواهبنا التي اوتيتها — ومراتبا من فضلنا ولّيتها
لو شكرها واليته لوِليتها — لكن تركت حقوقنا ونسيتها

ولذاك ضاق عليك متسع الفضا

مالى أراك تحوم حول قبابنا — وتروم أن تحظى بعز جنابنا
خلِّ اختيارك واستمع لخطابنا — لو كنت لازمت الوقوف ببابنا

لكسيت من إحساننا خلع الرضا

من أمّنا يشكو إلينا خطبَهُ — وخاف أن يقضى التباعد نحبه
نحنو عليه ثم ندنى قربه — وننيله عفواً ونغفر ذنبهُ

ونرد أسودَ ماجناه أبيضا (٦٩ ب)

---

(١) فى الأصل « فما » وهى تكسر الوزن.

بلبان ثدى الغدر دهراً تغتذى　　　والیت ذاك بشهوة وتلذذِ
من خاننا ما إن له من منفذ　　　لكننا من فضلنا ندنى الذى

بعد الإساءة جاءنا متعرضا

ومن تربيعه (1) البديع ونظمه الرّفيع
قوله نفعه الله تعالى بالتقوى وأمّده بالخشوع.

حداة الحمول　قفوها قليلا　عسى بالطول　سأشفى الغليلا
أأكنافَ نجْد　تُرى فيك تَجْدى　دموع بخدّى　توالى الهمولا
فؤاد المشوقِ　ذَوَى بالحقوق　متى بالعقيق　سيلفى مقيلا
حمام الغصون　بشجو الفنون　أهَجْنَ شجونى　بروضِ أصيلا
فيتُّ أنادى　وقلبى صادى　متى يارشادى　أزور الرسولا
فؤادُ الكئيبِ　غدا فى لهيبِ　فهل من طبيبِ　يعانى(2) العليلا
لقد طال شوقى　لملاك رقى　فدينوا برفقِ　ووالوا الجميلا
متى للمعالى　وبدر الكمال　على ضعف حالى　سأُهْدَى السبيلا
أياصاح دعنى　لَوَى الدهر دينّي　فأدع عينى　أصبّنَ المسيلا
نأتْ عنه دارى　بغير اختيارى　لبعد المزارِ　حرِمتُ الوصولا　(٧٠ أ)
بطيبة سولى　وقبر الرسول　إليه خليلى　فحُثَّ الرحيلا
فنى الصبُّ برّحا　وحزنا ونوّحا　وبالغرب أضحى　غريباً ذليلا
يوَدُّ المُعَنَّى　لَوَ ان قد تغنّى　لدى الصبُّ مُضْنَى　فيحدو الحمولا
حُدَاةَ الرفاق　دموع اشتياقى　هَمَتْ فى المآقى　فأجرتْ سيولا
فَرِقُوا لبَاكِ　جوى البين شاك　حكى فى الأراك　بشدو هديلا
سَقَى المزنُ وبَلاَ　ثرىً فيه حَلاَّ　هلال تجلّى　سناءً جليلا
فصلّى الإلهُ　على من علاه　سما واعتلاه　فأضحى أثيلا

(1) هذا المربع أقحم بين المخمسات ، ويأتى بعده المخمس رقم (1) ، أما المربع نفسه فلا داعى لترقيمه لأنه الوحيد فى الديوان.
(2) كذا بالنون ، والمعنى بعيد ، وربما كانت « يعافى » والفاء

(١١)

وله عفا الله تعالى عنه وقرّبَ رضوانه منه
يخمس هذه القطعة الرائقة القصد والمعنى
الفائقة اللفظ والمبنى ، وهى لبعض الصالحين المتقين
المخلصين السالكين نوّر الله تعالى وجهه وقلبه
ومنحه توفيقه ورضاه وقربه بمنه

لما عـدمتُ تصـبُّـرى وتجلدى | طارحتُ فى الأسحار كلَّ مُغَرِّد
وشدوت هل من مسعدٌ أو منجد | ياقاصداً (١) نحو النبى محمـدِ

حُثَّ الركـاب لزورة المختـار (٧ب)

أرضٌ بطيبـةَ إن مُنحتَ مـزارها | أو أبصـرت لمحـاتُ طرفك نارهـا
أوجئتَ ياحـادى الظعـائن دارها | قـبل بطيـبـة تربهَـا وجـدراها

بالله عن مـضنىً بعـيـد الدار

حُثَّ المطايا قـابلا أعـذارها | واجهـد بحث مسيرها أكوارها
حـتى إذا قـرَّت هناك قـرارها | فـاحلل بمكَّة والتـمس أنوارها

واهنأ بما قـد حـزت من أنوار

فـإذا شـهدت من المنازل مشـهـدا | وقضيت أوطاراً بها تشفى الصدى
وبلغت من أسنى المطالب مقـصـدا | جاوريثـرب مـاحييتَ محـمـدا

وانعم بجُـورَتِه كـريم الجـار

يا شـاكـيـاً من شـوقـه أوجـاله | ومُـتَـيَّـمـا يطوى الغـلا وراء الَهُ
مـهـمـا حللتَ من العقيق ظلاله. | فَـزرِ النبىَّ وصـاحـبـه وآله
تُـسْـعدْ بزودة خـيـرة الأبرار

(١) فى هاتين الكلمتين بعض محو.

زمَّ الركاب إلى الحبيب ولانني ماشئتَ من ثمر المكارم تجتنى
بالمكرمات وبالمعالى فاعتنى[1] هذا هو السحر الحلال لمفتنى

(٧١ أ)

فاشددْ عليه عزائم الأسرار

مَنْ منْ يعادى عن حبيبى منقذى هل لى إلى ذاك الحمى من منفذ
نزلوا بطيبة فى نعيم تلذذِ وأنا بذنبى قد حُرِمت من الذى

أرجوه من تبريد حرّ أوارى

وافرحتاه بأن قضى إلمامَهُ وشفى بزورة أحمد إلمامَهُ
وأناله المولى الكريم ذمامه طوبى لمن كان المقام مقامه

مُتَلَفّعاً فى الخلق بالأطمار

إن كنت تبغى أن ترى ربع الحمى فاهْمِ المدامع فوق خدّك عنْدَمَا
وأقم على فقد التواصل مأتما هيهات قد سبق القضاحتماً بما

قد شاء ربُّ الخلق من أقدار

لاخوف إلا من أليم بعاده سلّمْ له فيما يشاء وناده
فهو الرؤوف بخلقه وعبادَه وامسك عنانك واصطبر لمراده

فهو الذى ترجوه للأوطار

(١٢)

ولَه عفا الله تعالى عنه ، وقرّب رضوانه منه ،
يخمس هذه القطعة الجليلة ، الفائقة الحفيلة
وهى لبعض الصالحين عفا الله تعالى عنه ، فى إشراق
شمس النبوة الباهرة ، وطلوعها من البقعة الشريفة الزاهرة

(٧١ ب)

---

(١) كذا فى الأصل ، والنحو يقتضى حذف الياء ، لكنه ربما نظر إلى النطق بالاشباع ، وراعى توافق رسم حروف القوافى.

لى بامتداح الهاشمى تولع   فأنا أنظم مَدْحَهُ وأرجع
إن كنتم تبغون ذلك فاسمعوا   الشمس من دار النبوة تطلع

فلذاك نور الأفق عنها يسطع

باسم النبى الهاشمىّ تعوُّذى   وبذكر أعلام المعالم أغتذى .
وبأرض طيبة والعقيق تلذذى   أرض النبى محمدِ الهادى الذّى

سَنّ الشريعة فهى حتما تُتْبَعُ

ياليت شعرى هل أفوز بقربه   وأكون جاراً للنبى وصحبه
فلقد برا جسمى البعاد بخطْبه   وأناله متوسل وبحبّه

عِنْدَ الشدائد والمنى أتشفع

أصمى الهوى قلبى فصادف مقتلى   أسفى لتسويفى وطول تملُّلى
بمدامعى بتذللى بتوسُّلى   بزمام أحمد سيدى ، ياموئلى

أرجو لديك المنّ فيما أطمع

بُرْئي لديك وفى يديك تطبُّبى   رحماك فيما أرتجى من مطلب
بك فى الذى أبغيه منك تسبُّبى   فامنن على عبد ضعيف مذنب   (٧٢ أ)

يرجو الإله وذنبَهُ يَتَوقَّعُ

زهرات شيبى آن آونُ قطفها   وظلال عمرى زال وارفُ سجْفها
فارحم معنىً نفسه من لهفها   تبكى لدى ذكر الذنوب وخَوفها

ورجاؤها فىّ عفوكم لاتَقْطَعُ (١)

---

(١) الفعل هكذا بالتاء والبناء للمعلوم ، وكان هذا يقتضي نصب « رجاءها » ، وكثير ما فعل الشاعر ذلك ، ورفع « رجاؤها » يقتضي تقدير ضمير في « تقطع » أي « تقطعه » ولا ندرى هل قصد ابن الصباغ هذه المماثلة أم أخطأ الناسخ في الفعل ، ثم تدخل لتصحيح خطأ عنه كذلك.

إني صـرفت إليك وجـه تأملي.. لكُمْ بكُمْ فـيـمـا جنيتُ توسُّلي
وبأحـمـد الهـادى النبى المرسلِ حـاشـاك من طردى وأنت مـؤمّلى
وأنا بحبّ مـحـمـد أتولع

كم خضتُ بحُسرِ سفاهة وضلالةً وغـرقتِ فى أوحـاله بمقـامـة
كُتِبَتْ علىّ ذنوبها بجـهـالةِ إن كنتُ فى عمرىَ حليفَ بطالةَ
وهوى ، وكلٌّ للحـيـاة مـضـيّع

ولىّ الشباب وقد ضَعُفتُ عن القُوى غُصْني وقد أضحى قضيباً قد ذَوَى
ولذاك لَهْفُ تأسـفى قلبى كـوى وأنا مـقِـرٌّ بالتـوانى والهـوى
فـإلى مـتى وإلى مـتى لاأرجعُ

ياغـافـلاً عَـمّـادهاهخطبـه وحليف لهـو بان عنه قَلْبُـهُ
أيقظ فـؤاداً فى التـوانى حـجـبـه أو ليس قـد شـاب القـذال وشيبُهُ (٧٢ ب)
يدنى الرحيلَ فـمـا لنا لا نخشع

نفسى إلى كم ذا التوانى أقصرى لمآل أهوال القـيـامـة فـانظرى
فـاز المخف وخـاب ظن المفـترى بالله يانفـسى فـديتك شـمّـرى
علمـاً بأن الموت أمـرٌ يفـجع

(١٣)

وله عفـا الله تعالى عنه وشرح صدره تخميس هذه القطعة البديعة ، والأبيات الرفيعة ، وهى لبعض الصالحين نضر الله تعالى وجهه بمنه :

فى عطفكم لاينقـضى لى مطمع ياسـيـدى والفـضل عندك أوسع
فـبكم لكم مما جنى يتـشـفع عـبـد ببـابك واقف متـضـرع
يبكى بدمع سـحـه مسـفـوح

حسراته أذكت تلهب قلبه وشجونه هاجت بلابل لبه
ودموعه تحكى الحيا فى صوبه يرجوك لايرجو سواك لذنبه

لم لا وفضلك دائم ممنوح

ياطبّ أدوائي وكاشف كربتي يامبرئ الأسقام خفف علتى
(واسمح) بتقريب يبرد غلتى إنى وإن عظمت عظائم زلتى (٧٣ أ)

منى فلى للفضل منك جنوح

يانفس كم ذيلَ التوانى تَسْحَبُ من أم أبواب الرضا لا يُحجب
مالى سوى قربى إليكم مذهب أخلصت إقراراً بأنى مذنب

ولأنت عن ذنب المقر صفوح

أنتم منى نفسى وأنفَس بغيتىّ أتراك تقبل إن قصدتك أوبتى
وتنيلنى عفواً وترحم وقفتى واحسرتا إن لم تقلنى عثرتى

فيفيقُ مصدوع الفؤاد جريح

من أمّ بابِ المكرمات فقد جنى من دوح روض وصالكم زهر المنى
نادا كم مضنى البعاد فأعلنا منوا بعفوكم علىّ فها أنا

ملقى على بابا الكريم طريح

(١٤)

ومن تخميسه لشعر غيره قوله ـ نضر الله تعالى وجهه يوم حشره ، وسمح له فيما بقى من عمره بمنّه

هجرت ولكنى وثقت بحُبّكم ومازلت مذيممت وارف ظلكم
أعلل آمالى بألطاف طَوْلكم وكم لى من يوم على باب فضلكم

أروم افتتاح الباب والبابُ مغلق (٧٣ ب)

عسى عطفة منكم تقرب منكم ... ومن خوفكم يوماً تعوض أمنكم
فكم ذا أوالى بالشكاية بينكم ... قطعتم حبال الوصل بينى وبينكم

فلم يبق لى شىء به أتعلق

توسلت فى أمرى إليكم بحبكم ... متى تمنحوا وصلى فأحظى بقربكم
وحقكم لازلت ألزم بابكم ... فإن تقبلونى فالرضا لائق بكم

وإن تطردونى فالردى بى أليق

أذاب الهوى قلبى وأسقمني الجوى ... سلوا مهجتى ماذا تلاقى من النوى
فجسمى بما بى من ضنىً فيك قد ذوى ... وإنى وما ألقى من الجهد فى الهوى

وإنْ كنت من فرط اشتياقى أشهق

بعادك يامعنى وجودى يبيدنى ... وقربك إن واصلت وصلى يعيدنى
إليك أرى آمال نفسى تردنى ... على ثقة والفضل منك يقودنى

إليك وصدق الظن يؤوى ويشفق

حنانيك يرجوه لنفس سليمة ... عُبَيْدٌ نوى فيكم خلوص عزيمة
وعفوك يمحو عنه كل جريمة ... وأنت الذى عودت كل كريمة

لها فى محيًا الفضل نور وورنق (٧٤ أ)

إليكم مع الأحيان تومى إشارتى ... جناحى مهيض فامنحونى إراشتى
دعوتكم منوا بسرع إجابتى ... صلونى وحيُّونى وأحيو حشاشتى

ومنوا بمعهود الرضا وتصدقوا

ألا زهرة من روضة العطف تُقْطف ... ألا نهلة من مزنة اللطف تُرْشف
قضى بعدكم لى بانتزاحى فاعطفوا ... وإن كان يوم البين لم يرثِ فالطفوا

بعبدكم فى سره . وترفقوا

(١٥)

وله ـ عفا الله تعالى عنه ـ يخمس هذه الأبيات الرائعة الجامعة للمعانى الفائقة ، وهى لبعض الصالحين عفا الله تعالى عنه بمنّه

بان الخليط وقد خُلّفتُ واحزنا | ياحادى الظعن قطعت الفؤاد ضنى
زمزم فشجوك قد أذابنى شجنا | طوبى لقوم أناخوا اليوم أرض منى

فازوا بأمن ويمن والهوى ملكوا

حلوا موارد عنها يحمد الصدر | ترحلوا وأقامت عندى الفكَر
وأى قلب على التفريق يصطبر | زاروا وطافوا وحجوا البيت واعتَمروا

هذا وربىَ فخر ما له دَرَكُ

(٧٤ ب)

قد يسرت لهم من نحونا السبل | شدوا مُحَيّرا مطايا العزم[1] وارتحلوا
ياحبذا عزمةً[2] بها لنا وصلوا | وأنت بالذنب عنا اليوم معتقل

فجر ذيلك زهواً والهوى ملك

أيام عمرك قد قطعتها مَرَحاً | فى نخوة للهوى تستعذب البرحا
أما اعتبرت وشادى الموت قد صدحاً | أصبحت ترفل فى ثوب الصبامَرِحا

والقوم فى عرفات العرف قد نسكوا

نالوا الذى أملوا منه بقربهمُ | حازوا المكارم فى روضات عزهمُ
فلو رأيت سنا أنوار زيهم | والنُوريسهر حسنا من وجوههم

كالبدرُ فى غسق يزهو به الفلك

بسح أدمعهم خدودَهم جرحوا | عن بابنا ماغدوا يوما ولا بَرحوا
بذاك عندى غدا نالوا الذى اقترحوا | شَمّرْ وبادر فإن الباب ينفتح

---

(١) مطموسة ، والسياق يفرضها (٢) كذا بالنصب

وكن لنا سالكا سُبْل الذى سلكوا

لم يبق منى نوى الأحباب إلا ذما ... جرت دموعى على صحن الخدود دما
انهض إلينا وقدم نحونا قدما ... عساك تنجو غدا يوم الحساب بما

قدمت من حسن يرضى به الملك (٧٥ أ)

(١٦)

وله ـ عفا الله تعالى عنه ـ يخمس هذه القطعة الحفيلة ، الرائقة الجليلة ، وهى لبعض الصالحين بشرح الله صدورهم وأعْلى أمورهم فى مدّ الكف فى المقاصد ، والتعلق بفضل الواحد :

مضى جُلُّ عمرى فى التباعد والصدّ ... ندمت وهل تغنى الندامة أو تجدى
أيا مرشدى وقفٌ[1] عليك غدا رشدى ... إليك مددت الكفَّ بامنتهى قصدى

ومنك رجوت العطف بالمنّ والرفد

بحبلك يامعنى وجودى تعلقى ... فَهَبْ لى يَامولاى عطفة مشفق
أقول وقول الحق أنطق منطق ... إذا نظرت نفسى بعين محقق

علمت بأن الذنب أوجب لى طردى

تحيرت الألباب والأمر ظاهر ... وما للورى من قهر أمرك ناصر
وفى حكم ماتبدى تحار الخواطر ... وماهى إلا قسمة ومقادر

ونقض وإبرام وحكم بلا رد

عسى عطفة تدنى لقلبك نظرةً ... وتَمْنَحُ من برق التواصل خطرةً
ألفتَّى وغيرى فيكَ يزداد أثرَةً ... على مثل هذا تدمع العين حسرة (٧٥ ب)

وأرجعُ للتفويض للملك الفرد

على التَّوْبِ والإخلاص يانفس فاحرصى وجودى بسحّ الدمع ويحكِ تخلّصى
عسى الله أن يقضى بحُسْن تخلُّصىَ فأسأله عفواً وتوبة مخلصِ

تقرب من وصلٍ وتُبعُد من بُعدِ

أضاءت بحبى للنبى مطالعى فلا أحدٌ مما أحاذر قاطعى
سينجحُ لى سعْىَ به و مطامعى ويشفع لى فى مطلبى خير شافع

محمدٌ المبعوث للحرِّ والعبد

بيشرب روضٌ للمكارم رائقٌ وفرع لتتميم المحامد باسقٌ
أقولُ وقد لاحت لقلبى بوارق عليك سلام الله ماذرٌ شارِقٌ

وما غرّدت وروءعلى القضْبِ المُلْدِ

(١٧)

وله عفا الله تعالى عنه يخمس هذه القطعة الرائقة ، وهى لبعض الشعراء الفضلاء نفع الله تعالى بهم :

وذى نغمٍ يشدو بألحان مَعْبَدِ دعا لَهْفَ أشواقى وكان بمرصد
فلبَّاه لما أن شدا شدو مُكْمَدِ نَعِمْنَا بفخر الهاشمىِّ محمد

وطِبنا به عيشا لدى شدْوِ منشدِ (٧٦ أ)

لأمداح خير الخلق أصبح ناشدا فحرّكَ مشتاقاً وهيّجَ واجدا
وذكرّ من عهْدِ العقيق معاهدا فقام رجالٌ للسماع تواجدا

وشقوا جيوب الصبر شوقاً لأحمد

لقد شَرّفَ الرحمن منهم عصابةً إذا صاح حادى الشوق لبوا إجابةً
وقطعت الأكبادُ منهم كآبةً خقيق عليهم أن يذوبوا صبابةً
إذا سمعوا فخر النبى محمد

تخذت بأمداحى لأحمد مذهبا فياما ألذّ المدح فيه وأعذبا
به كَلٌّ جَدْبٌ للمآثر أخصبا نبى كريم للرسالة مجتبى
رسول رحيم صادقٍ كَلَّ موعد

على الشّرك بالإيمان قد سَلّ مرهفا فأحيا به رسماً من الدين قد عفا
وكَرّمَ من بالوعد لله قد وفّى تخيّره الرحمن خِلاًّ[1] ومصطفى
وخُصّ بتكريم وعزٍّ مُخَلّدِ

بتعظيمه آىَ المنزّل أعْلَنَتْ وألسنة البرهان عن ذاك أفصحت
سقى دوحة الإيمان رِياً فأورقت هدينا به بعد الضلال فأشرقت
شموس هدايات إلى كل مهتدى (٧٦ ب)

مددت إله الخلق كفّى طماعةً وأعلنت بالشكوى إليك ضراعةً
وثبرت حبى للنبى بضاعة به يرتجى العاصون مثلى شفاعةً
فحقق اله العرش سؤلى ومقصدى

بمدحِ النبى الهاشمىّ وحبّه تلذّذتُ دهرى واغتذيتُ بعذبه
وفى زورة تُدْنى إلى نيل قربه توسّلْتُ بالمختار ـ ربى ـ وصحبه
عتيق وفاروق توسُّلَ مقتدى

وأصحابُ خير الخلق لم أنسَ وُدّهُمْ فإنى لم أنقُضْ مدى الدهر عهدَهُم
ضجيعا رسولَ الله أمّلْتَ قصدَهم وعثمان يتلوه علىٌ وبعدَهم
جماعة أصحاب النبى المؤيد

(١) فى الكلمة طمس من أولها

متى لهم أحدو القطار بنية — برقة ألحان إليهم شجية
لدى أنفس في المعلوات زكية — عليهم من المشتاق ازكى تحية

على قدر حبى فيهم وتوددى

(١٨)

ومن تخميسه الطيب ، ونظامه المستعذب ، قوله

عفا الله تعالى عنه يخمس شعر غيره(١)

فجد برضاك اليوم عنى لك الشكوى (٧٧ أ)

لقد خفت أن تأتى علىَّ منيتى — ولم تمْحُ طاعاتى صحائف زلتى
وبت كما شاء الأسى حِلفَ حسرتى — فآمِنْ إلهى فى القيامة روعتى

وهب لى من رحماك ربىَّ ما أهوى

رضاك مع الأحيان سؤلى ومقصدى — فهب لى يامولاى ما اكتسبت يدى
وأمِنّ إله الخلق خوفى فى غدى — ولا تطردنّى عن جنابك سيدى

فأنت ملاذ العبد ياكاشف البلوى

تذكرتِ عهدا للتواصل قد خَلاَ — ومربع إيناس تقادم أولا
فقلتَ وما أرجو سواك مُعَوِّلا — وقفت على باب الرجا متذللا

أؤمِّل منك الجود والفضل والعفوا

بباب النَّدى والجود والفضل سائلُ — إليكم له ياراحمين وسائل
ترى العفو يدنيه فيمنح نائل — وظنى بكم أن ليس يطرد آمل

أعوذ بكم ، مَنْ ذا على طردكم يقوى

أيُحجَبُ عبدٌ ماسواكم مآله — ويُقْصَى وروض الجود رفّت ظلاله
ورَوّى غليل المعتفين زلاله — وكيف وأنت الله جل جلاله

---

(١) وقع حزم ، كما هو واضح من انقطاع التقديم فجأة ، وابتداء الموجود من المخمسة على هذا النحو ، لكن نرجوا ألا يكون خرماً كبيراً لأن الباقى من التخميس كثير ، ويستبعد سقوط تخميات أخرى قبل هذا التخميس ؛ لأن الترقيم فى المخطوط لايكاد ينقطع ، وإن كان الترقيم غير قاطع الدلالة لعدم معرفة صانعه.

(٧٧ ب) ورحماك للجانى هى الغاية القصوى

قضيت على الجانى بما أنت شئته فإن تقض بالرحمى ففضل منحته
وإلا فعدل كل ما فعلته وعبدك عبد من تراب خلقته

فبالنار لاتحرق بحقك لى عضوا

أرى همم الألباب تصرف للدنا وترتاح للرحات فيها وللهنا
ومن غصن دوح الجاه تستعذب الجنا وإنى رضاك الفوز عندى والمنى

وعفوك لى أحلى من المنّ والسلوى

مقيم على الأبواب يشكو بذنبه ويضرع من خوف الذنوب لربه
لعل رضاكم عنه يقضى بقربه توسل بالهادى الشفيع وصحبه

إليك فهم حقاً أولو البر والتقوى

متى بمغانيهم ينعّم ناظرى ويعذُب إيرادى بها ومصادرى
وتحمد إذ تبلى هناك سرائرى فحبهم دينى ومسكن خاطرى

وذكرهم نورى ومصباحى الأضوى

لقد جذبت عطفي لهم أريحيّة فنفسي لشحط الدار عنهم شجية
وحسبى لهم حبٌّ صفا وطوية وبعد على المختار منى تحية

أرددها شجوا وأشدو بها شدوا (٧٨ أ)

(١٩)

وله عفا الله تعالى عنه يخمّس هذه القطعة الرائقة النفيسة الفائقة وهى لبعض الصالحين(١) المتقين عفا الله تعالى عنه فى مولد سيدنا ومولانا محمد النبى المصطفى الكريم عليه أفضل الصلاة وأكمل التسليم :

(١) هذه القطعة منسوبة إلى المرتضى المراكشى كما أشرنا فى المقدمة . انظر البيان المغرب ٤٥٢/٣ ط تطوان

اسْمَعْ حديثا قد تضمن شرحه — روضاً من الإيناس أينع دوحه
فيه الشفاء لمن تغلغل برحه — وافى ربيع قد تعطّر نفحه

أذكى من المسك الفتيق نسيما

شهرٌ حوى بوجود أحمد أسعدا — بالمصطفى بين الشهور تفَرَّدَا
ياما أجلَّ سنا علاه وأمجدا — بولادة المختار أحمد قد غدا

يزهو به فَخْراً فحاز عظيما

يامن بأدمع مقلتيه يغتذى — كم ذا تنادى حسرةً مَنْ مُنْقذى
وتقول للأقران هل من منقذِ — بشرى بشهرٍ فيه مولده الّذى

بدّ الزمان علاؤه تعظيما

ياليلة رُفعَتْ بأحمد حُجْبَهَا — لما دنا بعد التباعد قربها
وتطلعتَ للسعد فينا شهبها — ضاءت لها شرق البلاد وغربها (٧٨ ب)

وتأنّقت أرجاؤها تنعيما

أهدى إليكَ الدهرُ حسْنَ صنيعه — وحباكِ من غَضٌ الجنَاَ به عه
وافى هلالُ محمدِ بربيعَهِ — فاعتز أمر الله عند وَعَه

وغدا به دين الإله قويما

نَظَمَ الزمان بجيد عمركِ دُرَّهُ — فاشكر مآثره ووالى (١) بّره
وافاك بالسرّ المصون فسره — واعرف لهذا الشهر حقاً قدره

فلقد غدا بين الشهور كريما

ياصاحِ جاءت بالأمانِى أسعُدّ — وأطلّ بالبشرى الكريمة مولد
هذا ربيع فيه أنجز موعد — شهر كريم جاء فيه محمد

صلوا عليه وسلموا تسليما

---

(١) كذا بالياء.

ومن تخميسه لشعر قديم، في سلوك الصراط المستقيم والافتقار إلى الرحمن الرحيم، قوله نفعه الله تعالى بذلك في دار النعيم:

يا حليف الشوق كم تغني ضنى (٧٩ أ)

لو تعرضت لنا نلت المنى

ناد في نادي الكرام معلنا

أنا لله ولله أنا ليس للعبد عن المولى غنى

لي مولى قد تعالى قدره

وجرى كيف يشاء أمره

قهر الخلق جميعًا قهره

إذ يقول الله عز ذكره أنا مولاكم ومن مثلي أنا

كل شيء في مَعْه رحمتي

لعبادي قد خلقت جنتي

كم وكم واليت فيكم نعمتي

أنا مولاكم وأنتم صفوتي لا يطيب العيش إلا بأنا

كم تغاضينا على جهلكم

وبذلنا اللطف في وصلكم

فصلوا ما انبت من حبلكم

واذكروني في دجى ليلكم يا أحبائي أذكركم أنا

طائع النفس أطعت غيّها

كيف ذا وقد علمت عيّها

خل عنها صاح واحذر بغيها

يوم تجزى كل نفس سعْيها وينال المتقي كل المنى

نهنه الأجفان من نوم الهوى

و اله عن لهو بخيمات اللّوى

وابك يا حلف الونا وقع النوى

فبدمع العين يستشفي الجوى نازح يشكو تباريح الضنا

من أتانا عائذاً منا بنا

لائذاً بعفونا من هجرنا

قادمًا يرجو نوال فضلنا

نال ما أمله من قربنا وارتقى مرقى الصفاء عندنا



الموشحات



(١)

ومن تكفيره الآخذ بمجامع النفوس، اللابس (٧٩ ب)

من الصنعة ورونق الرقة أجمل لبوس، يقرر

ما بقلبه مـــن الشجن، ويندب الأهـل

والسكن قولــه، نفعه الله تعالى بمذهبه

الجميل ومقصده الحسن :

أَلِـفَ المــُضْنَى الشُّـجُونَا	وَارْتَضَـى الأَحْـزَانَ دِينَـا
فَـوْقَ صَفْـحِ الوَجْنَتَيْـنِ	أَهْمَـلَ الدَّمْـعَ الْهَتُونَـا
يَقْطَـعُ الأَيَّـامَ حُزْنَـا	وَبُكَـاءً وعويـلا
فَـارْحَمُوا صَبًّـا مُعَنَّـى	قَلْبُـهُ يُذكِـى غَلِيـلا
مُلْهَـبَ الأَحْشَـاءِ مُضْنَـى	بِـالنَّوَى أَضْحَـى عَلِيـلاَ
ذَابَ شَـوْقًا وَحَنِينَـا	وَسَـقامًا[١] وَأَنينَـا
يَالَـهُ مِـنْ حِلْـفِ بَيْـنِ	يَرْتَضِـى فِيـكَ الْمَنُونَـا
أَتَـرَى عُهْـدًا تَقَضَّـى	مِنْكُـم لى هَـل[٢] يَعُـودُ
فَمَتَـى عَنِّـىَ تَرضَـى	قَـدْ بَـرَى جِسْـمِى الصُّـدُودُ
لَـمْ أُطِـقْ وَاللهِ نَهْضَـا	فَبِحَـقِّ الْحَـبِّ[٣] جُـودُوا
وَارْحَمُـوا صَـبًّا مَهِينـا	كَـمْ شَـكا البَيْـنَ سِـنِينَا (٨٠ أ)
وشُـؤُونُ الْمـُقْلَتَيْنِ	تَسْـكُبُ الدَّمْـعَ الْمَعِينَـا
قَـدْ ذَوَى غُصْـنُ شَـبَابِى[٤]	وَمَضَـى عُمْـرِى وَوَلَّـى
آنَ لِـى وَقْـتُ الإِيَـابِ	كَـمْ أُمَنِّـى[٥] النَّفْـسَ جَهْـلاَ
هَـذِهِ عِـرْسُ الْمَتَـابِ	فِـى قِبَـابِ الْوَصْـلِ تُجْلَـى

حَسِّنُوا فِيهَا الظُّنُونَا وَادْخُلُوهَا آمِنِينَا

قَدْ غَفِرنا[6] كُلَّ مَيْنِ وَعَفَوْنَا وَرَضِينَا

نَحْوَ هَانِيكَ الرُّبُوعِ فَاجْهَدُوا كَدَّ الْحُمُولِ

وَإِلَى قَبْرِ الشَّفِيعِ فَاعْمِلُوا[7] سَيْرَ الرَّحِيلِ

إِنْ تَكُنِ خِلِّى مُطِيعِى يَمِّمَنِ خَيْرَ رَسُولِ

كُنْ لِى يَا رَبِّ مُعِينَا وَصِلِ الصَّبَّ الْحَزِينَا

قَبْلَ أَنْ يَحِينَ حَيْنِى وَأَرَى الْمَوْتَ يَقِينَا

نَمَّ رَيْحَانُ التَّدَانِى وَسَرَتْ رِيحُ الْوِصَالِ

قَدْ صَفَا وِرْدُ الأَمَانِى فَانْتَهِضْ إلى[8] المَعَالِى

صَاحِ كَمْ هَذَا التَّوَانِى فَاسْتَمِعْ عَذْبَ المَقَالِ

قَد يَلِينَا[9] وَابْتُلِينَا واشْ يقُولُ النَّاس فِينَا[10]

قُمْ بِنَا يَا نُورَ عينِى نَجْعَلِ الشَّكَّ يَقِينًا (٨٠ ب)

المراجع :

هذا النص أول ما اختاره له المقرى فى أوهار الرياض، جـ٢، ص ٢٣٠، يتصدره :

«ومن ذلك جملة موشحات انتقيتهاه من كلام الشيخ الإمام الصالح الذكى الصوفى، أبى عبد الله بن أحمد بن الصباغ الجذامى، وقد ألف ذلك بعض الأئمة فىتأليف رفعه للسلطان المرتضى صاحب مراكش، وأطال فيه من موشحات هذا الشيخ وسائر نظمه، و لم أذكر من موشحاته هنا إلا الغرر، على أنها كلها غرر، فمن ذلك قوله رحمه الله»

(١) كذا فى الأصل وفى طبعة أزهار.

(٢) فى أزهار : منكم هل لى.

(٣) فى أزهار : فبحق الحق.

(٤) فى أزهار : الشباب.

(٥) فى أزهار : كم أسلى.

(٦) فى أزهار : قد وصلنا كل بين.

(٧) فى أزهار : اعملوا.

(٨) فى أ.هار : نحو.

(٩) أزهار : وبلينا.

(١٠) هذه الخرجة مستعارة من موشحة ابن بقى (وترد فى جيش التوشيح، وغيره) ومستهلها

ساعدونا مصبحينا　　　　نرتشفها قد ظمينا

(٢)

ومن تكفيره فى حلول المشيب، وهو من

كلامه العجيب، قوله قسم الله تعالى له

من الخير أو فى نصيب

زَهْــرُ مَشْــيبِ المَفَــارِقْ	تَفَتَّحَــتْ عَنْــهُ الْكِمَــامْ
فَــابْكِ الزَّمَــانَ الْمُفَــارِقْ	وَحَــاكِ فِــى النَّــوْحِ الْحَمَــامْ
عُوِّضْـتُ بـالصُّبْحِ الأَصِيــلْ	وَقَـدْ عَـرَا الْبَـدْرَ انْكِسَـافْ
أَلَمَّ بِــالْغُصْنِ الذُّبُــولْ	وَكَــانَ لَدْنًــا ذَا انْعطَــافْ
رِيـحُ الصَّبَـا[1] بـه تُميـلْ	كـأَنْ سُـقِى صِـرْفَ السُّـلاَف
حَتَّـى رَمَـى الْقَلْـبَ رَاشِـقْ	وَفُوِّقَــتْ نَحْــوى السِّــهَامْ
لِسَــانُ حَــالى[2] نَــاطِقْ	يُخْـــــبِرُنِى أَنْ لاَ دَوَامْ
يَــا بَــدْرَ أَيَّــام الشَّـبَابْ	هَــلْ لِلأُفُــول مــن[3] طُلُــوعْ
أَضْحَــى فُــؤَادِى ذا الْمُــذَابْ	حَلِيــفَ أَشْــجَانٍ مَــروعْ[4]
ونَــارُ حُزْنِــى فِــى الْتِهَــابْ	تُذْكَــى بِأَحْنَــاءِ الضُّلُــوعِ
فَــإِنْ هَفَــا الْــبَرْقُ خَــافِقْ	ذَكَــرْتُ عَهْــدِى بالْخِيَــامْ
وَإِنْ تَــــأَوَّهَ عَاشِــــقْ	سَــاجَلْتُ فِــى دَمْعِــى الغَمَــامْ (٨١ أ)
وَلَّــى الشَّــبَابُ وَانْقضَــى	فَدمْــعُ عَيْنِــى فِــى انْهِمَــالْ
وَفِى الْحَشَــى جَمْــرُ الغَضَــا	لِفقْــدِ هَــاتِيكَ اللَّيَــالْ
يَــا عَهْــدَ أَيَّــامِ الرِّضَــا	هَــلْ رَجْعَــةٌ تُدْنِــى الْوِصَــالْ
تَحْيَــا بهَــا نَفْــسٌ وَأمِــقْ	مُضْنَــى الفُــؤَادِ مُسْــتَهَام
نَحْــوَ العُذَيْــبِ وَبَــارِقْ	يَحْــدُو بِــهِ حَــادِى الغَــرَامْ
يهيجــه لمــع الــبروق	شــوقا ويشــجيه الهديــل[5]

وإن سـرى ذكـر العقيـق		تـراه مـن شـوق يميـل[٥]

مـراده البيـت العتيـق		فهـل لـه بـه مقيـل[٥]

يـأمل لمحـة بـارق		مِـنْ طَيْبَـةٍ يومـا تُشَـامْ[٦]

فَـإِنْ تَعُقْنِـيَ الْعَوَائِـقْ		أَلْصَقْـتُ خـدِّى بالرَّغَـامْ

يَـا دَارُ هَـلْ يَدْنُـو الْمَـزَارْ		فَيَعْقُـبَ اللَّيْـلَ الصَّبَـاحْ

لَهْفِـى عَلَـى بُعْـدِ الدِّيَـارْ		وَقَـصُّ أَرْيَـاشِ الْجَنَـاحْ

مَـتَى أَرَى أَحْـدُو الْقِطَـارْ		فَقَـدْ بَرَانِـى الإِنْـتِزَاحْ

أَشْـدُو الْمَطَايَـا السَّـوَابِقْ		مُزَمْزِمًـا عِنْـدَ الْمَقَـامْ(٨١ ب)

تَغْـرُ الزَّمَـانِ الْمُوَافِقْ		حَيَّـاكَ مِنْـهُ بِابْتِسَامْ[٧]

المراجع :

صدرها المقرى فى "أزهار" بـ : «وقوله فى التشوق إلى مكة وطيبة، على ساكنها الصلاة والسلام»

(١) أزهار : كان.

(٢) أزهار : ولسان الحال.

(٣) أزهار : منك طلوع.

(٤) أزهار : فزوع.

(٥) كل هذا ساقط من أزهار الرياض، وقد أحس المحققون بالخلل فعلقوا بالهامش بعدها أن «هذه القفلة كان من حقها أن تسبق بدور ذى ستة أغصان على نظام أدوار هذه الموشحة أو لعلها زائدة.

(٦) أزهار : يهجه لمع البوارق		من طيبة حين تشام

(٧) مطلع موشحة لابن حزر البجائى (أواخر القرن السادس). وهذا المطلع هو كل ما يرد فى المصادر المطبوعة (المقتطف من أزاهر الطرف، ص ٤٨٣ ومن نقلوه عنه مثل ابن خلدون فى المقدمة والمقرى فى النفح والأزهار) وقد أثبتنا الموشحة كاملة فى كتابنا ديوان الموشحات الأندلسية (ط ٢) ص ٥٦.

(٣)

ومن مكفراته الحسنة، وأعـــاريضه المستحسنة

ينبه فيها إلى اعتبار الدنيـا الدنية، ويزجـر ذوى

النهى عن مطاوعة شياطينها الغوية، قوله عفـا

الله تعالى عنه وهداه سبله السوية بيمن الله تعالى

ومن لا رب سواه :

رُسُــومُ خـــط[1] الْبِلَـــى	بِكُـلِّ رَسْـمْ طَاسِـم عُنْـوانِ
وفيهــم[2] مَـــا أَشْـــكَلاَ	مِنْهَـا لِكُـلِّ حَـازِمْ تِبْيَــانْ
قِـــفْ بِالدِّيَـــارِ واعْتَـــبِرْ	إِنْ كُنْـتَ مِـــنْ أَهْـلِ العِـبَرْ
وَانْظُـــرْ لَهــا وَازْدَجِـــرْ	فَـــإِنَّ فِيهَـــا مزدجـــر[3]
كَــمْ مَعْلَــمٍ قَــدْ دَثَــرْ	فَلَــمْ يَبِــنْ مِنْــهُ أَثَــرْ
تَبْكِيـــهِ وُرْقُ الفَــــلاَ	وَفِى بُكَا الْحَمَـايِم[4] أَشْجَانْ
فـلْـتـنـدب الـطَّـلـلا[5]	فَفِـى فُـؤَادِ الْهَـائِمْ أَحْـزَانْ
سَـمَاع لحـن[6] الْوُجُـودْ	عَنْـهُ نبـا فهـم العُقُـول[7]
فَغَيْبَـــــةٌ وَشُـــــهُودِ	كِلاَهُمَـــا عـــينُ الدَّلِيْـــل
حَتَّـى مَتَـى يَـا مُرِيـدْ	تَخْتَـالُ فِـى ثـوب الْخُمُـولِ (٨٢ أ)
تَشْـــكُو لَنَـــا الْعِلَــلاَ	وَأَنْـتَ بِالْمَـآثِمِ جَـذْلاَنْ
فَلُــــذْ بِعِــــزِّ العُــــلاَ	فَعِنْدَنَـا لِلنَّـادِمِ إِحْسَـانْ
فَنَـــاءِ أَهْـــلِ الطَّرِيـــقْ	هُـــوَ الوُجُـــودُ الْمُطْلَـــقُ
فَكُـــلَّ مَعْنَـــى دَقِيـــقْ	بِوَصْفِهِـــمْ يُحَقَّـــقُ
أَنْوَارُهُـــمْ فِـــى شَـــرِيقْ	بِهَـــا اسْـــتَضَا الْمُوَفَّـــقُ

قَــدْ أَوْضَحُـــوا السُّـــبُلاَ	فَهُـمْ لَنـا فِـي الْعَـالَمِ بُرْهَـانْ
فَـــاجْنَحْ إِلَيْهِـــمْ وَلاَ	تُغْفِـلْ لِلْمَوَاسِـمْ إِبَّـانْ
يَـا نَاسِـيًا وَصْلَنَـا[8]	أَيقِـظْ مِـنَ النَّـوْمِ الجُفُـونْ
سَــلِّمْ لِنَـا[9] فِعْلَنَـا	مَـا كَـانَ مِنْـهُ أَوْ يَكُـونْ
لاَ حَـوْلَ إِلاَّ حَوْلُنَـا	فَـانْفِ الشُّـكُوكَ وَالظُّنُـونْ
يَـا غَـادِرًا قَـدْ سَـلاَ	أَقْصِرْ فَلَيْسَ يَجْمـلُ سُلْوَانْ
لِلهِ مَـا أَجْمَـلاَ	مَنْ بَـاتَ وَهْـوَ بـالْهَوَى نَشْوَانْ
يَـا طَالِبًـا لِلنَّـدَى	يَبْغِـي السَّـمَاحَةَ وَالنَّـوَالْ
يَمِّـمْ - فُدِيـتَ - أَحْمَـدَا	بَـدْرَ العُـلاَ شَـمْسَ الكمَـالْ (٨٢ ب)
وَعَـدٌ عَمَّـنْ شَـدَا	وَاسْـتَغْرَقَ المَـدْحَ وَقَـالْ :
إنْ جِئْـتَ أَرْض سَـلاَ	تَلْقَـاكَ بالمكَـارِمِ فِتْيَـانْ
هُـمْ سُطُـورُ العُـلا	وَيُوسُفُ بنْ القَاسِـمِ عُنْوَانْ[10]

المراجع :

ترد في أزهار.

(١) أزهار : ظاهر البلى.

(٢) أزهار : وربعهم.

(٣) أزهار : فيها الأجر.

(٤) أزهار : الحمام.

(٥) أزهار : فلننتدب إلى الطلا.

(٦) أزهار : سماعًا من الوجود (وليست بالقراءة الجيدة).

(٧) أزهار : عنه في تفاهم العقول (وليست بالقراءة الجيدة).

(٨) أزهار : لوصلنا.

(٩) في الأصل : إلينا، والتصويب من أزهار.

(١٠) خرجة موشحة للأعمة التطيلي ترد في ديوانه، وفي جيش التوشيح ومستهلها :

كيف السبيل إلى   صبري وفي المعالم أشجان

(٤)

وله عفا الله تعالى عنه وسمح له فى شكوى النوى،

وفناء القوى وعدم المعين على الجوى، وهو من

التكفير المطبوع، والنظم الحسن الرفيع

النوى أفنت قوى جلدى فدمـــوع العين تنسجـــم

لم أجـــد عونـــا علـــى الســـقم

غـير سـجع الـــورق فـــى الظلـــم

ذكرتنـــى عهـــد ذى ســـلم

فـــاستهل الدمـــع كالديـــم

يا حمامات اللوى أسعدى مكمدا قـــد شفـــه السقم

هـــل إلى تلـــك الطلـــول ســبيل

أو بهـــاتيك الخيـــام مقيـــل

فبهـــا يشـــفى أليـــم الغليـــل

فمَتـــى يُدْنِى المعنى العليـــل

فلهيب الشوق فى كبدى تـــرك الأحشـــاء تضطرم

.........................مع[1]

.. تستهل السحب مـن أدمعـــى

وضـــرام الشـــوق فـــى أضلعـــى (٨٣ أ)

فارحمـــوا بحقكـــم مصرعى

فإذا كنتم منـــى مقصدى كيف منكم فى الهوى أحرم

أودت الأيـــــام بـــــــالعمر

وأنــــامن ذا علــــى خطــــر

قصتـــى مـــن أعجـــب العـــبر

كلمـــا أوغلت فـــى الكبر

زاد تسويفى فمن مرشدى إن أنـــا لم ينهنـــى الهرم

مـــن لصـــب بالأســـى ينعـــم

وفـــؤاد بـــالنوى يكلـــم

كلمـــا أودى بـــه الألم

صـــاح والأشـــواق تزدحم

يا نسيم الريح من بلدى خبر الأحبـــاب كيف هـــم[٢]

المراجع :

(١) مطموس المعالم، وحاولنا أن نقومه بجهد الإستطاعة.

(٢) خرجة موشحة أندلسية مجهولة المؤلف ترد فى دار الطراز ص ٢٢، ومطلعها

يا شقيق الروح من جسدى أهوى لى منك أم لمم

(٥)

ومن تكفيره في التشوق إلى أرض طيبة الغراء

والتمني للمثول في روضتها الزاهرة لزورة

سيد الأنام ، عليه أكمل الصلاة وأزكى السلام،

قوله متعة الله تعالى بالحسنى في دار السلام،

بمنه ويمنه.

بِأَرْضِ طَيْبَةَ مَعْهَدْ شَوْقِي إِلَيْهِ مُجَدَّدْ

هَلْ لِي بِتِلْكَ الطُّلُولِ

مِنْ زَوْرَةٍ وَمَقِيلِ (٨٣ ب)

يَا قَبْرَ خَيْرِ رَسُولِ

مَتَى يَرَاكَ فَيَسْعَدْ صَبٌّ بِبُعْدِكَ مُكْمَدْ ؟

مُذْ قَدْ بدا الإنْتِزَاحُ[1]

وَقُصَّ مِنْهُ الْجَنَاحُ

لَهُ إِلَيْكَ ارْتِيَاحُ

بِالْغَرْبِ أَضْحَى مُقَيَّدْ وَالضَّعْفُ والشَّيْبُ يشْهَدْ

رَبْعُ التَّوَاصُلِ أَقْوَى

فَمَنْ عَلَى الْهَجْرِ يَقْوَى

قد صَيَّر الجسمَ نِضْوَا

سَهْمُ بِعَادٍ مُسَدَّدْ حين[2] رَمَانِي فَأَقْصَدْ

مَتَـــى يُتَـــاحُ التّدَانِـــى
لِمُكْمَـــدِ الْقَلْـــبِ عـــانِى
يَشْـــدُو بكلِّ لِسَـــانِ

عَسَى الّذِى كُنْتُ أَعْهَدْ مُمّـــا تَقَضّـــى يُجَدَّدْ

يَـــا بُغْيَتِـــى يـــا مُـــرَادِى
أَشْـــكُوكَ فَـــرْطَ بِعَـــادى
فـــى كـــلِّ وَادٍ أنـــادِى :

مَـــالِى غَيْرَك مَقْصِدْ فَكَيْفَ بِالْهَجْرِ أُقْصَـــد

فَوَّضْـــتُ أَمْـــرِى إِلَيْكَـــا
فَـــذَاكَ وَقْـــفٌ عَلَيْكَـــا
مَالِـــى شَفِيعٌ لَدَيْكَـــا (٨٤ أ)

إِلاّ بُكَـــائِىَ سَرْمَدْ فَمَنْ عَلَى الحزن[٣] يُسْعِدْ

بِـــى فَـــافْعَلن[٤] مَـــا تَشَـــاء
إن صـــح[٥] مِنْـــكَ الرَّجَـــاء
فَـــكُـــلُّ داء دَوَاء

وَكُـــلُّ رَأْ ى[٦] مُسَدَّدْ وكُـــلُّ أَمْـــرٍ مُرَشَّدْ[٧]

المراجع :

ترد في "أزهار الرياض" :

(١) أزهار : براه انتزاح.

(٢) أزهار : لقد رماني.

(٣) أزهار : فمن على الحسن.

(٤) في الأصل : فافعل ، والتصويب من أزهار.

(٥) أزهار : أضحى لي.

(٦) أزهار : رأيي.

(٧) يبدو أن هذه الخرجة (الفصيحة، على غير معظم خرجات موشحات ابن الصباغ. ليست مستعارة. وتراجع الموشحة رقم ٣١.

(٦)

ومن تكفيره البديع ونظمه، ما رسم الحسن لفظًا ومهنى

برسمه، قوله نفعه الله تعالى بمقصده فى غده ويومه :

صــب صباباتــه شــهود ... وقتلـــه فيكـــم مبـــاح

منـاه لــو أسـعف التمنـى ... مـن كاسـريه جـبر الجنـاح

قـد فـاق فـى وجـده الوجـودا ... ولج فـــى لجـــة الغـــرام

فصـــار فـــى حبـــه فريـــدًا ... وقـــام فيـــه أعلـــى مقـــام

بنفســـه جـــد أن يجـــودا ... فـــلا اعـــتراض ولا مـــلام

دعـــوه فـــالنوم لا يفيـــد ... مـــا ان علـــى مغـــرم جنـــاح

جنانـــه بـــات فيـــه يجنـــى ... فنـــون أفنـــان الافتضـــاح

لا تبعدونـــى ففـــى البعـــاد ... والصـد مـا يصـدع الفـواد (٨٤ ب)

بكـم وحـق الهـوى أنـادى ... إذ ليـس لى غـيركم مـراد

ولهــان أشــكو بكــل واد ... مضنـــاكم بالبعـــاد بـــاد

لـو ساعدت بـالمنى السـعود ... مـــا كـــان لى عنكـــم بـــراح

لكـــن مـــا شـــئتموه منـــى ... هـــو المنـــى والاقـــتراح

أنفـــاس ريحانـــة ارتيـــاحى ... نمـت بمـا بـى مـن الولـوع

قد حان فى حبك افتضاحى ... وخـددت خـدى الدمـوع

فيـا لسـكران فيـك صـاح ... أشـــواقه تلهـــب الضلـــوع

ولا وصـــــول ولا ورود ... يعيـد ليلـى بكـم صبـاح

يـا صـاح دعنـى وخـل عنـى ... فلسـت أصغـى لقـول لاح[1]

يـا حسـرتا قـد مضـى وولى ... عمـرى ومـا منكـم نصيـب

أورثـنى الهجـر منـك خبـلاً ... فصـرت أدعـى ولا أجيـب

أهــلاً بــذاك الســقام أهـــلاً	إذ أنـــت يـــا ممرضـــى الطبيـــب
عودوا بطيب الوصـال عـودوا	فلـــى إلى ذلــــك ارتيـــاح
.. .. قـــرب منـــك يدنـــى	مـــن بـــات يضنيـــه الإنـــتزاح
أنـــا بمـــا ترتضيـــه راض	إن كنـــت لى العـــون والرضـــى (٨٥ أ)
فـإن تكـن فـى الجمـال قـاض	فـالطف بمـا شـئت فـى القضـا
وهـب لراجيـك كـل مـاض	فـــلا يعـــاد الـــذى مضـــى
يـا صـاح قـد جـددت عهـود	للوصـــل تفضـــى بالاصطبـــاح
فارشف كؤوس المنى وغـــن	حى على الشرب يــــا ملاح

المراجع :

ترد كذلك فى "الروضة الغناء"، ص ٢٢٢.

وهى على منهج موشحة ابن زهر "وترد فى طبقات الأطباء ٧٣/٢" ومطلعها :

هل ينفع الوجد أو يفيد	أو على من بكى جناح
يا منية القلب غبت عنى	فالليل عندى بلا صباح

لكن ابن الصباغ لن يستعر الخرجة

(١) نهاية النص فى "الروضة الغناء".

(٧)

ومما نظمه فـى هبوب ريح الأمانى على روض القبول
ونم عرف زهـــر الوصول، وهو مـــن التكفير البديع،
والنظم الجامـع بيـــن الصنعة الرائقـــة والمعنى الرفيع.
قوله أمده الله تعالى بمعونته، ونفعه بالتقوى والخشوع
بيمنه ومنه :

هبـت علـى روض القبـــول	ريـــــــح الأمـــــــانى
ففـــاح مـــن زهـــر الوصـــول	عـــــــرف التدانـــــــى
عهـــد النـــوى قـــد انقضـــى	إن كنـــــت صـــــادى
فاشـــرب بكاســـات الرضـــى	صـــــرف الــــــوداد
لا تيأســـن فقـــد مضـــى	عصـــــر البعـــــاد
بقربهـــا طـــاب المقيـــل	أنّـــــى نعـــــانى(٨٥ ب)
بوصلهـــا (يـــروى) غليـــل	مـــن بـــات عـــانى
يـــا ناســـى العهـــد أمـــا	ترعـــــى العهـــــودا
صـــددت يـــا مـــن أجرمـــا	دع الصـــــــــدودا
وانـــزل بنـــا مخيمًـــا	تلقـــــى الســـــعودا
فظلنـــا أضحـــى ظليـــل	لكـــــل جـــــانى
قـــد بـــات مـــن ذل الخمـــول	مضنـــــى الجنـــــان
بـــالرأس صبـــح الشـــيب لاح	نبـــــه جنـــــانك
مـــا لى أراك فـــى مـــراح	تفنـــــى زمـــــانك
حتـــى متـــى هـــذا الجمـــاح	أمســـك عنـــــانك

بـــدرك مـــال للأفـــول	وأنـــــــت وانــــــى
ارجـع فقـد حـان الرحيـل	كـــــم ذا التوانــــى
بـادر فقـد ولى الشـباب	إلى المتـــــــــاب
عمـــرك أودى للذهـــاب	هـــل مــــن إيـــاب
مـا فـى فنـائك ارتيـاب	كـــــم ذا التصـــاب
قـف بـالربوع والطلـول	ففـــــــى المغـــــانى (٨٦ أ)
زجـر لأربـاب العقـول	عنـــــد العيـــــان
بـا لله يـا ريـح الشـمال	عنـــــد الهبـــــوب
ألا ابلغـى عـن ذى خبـال	إلى الحبيـــــــــب
صغـى سـقام ذى اعتـلال	إلى الطبيــــــــب
قـولى لـه إننـى عليـك	وقـــــد جفـــــانى
وعاقنـى عـن الوصول	جـــــور الزمـــان

(٨)

ومن تكفيره عفا الله تعالى عنه فى سح الدموع

والتسليم لأحكام المحبوب والرجوع، وهو من

نظامه الموفى وكلامه المطبوع

دمـــع كسح الغيــوم وزفـــرة كالجحيـــم

عذب بمـــا ترتضيه قلبـــى فإنك فيـــه

إنـــى بما ترتضى راض فكـــن لى معين

إليك يـــا ممرضى أشكو بضعف اليقين

فإن تكـــن منهضى أفـــز بعز مكين

نـــار البعاد أليـــم كم بت ليـل السليم

فـــى كل بحر أتيه مضنـــى بما ألتقيـــه (٨٦ ب)

(أيـــام عز)[1] مضت عنـــى و لم ترجـع

نـــار الأسى أودعت وودعـــت أضلعى

يـــد النوى فرقت شملى بذى الأجزع

بانوا وحزنى مقيـم أبكى تلك الرسوم

ما بالحمى أجتنيـه فيـه ومـــا أقتنيه

يـــا شاديًا بالغصون ذكرت عهدًا مضى

شدوك هاج الشجـون والحب قـد أعرضا

إن كنت تبكى الخدين فإنـــه قوضـــا

دع عنك ندب الحميم — فليس خل يـــدوم

قد بان مـــن تصطفيه — وعز مـــا ترتجيه

يا نفس كم ذا التصاب — فيـــا له مـــن مصاب

ولّى زمـــــان الشباب — آن أوان الإيـــــاب

لو ذي بتيك القبـــاب — حثى إليها الركـــاب

فبالصفـــا والحطيم — وبالمقـــام الكريم

وفى محـــل الوجيه — تحظى بمـــا تشتهيه

متى أرى فـى الرحال — مـــا بين تلك الرمال

إلى مقام الكمـــال — أحدوا وأشدوا الجمال

وللدموع انهمـــال — كمـــا شدوا ذو خبال

فى بحر دمعى نعـــوم — وفـــه نقـــع ونهيم (٨٧أ)

وذا المليح إن يتيــــه — لس نفتح اليد بيـــه

المراجع :

(١) ممحوة فى الأصل، وأضفناها ليستقيم الكلام.

(٩)

ومن بديع التكفير ورائقه، ومطبوع النظم وفائقه،

قوله عفا الله تعالى عنه، على عروض قول الهائم

باللهو فى الدجى والغلس :

غرد الطير فنبه من نعس.

قُمْ ونَاد اللهَ فِى دَاجِى الْغَلَسْ	تقتنى الأربَاح[1]
وَالْتَمِس لِلْعفْوِ فِيهِ مُلْتَمَسْ	وَانْتَبِهْ قَدْ فَاحْ
عَرْفُ أَزْهَارِ الرِّضَا ثُم اقْتَبِسْ	نُورَ رُشْدٍ لاَحْ
وَانْتَشِقْ يَا صَاحِ أَرْوَاحَ السَّحَرْ	يَا لَهَا مَشْمُومْ
عَرْفُهُ إنْ هَبَّ فِى إِثْرِ الزَّهَرْ[2]	يُنْعِشُ المَزْكُومْ
مَرِّغِ الخَدَّ وَنَادِ بِالنَّحِيبْ	وَاهمِلِ الأَجْفَانْ
قِفْ بِمَغْنَاهُمْ وُقُوفَ مُسْتَرِيبِ	خَالَفَ الأَشْجَانْ
وَاشْكُ إِنْ وَافَقْتَ إِصْغَاءَ الطَّبِيبْ	عِلَّةَ الهِجْرَانْ
فعسَى بِالوَصْلِ تُحْيِى مَا دَثَرْ	وَيَطِيبُ النَّعِيمْ
فَالنَّوى مَا إنْ عَلَيْهِ مُصْطَبَرْ	وَالبِعَادُ أَلِيمْ (٨٧ ب)
يَا رَحِيمَ الخَلْقِ رُحِمَاكَ فَقَدْ	جِئْتُ مَغْنى رَحِيبْ
لَيْسَ للعبْدِ عَلَى النَّارِ جَلَدْ	وَهْوَ عَبْدٌ مُرِيبْ
يَا إلهِى عبد سوء قَدْ قَصَدْ[3]	يَشْتَكِى بِالذُّنوبْ
مَنْ لَهُ يَوْمَ ترامى بِالشَّرَرْ	زَفَرَاتُ الجَحِيمْ
فبهَادِى الخَلقَ[4] مِنْ خَيْرِ البَشَرْ	عَافِنِى يَا رَحِيمْ
أَنَا مَا بَيْنَ مَقَامَيْنِ مُقِيمْ	أَوْرَثَانِى شَجَا

فِي فُؤَادِي مِنْ دُمُوعِي كُلُومْ　　　قَلَّمَا تُرْتَجَى

وَاعْتِلاَقِي بِجَنَابِ الكَرِيمْ　　　مُشْعِرٌ بِالنَّجَا

هَا أَنَا فِي الحَالَتَيْن فِي خطَرْ　　　وَالفُؤَادُ سَلِيم

سَلَكَ التَّوْحِيدُ فِيهِ بِالنَّظَر　　　سُبْلَ نَهْجٍ قَوِيم

يا حَلِيفَ[5] الحُزنِ يَشْكُو بِالبعَاد　　　لُذْ بِمَجْدٍ أَثِيل

فِي قِبَابِ المَجْدِ تَحْظَى بِالْمُرَادْ　　　حَيثُ حُسبُ الرَّسُول

عِنْدَهُ يَشْفِي صَدَاهُ الفُؤَاد　　　واسل عمن يقول[6]

ليتني رملة على شاطئ البحر　　　يا ابني أو حلوم

وترك عيني حين تغدو سحر　　　لبلاد الروم[7] (٨٨ أ)

المراجع :

في أزهار الرياض :

(١) أزهار : قم وناج... تنتشى الأرواح

(٢) الأصل : في أثر السهر.

(٣) أزهار : عبد سوء قد قصد. وجعلها المحققون :

عبد سوء لحماك قد قصد

(٤) أزهار : فيهاب الخلق (وهو مضطربة وذكر المحققون بالهامش أن في أحد نسخ أزهار : فيها ندى الخلق، وهذا كله لا يفضي بشيء)

(٥) أزهار : أحليف الحزن تشكو

(٦) أزهار : واسألن من يقول (وهذا من غريب القراءات) وقد ذكر المحققون أن في نسخة القاهرة من أزهار: واسأل عمن يقول، وفي الأصل الثاني من أزهار : وسل عما. وقالوا أن هاتين القراءتين مبلتان، على الأرجح، مما ذكر، ليجري الوزن على ما سبق.

(٧) لا يأتي منها في أزهار الرياض سوى : ليتني رملة الحرة

وهذه الخرجة خاتمة موشحة أندلسية أولها :

غرد الطير فنبه من نعس　　　يا مدير الراح

وترد في عدة الجليس رقم ٢٠٥ والعذارى المائسات الخ، كما ختم بها ابن عربي موشحته :

كل شيء بقضاء وقدر　　　هكذا المعلوم

مع اختلافات طفيفة، ففي ابن عربي : يا ابني أو أطوم (؟) وايضًا : مذ تطلع سحر في حين نرى في خرجة "غرد الطير" : أو ما أو حلوم (؟).

(١٠)

ومن تكفيره فى سجع ورق الأفنان ونائح الأغصان
قوله أمده الله تعالى بالصفح والغفران، وأعانه على
ما يبديه لنا من الحسن والإحساس، بمنه ويمنه :

شجو الورق فى الأفنان غداة النـــوى أفنانى

أيـــا نـــائح الأفنـــان
بكـاؤك قـد أشـــجانى
وسهم النـوى أضنـــانى

رمانـــى فما أخطانـــى فشردت عن أوطانى

شطت بى عن الأحبـاب
ديـارى فيـا أوصـــابى
كأن النـوى أوصى بى

إن لم تهمى يا أجفانى عليهم فمـــا أجفانى

أيـــن البيـــض والآرام
وجيرتنـــا الكـــرام
نأت بهـــم الأيـــام

فأحزان قلبى العانى لم ألف لهـــا معانى

بحقهـــم يـــا دار
أحبـابى أيـــن ســـاروا
فنادتنــــى الآثـــار

توالى البلى أقوانى وما قد ترى عنوانى

أفناهم مرور الدهر

إن كنت مجيد الفكر

فانظر فى مآل الأمر

إن .... كأن بذاك الميدان (٨٨ ب)

كفكف دمعك المطلولا

واترك ندبك الطلولا

وزر أحمد الرسولا

عسى الأنس بالغفران ينفى وهشة الهجران

(١١)

ومن نظمه الحسن الجميل على عروض :

الا هل إلى ما تقضى سبيل

قوله متعة الله تعالى بالفضل الجزيل، بمنه :

تنبه فهـــذا أوان الرحيل وشمر فليس عليهـــا مقيـــم

إذا أينع الزهر حان القطـاف
وزهر مشيبك بالرأس طـاف
وبدر الشباب عراه انكساف

وصبحك عوضته بالأصيل ومـــا ان رأيت أصيلاً يدوم

لقـد أسمع الوعـظ لـو تسـمع
وأنــذرك الشـيب لـو ينفـع
جمحــت وآليت لا ترجــع

وان أمامك خطبًا جليـــل وبين يديـــك مقامـــا عظيم

(٨٩ أ)

إذا شئت فى الحشر أن تسعدا
فـــزر..............دا
فذلك الكفيل ينقع الصـــدا

وذ.................ل ومـــن للمشوق بذاك النعيم

سـأقطع بيـد الفـلا والقفـار
وأتـــرك دارى لتلك الديار
فليس على البعد منهـا قرار

فإن سمح الدهر لى بالمقيل　　　شفيت غليلى بتلك الرسوم

إذا لمعت بالعشى البروق

تذكرت وادى الحمى والعقيق

وأنشدت قول كئيب مشوق

ألا هل إلى ما تقضى سبيل　　　فيشفى الغليل وتوسى الكلوم[1]

المراجع

(١) موشحة :

ألا هل إلى ما تقضى سبيل　　　فيشفى الغليل وتوسى الكلوم

من غرر موشحات أبى الحسن بن الفضل (المتوفى سنة ٦٢٧هـ) انظر المغرب (قسم الأندلس) ٢٨٨/٢ ومقدمة ابن خلدون جـ ٣٩٧/٣.

وابن الصباغ جعل من مطلع موشحة ابن الفضل خرجة لموشحته، وهذا الصنيع جرى عليه عدد من متأخرى الوشاحين.

(١٢)

ومن مكفراته التى بحسنها تاهت، على عروض :

ترى الغيب طالت

إذا القضب ماســـت	بهـــا الريح الجنوب
تمايـلـــــت شوقًـــا	وأشجانـــى الهبوب
نسيـــم الأصيـل	وترجيـــع الهديل
أهـاجـا غليـلى	فهل مـــن سبيـــل
لوصـــل الخليـل	وإسعـــاف القبول
..................ت	علـــى القلب نحيب (٨٩ ب)
أذابــت حـدقـــا	فأضنـاه الوجيـب
تــرى هل لبينى	عـن الأحبـاب غايـة
لوى الدهـر دينى	إلـــى غيـر نهايـة
متى الوصل يدنى	قصياهـــــا رآيـــة
فبـــالهجر بــادت	نفـــوس وقلـــوب
وبالوصـــل تبقـــى	إذا شـــاء الحبيب
ترى هـــل يعود	زمـــان تقضـــى
وتقضى السعـود	بآمـــال فنرضـــى
ويخضر عـــود	فتجنى الوصل غضا

وهيهـــــات بانت عهـــــود لا تؤوب

فلا الدمع يــــرقى ولا يطفـــى اللهيب

أحـــادى الرفاق إذا جئت العقيقا

فقل ذو اشتياق متى شام البروقا

أفـــاض المآقى على الخد عقيتقا

ديـــــار تنـــــاءت وأكبـــاد تـــــذوب

كـــذا البين يشقـــى بـــه المضنى الكئيب

مناى واقتراحى بلوغى الرسول

سأشكو انتزاحى ....

.... (٩٠ أ)

تـــرى الغيب طالت ترى يا دار غنى غريب

ومـــــن يهو يشقى إذا غيـــــب حبيب[١]

المراجع :

(١) لم نعثر عليها فيما عرفنا من خرجات أهل الأندلس

(١٣)

ومما أجاد فى تكفيره وحسّن، وبالغ فى تحسينه

وأتقن، قوله عفا الله تعالى عنه بمنه

أرى صبح شيب انذر	بفودك قد بان
فاسكب عبرات الخد	توكافا وتهتان
خد بالدموع الخدا	فلست بباقى
ألست تراها تحدى	بنعى الفراق
نفوس تفانت فقدا	فما من تلاق
ولا صدر عن مصدر	فيرجع من بان
هيهات سهام الفقد	تصمى كل إنسان
نزه ناظر التسليم	بدوح الغيوب
واحضر حضرة التنعيم	بترك المغيب
واعزم عزمه التصميم	لأرض الحبيب
ولذ بالجبين بالأزهر	من نخبة عدنان
وانزل بفناء المجد	تنل عزة المنان (٩٠ ب)
لأحمد بدر الأفق	وشمس المعالى
تاجج نار الشموق	فكيف احتيالى
لقد فاز أهل السبق	بذاك الجمال
إلى حسن ذاك المنظر	فؤادى ظمآن
فهل نهلة من ورد	فتطفأ نيران
أياريح بلغ عنى	سلامًا أثيرًا
وقل مغرم ذو حزن	قد أضحى كسيرا

أصمتـــه ســـهام البـــين	لم يلـــــف نصـــــيرا
ســـوى دمعـــة لا تفـــتر	وشـــوق وأحـــزان
فيـــا غـــايتى يـــا قصـــدى	قـــرب وصـــل هيمـــان
ايـــا رب بالمختـــار	والصحـــب الكـــرام
قـــرب قـــرب نـــائى الـــدار	مـــن ذاك المقـــام
واغفـــر قـــول ذى إصـــرار	مضنـــى ذى هيـــام
والله إنـك مليـح يـا الأشـقر	علـــى الســـرج ريـــان[1]
إذا لاح بـــرق الهنـــد	واهتـــزت عصـــا الـــزان

المراجع :

(١) يبدو أن هذه الخرجة مستعارة، لكننا لم نجدها فيما بين أيدينا من أصول.

(١٤)

... قوله أعلى الله تعالى ذاته على عروض :

شمس اعتلاء وورد... يعجز عن

لأَحْمَـدَ الْمُصْطَفَـى مَقَـامُ (٩١ أ)

حَـلَّ عُـلاً فَـلاَ يُـــرَامُ

بِنُـــورِهِ يَهتَدِى الأَنَـــامُ

فَأَىُّ شَمْسٍ وأَىُّ بَدْرٍ قَدْ أَطْلَعَتْهُ لَنَا السُّعُودُ

بِنُـورِهِ تُشْـرِقُ الشُّـمُوسُ

فِـى حُبِّـهِ تَخْلـع النُّفُـوسُ

يأيُّهـا الْمُسْمِـعُ الرَّئِيسُ

أَدِرْ عَلَيْنَا كُئُوسَ فَخرٍ مِنْ ذِكْرِهِ تُعْطَ مَا تُرِيدُ

أَمْـدَاحُ خَيْرِ الـوَرَى نَعِيـمُ

نَحْـنُ أُنَـاسٌ بهـا نَهِيـمُ

يَا مَادِحِيــهِ باللهِ قُومُوا

خُوضُوا بِنَا مَوْجَ بَحْرِ فَخْرٍ مَنْ مَاتَ فِيهِ فَهْوَ شَهِيدُ

الشَّطحُ فِـى حُبِّـهِ مُبَـاحُ

وَنَحْـنُ قَـوْمٌ لَنَـا ارْتِيَـاحُ

قُلُوبُنا حَشْوُهَـــا جِرَاحُ

مِنْ نَأْىِ مَغْنَاهُ لَيْتَ شِعْرِى مَتَى يَرَى قَبْرَهُ العَمِيدُ

إنْ سَمَحَ الدَّهْـرُ بِـالوُصُولِ

لِقَبْرِ خَيْرِ الـوَرَى الرَّسُـولِ

السَّيِّــدِ الأَرْفَعِ الجَلِيلِ (٩١ ب)

فَثَمَّ نَخلَع ثِيَابَ طُهْرِ وتُوفِي رُوحِي لِمَنْ تُرِيدُ

المراجع :

الموشحة فى "أزهار الرياض".

(١٥)

ومن مكفراته الحسان، ما أتى فيها بكل الإحسان
في إلمام المشيب، وتولى العمر القشيب، قوله قسم
الله تعالى له من البر والفضل أوفر نصيب :

لَهْفِي عَلَى عُمْرٍ[1] مَضَى وَالشَّيْبُ فِـي الفَوْدِ بَدَا وَمَـا قَضَيْتُ الْغَرَضَـا

أَيَّامُ رَيْعَـانِ الشَّبَـابْ وَلَّتْ وَلَمْ تَنْـوِ الإِيَابْ

فَنَارُ حُزْنِي فِـي الْتِهَابْ وَدَمْعُ عَيْنِي فِي انسِكَاب

يَـا عَهْدَ أَيَّـامِ الرِّضَـا هَلْ رَجْعَةٌ تَشفِي الصَّدَى حَقًّا وَتَنفِـي الْمَرَضَـا

إِنْ كُنْتَ مِنْ أَهْلِ الصَّفَا دَعْ عَنْكَ أَوْصَافَ الجَفَا

واذْكُرْ لِرَسْمٍ قَـدْ عَفَا وهِـمْ بِمَدْحِ الْمُصْطَفى

الهَاشِمِيِّ الْمُرْتَضَـى تَاجِ العُلاَ شَمْسِ الْهُدَى لا تَبْغِ مِنْـهُ عِوَضَـا

يمم[2] رُبُوعًا لِلحَبِيبْ وَانْزِلْ بِمَغْنَـاهُ الرَّحِيبْ

وَلُذْ بِمَرْعَـاهُ الْخَصِيبْ فَهْوَ لِمَا تِشْكُو الطَّبِيبْ

نَـادِ بِهِ مُعَرِّضَـا هَـلْ تَقْبَلونَ مُكْمَدَا قَدْ كـانَ عَنْكُم أَعْرَضَـا (٩٢)

رَمَـتْ فُؤَادِيَ النَّوَى وَغُصْنُ عُمْرِي قَدْ ذَوَى[3]

وَالشَّوْقُ قَلبِيَ قَدْ كَوَى وَاهًا عَلَى فَقْدِي الْقُوَى[3]

قَضَى النَّوَى مَا قَدْ قَضَى هَـلْ يَسْتَطِيـعُ الجَلَدَا قَلْبٌ عَلَى جَمْرِ الغضَى

لَقدْ تَنَاءَتِ الدِّيَـــارْ وَشَطَّ بِى عَنْهَا المَزَارْ

لَوْ كَانَ حُكْمُ اخْتِيَارْ مَـا قَرَّ بِى عَنْهَا قَرَارْ

مَــــا شَاءَهُ حكْمُ القَضَا يَجْرِى وَلَوْ طَـالَ المَـدَى فَلاَ تَكُـــنْ مُعْتَرِضَا

المراجع :

ترد فى "أزهار الرياض :

(١) فى أزهار : عمرى.

(٢) فى أزهار : وشم.

(٣) معظم كلماته ساقط من الأصل، وأخذناه عن أزهار الرياض

(١٦)

ومما أجاد فيه إذ كفّر، على عروض

ليتنى رملة على شاطى البحر، قوله

سمح الله تعالى له بمنه، وغفر :

دمع عينى فى انسكاب وانهمال	وبقلبى غليل
يا حداة العيس إنى فى خبال	أوقفوها قليل
خبرونى أين يحدى بالجمال	ففؤادى عليل
واحملوا عنى وعن وجدى خبر	فى الحشا مكتوم
رسمه فى صفح خدى قد ظهر	بالدما مرقوم
.... سار	.... أم (٩٢ ب)
.... يدنو المزار	قد برانى الغرام
.... من فراق الحب نار	ودموعى سجام
لم تدع منى موالاة السهر	غير واهى الرسوم
وفؤاد ليس فيه مصطبر	بالأسى مكلوم
فنى الجسم سقاما وضنا	ويح ما أصنع
يا ليالينا بوادى المنحنى	اترى ترجع
فنرى نجنى بساحات المنى	زهرًا يونع
إن أزر قبرك يا خير البشر	فأنا المرحوم
أو أرى قبرى عتيق وعمر	تنف عنى الهموم
فى دجى الليل لأرباب القلوب	سر غيب عجيب
فيه تجلى للمحبين غيوب	من هبات الحبيب

فـاقتبس أنـواره قبـل الغـروب	علَّ تعطى نصيـب
وانتشق يـا صـاح أرواح السـحر	يـا لهـا مشـمـوم
عرفـه أن هـب فـى أثـر السـهر	ينعـش المزكـوم
...... ذى الجنـاب المصطفـى	الرسـول الكريـم (٩٣ أ)
وامتدح إن كنت من أهل الصفا	ذا المقـام العظيـم
عـد عمـن قـال. هـزلاً وهفـا	فى غزال رخيـم :
ليتنى رملة علـى شـاطىء البحر	يـا بـن أو حلـوم
وتراء عينـى حين تقلع سحر	لبـلاد الروم

المراجع :

راجع الموشحة رقم ٩ حيث استعمل ابن الصباغ الخرجة ذاتها، وهى مستعارة.

(١٧)

ومن بديع مكفراته وحسنها، ومحكم أعاريضه

ومتقنها فى إحياء الرمق، والاستسلام لمن خلق

الإنسان من علق، قوله جعله الله تعالى من السّباق

فى ذا الطلق

قلبى على مـــا مضى يخفق فاحيوا الرمق

يـا حسـرة لم تـدع منـى إلا الرســوم

مـاذا بأكبـادى يـا لهفـى مـن الهمــوم

لا حول لى غير أن ارجو عفو الكريــم

فــــإنــــه فى القضا أرفق بمـــن خلق

مضـى زمـانى فهـل أبلـغ منـك المنـى

أنـا الـذى لم أقـل إلا بمحـض العنـا

يا لهف نفسى لقد أودى بها الضنــــا (٩٣ ب)

.... ى يطلـــــق فقــد صدق

دع عنك يا نفس ذا الدعـوى وسلمى

فـى الأمـر للواحـد المـولى كـى ترحمـى

لذا بالرضى فى القضـــا والجأ للمنعم

ما قد قضى من قبل أن تخلق فينـــا سبق

يـا صـاحبى أسـرع الأوبـة إلى الحبيـب

لازم إذا شئت أن توسى بـاب الطبيـب

ناد به فى الدجى وارغـب عسـى يجيب

شمر ذيـول الوفـــا تلحق   مـــن قد سبق

كم تشتكى الضر والبلوى وكـم تطيـل

................................ك *

................................ل *

فى ذا الطلق احذر أن تسبق   وتنطلـــــق

(١٨)

وله عفا الله عنه فى تحقيق الظنون

يوم تبلى السرائر ويكشف السر

الخافى المصون :

حقق ظنونى يوم تبلونى (٩٤ أ)

إن لم تجودوا لى فما أصنع

لمن سواكم سادتى أرجع

ويحى هل لى غيركم مطمع

من لشجـونى يوم تدعونى

لهول يـــوم الحشر فى أضلعى

تضـــرم تلهبـــه أدمعـــى

يــا نفس يا نفس له فاجزعى

سجى جفونى دمع محزون

مــــا لى سواكـــم ناصر يرتجـــى

فاجعـــــل لأمرى سيدى مخرجًا

كم صعب خطب صنعكم فرجا

فكن معينى رب واحيينى[١]

يـــا رب يـــا رب بخير الأنام

ومن لـــــــه عندك أعلى مقام

ارحم دموعًا فيك تهمى سجام

لكم حنينى والبكا دينى

لقبر خير الخلق شوقـــــى شديد

دعـــوا ملامـــى فسلوى بعيـــد

أصبحت أشدو قول صب عميد

كم تعذلونى با لله خلونى

المراجع :

(١) كذا فى الأصل.

(١٩)

وله عفا الله تعالى عنه وسمح له بمنه، فى وصل

الحبيب، وهو من الدر الرطيب

....

....

....

أطل المشيب وولى العمر (٩٤ ب)

واها وواها أودى بك الكبر

ولى الشـــباب وجـــاء الشـــيب

ونـــار حرصـــك مـــا إن تخبـــو

عتبـــت لـــو كـــان يجـــدى العتـــب

مـــاذا على مـــا ترى تنتظر

وقد تناهى لـــو كنت تعتبر

اســكب دموعــك فـــى الأســـحار

واقطـــع زمـــانك بالأذكـــار

ولـــذ بخـــير الـــورى المختـــار

واقصد لأرض شذاهـــا عطـــر

يزكو ثراها بمن لـــه الأثر

لله يـــا حـــادى الأجمـــال

إن جئتهـــا زائـــرًا صـــف حـــالى

وقـــل فتـــى بـــات فـــى أوجـــال

بخـــده أدمـــع تنهمـــر

وقد حكاها　　　　　　في سحها المطر

يــا شـــاديًا فـــي ذرى الأغصـــان

فنـــون شـــجوك قـــد أفنـــاني

مـــاذا بقلبـــي مـــن أشـــجان

يـــا شاديًـــا والجوى يستعر

نفسي براهـا　　　　　　السهد والسهر　　(٩٥ أ)

يــا مــن شــجاه نــوى الأحبــاب

حــث الركـــاب إلى القبـــاب

ودع مقالـــة ذي أوصـــاب

مـــد الخليـــج ورف الشجر[1]

لقد تناهـي　　　　　　منظـر ومختبر

المراجع :

(١) هذه الخرجة مطلع موشحة لابن زهر الحفيد، يرد في المغرب ١/٢٢٦ :

أحسن موشحات ابن زهر موشحته التي أولها :

مد الخليج　　　　ورف الشجر

لقد تناهي　　　　منظر ومختبر

(٢٠)

ومن بديع المكفرات وغريب النظم الذى رفعت له به

الدرجات قوله عفا الله تعالى عنه بمنه ويمنه :

أَطْلَعَ الصُّبْحُ رَايَةَ الفَجْرِ فَتَبَدَّى المكْتُومُ مِنْ سِرِّى

إِنْ تَكُنْ بَاحِثًا عَنِ الأَسْرَارْ فَانْتَشِقْ صَاحِ نَفْحَ الأَسْحَارْ

وَأَطِلْ فِى الأَصَائِلِ الأَذْكَارْ فَهْىَ أَذْكَى مِنْ عَاطِرِ الأَزْهَارْ

أَيْنَ طِيبُ المِسْكِ أَو شَذَا الزهْرِ فِي دُجى اللَّيْلِ مِنْ شَذَا[١] الذِّكْرِ

آهِ مِنْ أَدْمُعِى وَمِنْ حُزْنِى فَجْعَةُ البَيْنِ كَمْ تَرَى تُضْنِى

جِسْمَ مُشْتَاقٍ دامِى[٢] الجَفْنِ يَا عَذُولِى عليْهِمُ عِنِّى

عَبَرَاتِى تَنْهَلُّ كَالقَطْرِ وَفُؤَادِى يُذْكَى عَلَى الجَمْرِ[٣] (٩٥ ب)

شَفَّنِى الوَجْدُ فَاجْبُرُوا صَدْعِى يَوْمَ بِنْتُمْ عَنْ سَاحَتَى سَلْعِ

خَدَّدَ الخَدَّ سَاكِبُ الدَّمْعِ إِنْ تَعُودُوا مُتَيَّمَ الجِزْعِ

بُدِّلَ العُسْرُ مِنْهُ بِالْيُسْرِ وَأَتَتْهُ السُّعُودُ بِالبِشْرِ

لَيْسَ لِلعَبْدِ مِنكُمُ بُدُّ قَدْ بَرَانِى وَشَفَّنِى البُعْدُ

مَنْ لِصَبٍّ أَذَابَهُ الوَجْدُ بَاتَ فِى دَوْحِ حُزْنِهِ يَشْدُو

فِى هَوَاكُمْ لَقَدْ فَنِى عُمْرِى فَالطُفُوا بِى وَأَمِّنُوا ذُعْرِى

سَيِّدِى أَنتَ مَلجَأُ الصَّبِّ فَأَجِرْ مِنْ ضَنَى النَّوَى قَلبِى

إِنْ تكُنْ لى أَوْ إِنْ تكُنْ حَسْبِى فِيكَ أَشْدُو مَقَالَ ذِى عُجْبِ

جَرِّرِ الذَّيْلَ أَيَّمَا جَرِّ وَصِلِ الشُّكْرَ مِنْكَ بِالشُّكْرِ[٤]

المراجع :

هى فى "أزهار الرياض" :

(١) أزهار : وشذا.

(٢) أزهار : دمى.

(٣) ساقط من الأصل ونقلناه عن أزهار الرياض.

(٤) مطلع موشحة شهيرة تنسب لابن ماجة في غالبية المصادر (المقتطف، أزهار الرياض، نفح الطيب، مقدمة ابن خلدون، العذارى المائسات، عدة الجليس الخ..

كما ينسب لابن الصيرفى فى جيش التوشيح. وهو فى معظم المصادر :

وصل السكر منك بالسكر

(٢١)

ومما رق لفظاومعنى، وحسن لفظًا ومبنى، ما يبسط القلب المعنى، ويدرأ الكدر عن ناظر المضنى، قوله متعة (٩٦ أ) الله تعالى فى دار النعيم بالحسنى :

يـــا حـــادى الجمـــال	فـــى مهمـــه القـــلا
صـــف وجـــد ذى خبـــال	فـــى مشـــهد العـــلا
نـــاد بكـــل نـــادى	مضنـــى البعـــاد بـــاد
وقـــل إذا تنـــادى	لا شـــفك البعـــاد
مـــلوا عـــن الرقـــاد	مـــن حـــالف الســـهاد
تـــرى متـــى الليـــالى	تدنـــى مؤمـــلا
ينـــال بالوصـــال	ســـعدًا مكمـــلا
زنـــد مـــن الوجيـــب	بـــالقلب يقـــدح
وبـــى مـــن الحبيـــب	وجـــد مـــبرح
وقربـــه طبيبـــى	لـــو كـــان يمنـــح
لـــو صـــح لم أبـــال	عمـــن تـــأولا
وقـــال بالمحـــال	عـــن حبـــه ســـلا
أنـــا الـــذى رمـــانى	عـــن قوســـه النـــوى
دعنـــى فقـــد شـــجانى	وشـــفنى الجـــوى
لـــو كنـــت لى معـــاتى	لأنجـــح الـــدوا (٩٦ ب)
بكـــثرة اعتـــلالى	قـــد صـــرت مهمـــلا
تـــرى علـــى محـــال	أدنـــو فـــأقبلا

فوضـــت فــــى أمــــورى	إليــــــــك خـــــــــالقى
فــــى خطبــــى الخطـــير	جـــــــد بالـــــــترفق
فليـــس مــــن نصـــير	ســــــواك مشــــــفق
ومنــــك فــــى المــــآل	يرجـــــو التفضـــــلا
عبـــد علـــى الضــــلال	مــــــا زال مقبـــــلا
يـــــا رب بـــــالنبى	وصبحــــه الكــــــرام
والمســـــنزل العلـــــى	بــــالركن والمقـــــام
صفحًــــا عــــن الشـــجى	إذ قــــال فــــى النظــــام :
يــــا مــــنزل الغــــزال	حييــــــت مــــــنزلاً
فمـــا أنـــا بســـال	عنـــــه وإن ســـــلا

المراجع :

هناك موشحة للششترى أولها :

لو كنت ذا اتصال	أبصرت للعلا

وتنتهى بالخرجة التالية :

يا منزل الوصال	حييت منزلا
فما أنا بسال	عنه وإن سلا

وسيبنى لسان الدين بن الخطيب من بعد موشحة له على نفس النهج، ويجعلها تنتهى بنفس الخرجة، ونعنى بها موشحة :

يا حادى الجمال	عرج على سلا

وفى الخرجة : "فما أرى بسال" بدلاً من "فما أنا بسال".

(٢٢)

ومن التكفير الذى يشهد له بالتقدم والسبق،

أهل المعرفة والذوق، قوله نفعه الله تعالى

بالصدق يمدح المصطفى عليه السلام، ويذكر

ما بقلبه من الشوق :

لأَحْمَدٍ بَهْجَـــــةٌ	كالقَمَـرِ الزَّاهِرْ	فِى أبرُجِ السَّمدِ
عَلاَؤُهَـــا يَسْبِى	بِنُـــورِهِ البَاهِرْ	كلَّ سَنَـا[١] مَجْدِ
فِـــى عَالَمِ القُدْسِ	قُــــدِّسَ عَلْيَاهُ	فَفَـاقَ فِى الحَمدِ(٩٧ أ)
بالْبَــدْرِ والشَّمْسِ	يُـزرِى مُحَيَّاهُ	فَجَلَّ عَـــنْ نِدٍّ
لِلْجِــنِّ وَالإِنْسِ	أَرْسَلَـــهُ اللهُ	يَهْـدِى إلىَ الرُّشْد
أَذَلَّ بالْحُجَّـــةْ	وأمْـرِهِ القاهر	مَنْ خَان فى العهدِ[٢]
بـالشَّرْقِ وَالغَـرْبِ	ثَنَــاؤُهُ العَاطِرْ	أَنْـدَى من النَّدِّ
يَــا خَيْرَ مَرْسُولٍ	مِنْ خِيرَةِ الخَلْقِ	أَذَابَنِـــى البُعْدُ
إِلَيْكَ يَـــا سُؤْلِى	قَدْ قَادَنِى شَوْقِى	فكَمْ أرَى أَشْدُو
بِصَوْتِ مَخْبُولِ	حَكَى غِنَا وُرْقِ	هَيَّجَهَـا الوَجْدُ
غَرِقْتُ فِى لُجَّةْ	وَلَيْسَ لِى نَاصِرْ	عَلَى جَوَى البُعْدِ
إلاَّكَ يَا حَسْبِى	وَأَدْمُـــعُ النَّاظِرْ	تَنْهَلُّ فِى الخَـدِّ
إِنْ عَاقَنِى ذَنْبِى	عـنْ ذلكَ المَغْنَى	فَلَيْسَ لِــى حَوْلُ

وَكَيْــفَ بالقُرْبِ   لِلْهَائِــمِ المُضْنَى   وَبَيْنَنَــا سُبُلُ

تُذِيــبُ بالكَرْبِ   جِسْمًا ذَوِى حُزْنَا   وَشَفَّــهُ الخَبَلُ

إِلَيْكُــمُ وَجَّــهْ   وَجْهًا غَدَا حَائِرْ   والدَّمْعُ فِى الخد

يَنْهَلُّ كَالسُّحُــبِ   وزَفْــرَةُ الخَاطِرْ   تُلْهَبُ بالوَقْــدِ

يَــا سَامِعَ النَّجْوَى   إِلَيْــكَ أَوْصَابِى   تَشْكُو بأَوْجَالِــى (٩٧ ب)

تَرَكْتَنِــى نِضْوًا   أَلُــوذُ بالبَــابِ   مُقَسَّــمَ البَــالِ

إِنْ كَــانَ بالبَلْوَى   لِطُولِ إِغْبَــابِى   أَسَــأْتُمْ حَالِى

فتلكــم رَجَّــهْ   بِهَا أُرَى خَاسِرْ   إِنْ لَمْ تَكُنْ رفدى[3]

أَعُــوذُ بالحُــبِّ   مِنْ أَمْرِكَ الآمِرْ   بــالبُعْدِ لِلْعَبْــدِ

بِحُبِّ مَنْ تُحْدَى   لِقَبْــرِهِ النُّجْبُ   السَّيِّــدِ الطَّاهِرْ

هِــمْ دَائِمًا وَجْدَا   يأَيُّهــا الصَّبُّ   وَعَدِّ عَــنْ خاطِرْ

مَن قَالَ إِذْ أُوذِى   بقَلْبِــهِ الحُبُّ   قَوْلاً غَدَا سَــائِرْ

بدائِــعُ البَهْجَهْ   ونُزْهَــةُ النَّاظِرْ   وجَنَّــةُ الخُلْدِ

وبُغْيَــةُ القَلْبِ   ورَاحَــةُ الخَاطِرْ   فِــى ذِكَ الخَدِّ

المراجع :

ترد فى "أزهار الرياض"

(١) فى المتن : علا مجد (وصوبت أعلاها)

(٢) أزهار :   وأمره الظاهر   من خان للعهد

(٣) أزهار :   فقلبكم رجه   بها أرى حاسر   إن لم تكن ندى

(٢٣)

ومن تكفيره عفا الله تعالى عنه فى ترك الجفا

وإدارة أكواس الصفا، وهو من النظم المكمل

الصنعة الموفى :

ألفت الانتزاح فهلا تقرب (١٩٨أ)

إلى كم ذا الصدود

لقد خنت العهود

بنا عز الوجود

ونحن الاقتراح فكم ذا تحجب

أفق يا من غدا

كئيبًا مكمدا

قصيًا مبعدا

فعنَّا لا براح ونحن المطلب

أدر كأس الصفا

بروضات الوفا

ودع عنك الجفا

فزهر الروض فاح ورق المشرب

لقد طال الحجاب

الا حث الركاب

لهاتيك القباب

ونادِ باقتراح منأى يثرب

أيـــــا حـــــادى الرفـــــاق

إذا جئـــــــت العـــــــراق

فقـــــل عنـــــد التـــلاق

نسيم الروض فاح   فقوموا نشرب [1]

المراجع :

(١) هناك موشحة (لمجهول) مطلعها :

نسيم الروض فاح   فقم نشرب

أوردناها فى كتابنا "ديوان الموشحات الأندلسية"

(٢٤)

ومن تكفيره فى المتاب، والرجوع إلى طريق

الصواب، قوله عفا الله تعالى عنه :

نفسك إن أردت تنفع تب إلى مولاك وارجع (٩٨ ب)

جمعـــت فيـــك العيـــوب

كـــثرت منـــك الذنـــوب

قـــد دعـــا بك المشيب

وأراك ليـــس تسمع تب إلى مولاك وارجع

زخـــرف الدنيـــا غـــرور

وغـــدا عنـــه المســـير

ليس ينفـــع الســـرور

من غدا فيهـــا مُرَفَّعْ تب إلى مولاك وارجع

ليـــس للدنيـــا دوام

لا ولا فيهـــا مقـــام

غـــر أهليهـــا غمـــام

عـــن قريب يتقشع تب إلى مولاك وارجع

قـــدم الإحســـان فيهـــا

ولتكـــن عنهـــا نزيهـــا

فـــى غد تكن وجيهـــا

باليسير منهـــا فاقنع تب إلى مولاك وارجع

يـــا غفـــولا يـــا جهـــولا

للنجـــا اتخـــذ ســـبيلا

واسكب الدمـــع الهمولا

فهمول الدمـــع ينفع تب إلى مولاك وارجع

اشـــــتغلت بالمحـــــال

لـــو بنيـــت للمـــآل

قصـــر عز فـــى ظلال

لحويـــت العز أجمع تب إلى مولاك وارجع

ســـلم الأمـــر إليـــه

واجعـــل التكـــلا عليـــه

وابتـــغ الفضـــل لديـه

وإليـــه الأمر فارفـــع تب إلى مولاك وارجع

بمحمـــــد تؤمـــــل

فـــى الـــذى نويـــت تســـأل

فهو خير مـــــن يؤمـــل

وهو فى الذنـوب ينفع تب إلى مولاك وارجع

المراجع :

لم تجر الموشحات الأندلسية فى عصورها الزاهية على هذا النمط الذى كرر فيه الناظم جزءًا بعينه من الأقفال، كما أن فى النص مواضع لا تستقيم من حيث الوزن إلا بإنشاء خاص مثل مستهل القفل الأول (نفسك إن أ) لتساوى : فاعلاتن

(٢٥)

ومن تكفيره فى اشتهار المحبة، وعلو الدرجة فيها والرتبة،

قوله منحه الله تعالى توفيقه، وقربه بمنه ويمنه : (٩٩ أ)

بحبى فيـــكم أشـهر   وشهرة حبـــى جاهى

نسـيم الصبـــا مـــن نجـــد

ألا خـــبرى عـــن وجـــدى

ومـــا شفنى مـــن سهد

ترى هل بوصل أذكر   أم أجزى جزا أشباهى

أذاب فـــــؤادى البعـــــــد

وأودى بقلبـــــى الصـــــد

ولكـــن عليكـــم أشــــدو

عذولى فيهـــا أقصر   لا أصغى للــوم الناهى

جنـــانيكم كـــم أقصـــى

وشـــوقى لكـــم لا يحصـــى

جناحـــى ببينـــى قصـــا

وربـــع فؤادى أقفر   مـــن الوصل يا لله

أن أبعـــد فباســـــتحقاق

بحـــق حـــوى الأشـــواق

تلافـــوا ذمـــا الارمـــاق

فلـــى أدمـــع لا تفتر   وركن اصطبارى واهى (٩٩ ب)

أيـــا حاديـــا بـــالنجب

بمغنـــى العـــلا عـــرض بـــى

ودع قـــول مغرى صب

ذلى فى الهوى لا ينكر   ذرونـــى ففيـــه جاهى

(٢٦)

ومن التكفير الحسن المعنى، الجيد التصدير والمبنى،

في مدح رسول الله صلى الله عليه وسلم الهادي إلى الحسنى

قوله منحه الله التوفيق، وأجراه في أكرم طريق، بمنه

ويمنه :

لأَحْمَدَ تَعْنُو الأَقْمَارْ … نَعَدَّدْ فَخَارَهْ

وَأَنْظِمْ[1] ثَنَاهُ أَشْعَارْ … وَلَازِمْ وَقَارَهْ

لأَحْمَدَ بَدْرِ الأُفْقِ … وشَمْسِ المَعَالِي

تَأَجَّجُ نَارُ الشَّوْقِ … وكَيْفَ احتِيَالِي

لِمَنْ فَازَ أَهْلُ السَّبْقِ … بِذَاكَ الكَمَالِ

وَحَلُّوا بِهَا أَتِيكَ الدَّارْ … وَحَازُوا جِوَارَهْ

فَفِي القَلْبِ نَارُ الأَفْكَارْ … قَدْ أَذْكَتْ أُوَارَهْ

حَادِي الرَّكْبِ بَلِّغْ عَنِّي … سَلَامًا أثيرا[2]

وَقُلْ مُغْرَمٌ ذُو حُزْنِ … قَدْ أَضْحَى أَسِيرَا

أَصْمَتْهُ سِهَامُ البَيْنِ … لَمْ يُلْفِ نَصِيرًا

وَقَدْ أَبْعَدَتْهُ الأَقْدَارْ … وَالحُزْنُ أَثَارَهْ (١٠٠ أ)

فِي القَلْبِ تَنَائِي الأَقْطَارْ … يُضْرِمُ نَارَهْ

إِذَا لَاحَ لَمْعُ البَرْقِ … مِنَ أَكْنَافِ نَجْدِ

دَعَانِي إِلَيْهِ شَوْقِي … وَإِفْرَاطُ وَجْدِي

إِلَى قَبْرِ خَيْرِ الخَلْقِ … سَأَجْهَدُ جَهْدِي

لَعَلِّيَ أَقْضِي الأَوْطَارْ … وأُعطَى مَزَارَهْ

فَغَنِّـــــىَ تُمْحَـــــى الأَوْزَارْ	إِذَا زُرْتُ دَارَهْ
يَـــا حَـــادِىَ شَـــوْقِى زَمْـــزِمْ	بِذِكْـــرِ الحَبِيـــبْ
وِيَـــا حَـــرَّ وَجْـــدِىَ ضَـــرِّمْ	نِـــيرَانَ الوَجِيـــبْ
يَـــا دَمْـــعَ عَيْنِـــىَ أَرْقُـــمْ	بِخَـــدِّ الكَئِيـــبْ[٣]
رُسُـــومَ سُـــطُورِ التِّذْكَـــارْ	لِرَبْـــعِ أَنَـــارَهْ
سَـــنَا نُـــورِ وَجْـــهِ الْمُخْتَـــارْ	فَـــأعلى[٤] مَنَـــارَهْ
أَيَـــــا رَبِّ بِالْمُخْتَـــــارْ	والصَّحْـبِ الكِـرَامْ
قَـــرِّبْ قُـــرْبَ نَـــائِى الـــدَّارْ	مِـــنْ ذاك الْمَقَـــامْ
واغْفِـــرْ قَـــوْلَ ذِى إِصْـــرَارْ	غَنَّـــى فـــى هُيَـــامْ
مَـــنْ يوريـــن دَار العَطَّـــارْ	بـــدرب الْمَنَـــارَه[٥]
ثيابى وَمَـــا تَحْوِى الدَّارْ	نُعْطِهِ مـــال البِشَـارَهْ

المراجع :

فى أزهار الرياض :

(١) الأصل : ونظم.

(٢) أزهار : سلامًا كثيرًا.

(٣) أزهار : بخد الكئيب.

(٤) أزهار : قد أعلى.

(٥) الخرجة فى أزهار :

من يرونى دار العطار	بذرا المنـــارة
ثيابى وما تحوى الدار	نعطه البشارة

(٢٧)

ومن بديع التكفير والتلحين، ما جمع فيه بين الصنعة (١٠٠ ب)

والدقة والتبيين، قوله عفا الله تعالى عنه، يصف الركب

السائر لأرض الحبيب، ويذكر شدة الشوق وإفراط الوجيب

وهو من نظمه الحسن وتكفيره العجيب :

بالقلب يذكى الأوار	فلا قرار
ركب لأرض الحبيب	عنى ساروا
لله ركب تولى	بالقلب عنى
أورث عقلى خبلا	فدمع عينى
ينهل سحا ووبلا	لفرط حزنى
مالى (عليه)[1] اصطبار	شط المزار
نأت بقلبى الكئيب	تلك القطار
بانو فبان عنى	عقلى وحسى
قد خاب والله ظنى	يا ويح نفسى
إن طال بعدى وبينى	أزور رمسى
قد أوحشتني الدار	ولا اختيار
يا دار أذكى لهيبى	منك أدكار
نأيى عن الدار أو هى	والله عظمى
يا حادى الظعن قفها	أبث سقمى
عن ذلك النور سلها[2]	فالدمع يهمى
فعندها الأقمار	لها أسرار

أومت لفهـــم اللبيب	بمـــا يختـــار
.... هـــا	إن كــــان يجـــدى (١٠١ أ)
شــوقى ووجــدى تنــاهى	لغـــير حســـد
يــا عــين ســحى مياهــا	مــن فــوق خــدى
ولـــت بقلبـــى الســفار	أيـــن الفـــرار
وقـــدح زنـــد الوجيـــب	مـــاء ونـــار
من لى وقـد طـال شـوقى	بجـــبر صدعـــى
إن لاح لامـــع بـــرق	بفيـــض دمعـــى
تملـــك الحـــب رقـــى	فضـــاق ذرعـــى
تهيجنـــى الأطيـــار	ولا انتظـــــار
إلا بدمــع ســكيب	لـــه انهمـــار
بـــدر بطيبـــة تعنـــو	لـــه البـــدور
متـــى لمـــرآه يدنـــو	بنـــا المســـير
إن عـــن للـــدار عـــين	دنـــا المـــزور
دار لهـــا أقـــدار	نـــاهيك دار
لعزهــا فـــى الخطــوب	عـــز الجـــوار
لله مـــن فـــى هـــواه	قـــد ذبـــت شـــوقًا
وشـــفنى مـــن نـــواه	مـــا منـــه ألقـــى
لعـــز مجـــد عـــلاه	ملكـــت رقـــا
للهـــاشمى وقـــار	لـــه يشـــار
فى مدحـــه بالنسيب	تتلـــى أشعـــار

المراجع :

(١) ساقطة فى الأصل.

(٢) غير واضحة بالأصل.

(٢٨)

وبما أجاد فى تكفيره وتقدم فى نظمه وراق، ما

بمثله تسمو بطون الأوراق، حض فيه شرح الله تعالى

صدره على اعتبار العبر وإعمال الخواطر فى التلاق :

عبرنـــا العـــبر فـوق صحـــن النحـر (١٠١ ب)

أهملتهـــا الفِكَـــرْ ....ـــر

قـــف بربـــع الليـــالى إن تكـــن ذا حـــزم

نـــاظرًا فـــى مـــآل دراســـات الرســـم

واعتـبر فـى اختـلال حســـن ذاك الرقـــم

عـــاد صفـوى كـــدر وغـــدا ذا دعـــر

آمـــن والقـــدر كيـف شـاء يجـرى

يـــا خليلـــى إلى كـم تـــوالى الذنبـا

ولـــدار البلـــى تســتميل القلبـــا

لا تلمهـــم علـــى أن أطـالوا الحجبـــا

فارتكـــاب الغـــرر فـى ارتكـاب الـوزر

فـــامح ذاك الأثـــر بدمـــوع تجـــرى

دن بمـــدح الرســـول وأطـل فـى الوصـف

قطـــب مجـــد أثيـــل مـــأمن للخـــوف

زهـــر روض ظليـــل مونـــع بـــالعطف

مـــدح خـــير البشـــر الرفيـــع القـــدر

خـــير مـــا يدخـــر أجـــره للحشـــر

يـــا حـــداة القطـــار نحـــو ربـــع المجـــد

فـــى فـــؤادى أوار	مـــن أليـــم البعـــد
نـــأى تلـــك الديـــار	مـــؤذن بـــالفقد
فـــاحملوا لى خـــبر	وانظروا فـــى أمـــرى
وصفـــوا مـــا دثـــر	مـــن ربـــوع العمـــر
ذبـــت إلا ذمـــا	نقصـــه فـــى ازديـــاد
فاخـــبروا مغرمـــا	.... باد
.... للحمى	منشـــد فـــى البعـــاد
...................ر	بالله قـــو صبر (١٠٢أ)
كيف يكـــون لى صبر	إذا غـــاب من تدرى

ومن التكفير الرائق، والمعنى الفائق، ما جمع فيه
بين الصناعة الشهيرة، والإلزامات الكثيرة قوله
عفا الله تعالى عنه بمنه ويمنه :

خلف الأوحال		أودت بـــه المنون	فيـــا للقـــوم
هـــاج البلبال		منـــه جـــوى يبين	أســـرار الكتـــم
أضحى يختـــال		فـــى حلـــة تزين	أردان السقـــــم
لكـــن طوفـــان	فيض الأجفان	أفشى الكتمان	فمن للشجى الهيمان
يـــا من يلحى		باك علـــى الطلول	عـــرس بالربـــع
واجرح صفحـــا		بدمعـــك الهمول	فســـح الدمـــع
يشفى به جرحا		من قلب ذى عليل	يـــات فـــى ورع
مـــذ بـــان	قلب حران	على ما كان	فأضلعـــه نيران
حـــادى الظعن		بســـاحة العقيـق	أنخهـــا علـــى
أشكـــو بينى		وزفـــرة المشوق	فلتسمـــع قولى
ذوى غصنـــى		وأخلبـــت بروقى	وارتـــج من لى
أنـــا نشـــوان	من الهجران	فهل من عان	.............ـــان(١٠٢ ب)
متـــى أغدو		بيثـــرب مقيما	محـــل الأمـــن
متـــى أشدو		وقد رأت رسوما	للقبـــر عينـــى

لك الحمد   ملكتني شيما   فمنه أجني

فى روض دان   زهر الإحسان   على ألحان   تهتز لها الأكوان

صفو الورد   يشرب المعالى   زحيق سلسال

سؤلى قصدى   من ذلك الجمال   منى الآمال

نفسى حدى   لرؤية الهلال   فبين الأطلال

بدر مزدان   بلا نقصان   له الأظعان   تساق على الأجفان

(٣٠)

ومن بديع التكفير ورقيقه، ما ينشط القلب الصافى

إلى تحقيقه، ويحثه على السير إلى حرم النبى

المصطفى عليه السلام وعقيقه :

أضنى الشجى النحيب   يا ويح مضنى النحيب

أشـــجاه بعـــد المـــزار

ونـــأى تلـــك الديـــار

يـــا شـــاديًا بالقفـــار

.... قطـار

.... فادكار

أذكى لهيـــب أوارى

.... حبيب   يـــا وحشتا للحبيب (١٠٣ أ)

إن جئـــت أرض العقيـــق

فصـــف غـــرام مشـــوق

أقصـــاه بعـــد الطريـــق

عـــن فـــوزه بـــاللحوق

أن لاح لمـــع الـــبروق

يشـــدو بقلب خفوق

عسى الزمان القريب   يدنينى عـــن قريب

فخـــر النبــى محمـــد

خـــير البرايـــا الممجـــد

بـــالمعجزات مؤيـــد

هـــذا عـــلا ليـس يجحـــد

بـــدر وشمـــس وفرقـــد

لـــه المآثـــر تشهد

به تضيء القلوب وهـــو جلاء القلوب

أمـــداح ذكـــر النبـــى

ذى المعلـــوات العلـــى

فـــى كـــل نـــاد نـــدى

كزهـــر روض ذكـــى

يـــا ذا الســناء الســـنى

نداء صـــب شجـــى

قدد أثقلته الذنوب فمن لثقـــل الذنوب

قـــد لاح صبـــح المشـــيب

وقـــد ذوى بـــالخطوب

روض الشـــباب القشـــيب

فقـــل بصـــوت مريـــب

يـــا رب فـــاغفر ذنوبـــى

وارحـــم مقال الكئيب

عليّ جـــار الرقيب لا كان جور الرقيب

(٣١)

وله عفا الله تعالى عنه من التكفير الجليل، والمذهب الجميل

والـ....

بأرض طيبة معهد شوقـــى إليه مجـــدد (٣٠١ ب)

هـــل لى لتلـــك الطلـــول

مـــــن زورة ومقيــــــل

يـــا قبر خير رســـول

نمت زهــرا

طابت نشرا

فيك الذكرى

متـــى يراك فيسعد صب بعـــدك مكمد

مـــن قـــد بـــرا الانـــتزاح

وقـــص منـــه الجنـــاح

لـــــه إليك ارتيـــاح

أذكى الجمرا

شـــوقا أغرا

صبـــا مغرى

بالغرب أضحى مقيد والضعف والشيب يشهد

ربــع التواصــل أقــوى

فمـن علـى الهجـر يقـوى

قـــد صير الجسم نضوا

أفنى صبرا

أصمى قهرا

كبدى الحرا

سهم بعـاد مسدد حين رمـانى فأقصد

متـى يتـاح التدانـى

لمكمـد القلـب عـانى

يشـدو بكل لسان

يا من أجرى

دمعى نهرا

أفنى هجرا

عسى الذى كنت أعهد ممـا تقضى يجـدد (١٠٤ أ)

يـا بغيتـى يـا مـرادى

اشـكوك فـرط بعـادى

فـى كل وادٍ أنادى

أفشى السرا

كيما يدرى

أشدو جهرا

مالى غيرك مقصد فكيف بالهجـــر أقصد

فوضـــت أمــــرى إليكــــا

فـــذاك وقـــف عليكـــا

مـــالى شفيع لديكـــا

يمحـــو الوزرا

يـــدى عذرا

يشفى الصدرا

إلا بكائى سرمد فمن على الحزن يسعد

بـــى فـــافعلن مـــا تشـــاء

إن صـــح منـــك الرجـــاء

فكـــــــل داءٍ دواء

ينفى الضرا

يولى البرا

يدنى البشرا

بكل رأى مسدد وكل أمـــر مرشد

المراجع :

من الواضح أنها اعتبرت موشحة مستقلة عن موشحة "بأرض طيبة معهد" -رقم ٥- التى مرت بنا، وإن كانت هى هى فى واقع الأمر ما خلا الزيادات الجزئية التىألحقت بها.

(٣٢)

ومن بديع التفكير فى التذلل والخضوع، والإستكانة والشكوى والخشوع قوله عفا الله عنه بمنه :

فؤادى أشجاه بعادك عنى

منـاى لقاكـا

وأمنـى رضاكـا

فليـس سواكـا

ومن كنت مولاه يفـوز بأمـن

بحقـك كـن لى

وصـل بـك حبلـى

وارحـم فيك ذلى

فدمعـى أجراه على الخد حزنى

(١٠٤ ب)

بعـادك حتفـى

وقربـك يطفـى

غليـلى ويشفـى

وجسمـى أضناه مـوالاة بينـى

عـاك بقـرب

تؤمـن سـربى

فحسبـى حسبـى

وصـــال به تـــاه مــــن للقرب تدنـــى

لطيـــــة فـــــارحل

وزر خــــير مرســــل

ودع مــــن تغزل

واش يحبـــك الله يـــا حبيبي يــــا ابنـــى

(٣٣)

وله عفا الله تعالى عنه فى توبيخ النفس

على الإدبار، وحثها على الاستبصار، وهو

من التكفير المختار :

يا نفس توبى واقصرى واستبصرى

فمـذ بـان ريعـان الشـباب

وآن أيـــان الإيـــاب

فارحل إلى تلك القبـــاب

فيـــاله مـــن منظـــر ومخبـــــر

فـى طيبـــة دار الحبيـــب

العيـش للمضنـــى يطيـب

يـــا نسمة الريح الجنوب

لهـــا غرامى فاذكرى وخبـــــرى

شـوقى لهـــاتيك الديـــار

أذكـــى بأكبـــادى أوار

لهفـــى لقد شط المزار

مـــن لى بربـــع نير معطـــــر (١٠٥ أ)

حتـــى لقـــبر أحمـــد

الســـيد الممجـــد

سير الركـــاب واجهدى

يا نفس لا تقصـــرى وشمـــــرى

زر يـــا خليلـــى أحمـــــدا

تشـــف بـــه بـــرح الصـــدا

وعد عمـــــن أنشدا

الله يثيب مـــن يفترى على بـــــرى

(٣٤)

وله عفا الله تعالى فى مواصلة الرجاء،

وجبر الكسر عند الالتجاء، وهو من

النظم البديع المعنى والصنعة والبناء :

كم يدان الصب بالهجر والبين   وهو لا يقوى لذلك استطاعة

لكـم أضحـى رجـائى يشـير

بكـم الجـبر وقلبـى كسـير

جبر مثـلى فى علاكم يسير

لم يدع سح البكا فيك عين   فارحموا فى المستهام انقطاعه

أنـت معنـاى وقصـد رجـائى

قد ألفـت فيـك طـول بكـائى

وجوى قلبى وفرط عنائـى

فيكم بعت حيـاتى بالحين   ورأيت القتل فى الحب طاعة (١٠٥ب)

أنـا بالأشـواق مضنـى معنـى

إن شدت ورقاء فى الأيك لحنا

أو حدا حـادى الظعائن أفنى

هذه دار حبيبتى إلى أين   فقفوا الظعن ولو قدر ساعة

هـذه أعـلام طيبـة لاحـت

وصباهـا بشـذا الحـب فـاحت

فاعذروا إن زفرة الوجد بـاحت

خيموا نلتم منــاكم بلا مين ما عليكم بعد هــذا تباعه

آه مــن بعــدى وترويــع ســربى

قطــع البــين فــؤادى وقلبــى

فلذا لشدوا وقــــد بـــان حبى

كن معى قلبك يمتح نزه للعين وتراه اليــــوم يحتج رقاعة

(٣٥)

وله أثلج الله صدره، ورفع قدره فى فرط

الوجيب، وإهمال العبرة وترداد النحيب :

آهِ مِـــنْ فَــرْطِ الوَجِيــــبِ أَوْرَثَـــــتْ قَلْبِـــــىَ خَبْـــلاَ (١٠٦ أ)

زَفَــرَاتُ شَــوْقٍ مُدْنــفٌ مِنْكُـــمُ لَـــمْ يُغْـــطَ وَصْـــلاَ

قَـــدْ أَذَابَتْــهُ الشُّــجُونُ والْبُكَـــــاءُ والأَنِـــــينُ

نَحْـــوه لكـــم[1] حَنِـــينُ أَبَـــدًا بِـــهِ[2] يَدِيـــنُ

دَمْـــعُ خـــده الهَتُـــونُ دَمِيَــــتْ بِـــه الجُفُـــونُ

يَـــا سَــقامى يَـــا طَبِيبِـــى عَفْوُكُـــمْ عَنِّـــىَ أَوْلَـــى

لم تَــزَلْ بِـــاللُّطْفِ تُوصَـــفْ فَــأَنِلْ عَبْـــدَكَ فَضْـــلاَ

لَـمْ تَـزَلْ بِـى فِـى أُمُـورِى سَـــيِّدِى مَوْلَـــى لَطِيفَـــا

أَنْـــتَ مَـــوْلاَىَ نَصِـــيرِى فَـــاجْبُرِ العَبْـــدَ الضَّعِيفَـــا

مَـــنْ عَذِيـــرِى أَوْ مُجِـــيرِى إِنْ أَطَلْـــتَ بِـــى الوُقُوفَـــا

يَـــا لِيَوْمِـــىَ العَصِيـــبِ وَسِـــجِلُّ الصُّحْـــفِ يُتْلَـــى

وقُلُـــوبُ الخَلْـــقِ تَرجُـــفْ وَلِنَـــارِ الخَـــوْفِ تَصْلَـــى

يـــا إِلهِـــى بِـــالنبى العلـــى القَـــدْرِ أَحْمَـــدْ[3]

وَعَتِيـــــقِ الرِّضِـــــىِّ وَأَبِـــى حَفْـــصِ المُـــمَجَّدْ

والشَّـــــهِيدِ وَعَلِـــــىِّ غُـــرَرِ الفَخْـــرِ المُـــؤَيَّدْ

نَحْـــوَ سَـــاحَاتِ الحَبِيـــبِ فَلْتُيَسِّـــرْ لِـــىَ سُـــبْلاَ (١٠٦ ب)

فَمَتَـــى بِـــالقُرْبِ أُسْـــعَفْ أَوْ أُرَى لِـــذَاكَ أَهْـــلاَ

يَـــا حُـــدَاةَ العِيـــسِ عَنِّـــى فَـــاحمِلُوا نَحْـــوَ العَقِيـــقِ

أَسَـــفِى وَطُـــولَ حُزْنِـــى وَبُكَـــائِى وَشَـــهِيقِى

عَلِّنِـى بِـالْخَيْفِو أَخْنِـى   زَفْـرَ إِبَّـان اللُّحُـوقِ

هَـلْ لِصَـبٍّ مِـنْ نَصِيـبِ   فَيَعُـودَ الْهَجْـرُ وَصْـلاَ

يَـا زَمَـانَ الْقُـرْبِ اعْطِـفْ   وَأَنِـلْ مُضْنَـاكَ مَيْـلا[٤]

سَيِّدِى قَـدْ ذُبْـتُ حُزْنَـا   لاَ تُخَيِّـبْ فِيـكَ قَصْـدِى

وَأَنِلْنِـى مِنْـكَ حُسْـنَى   قَـدْ بَرَانِـى طُـولُ بُعْـدِى

وَاغْتَفِـرْ قَـوْلَ مُعَنَّـى   هَائِمَـا يَشْـكُو بِوَجْـدِ[٥]

يَـا فُـلاَنْ إِنْ رِت حبيبـى   إِفْتِـل أُذْنُـو بِالرُّسِيـلا

لش أَخَذْ عُنْـق الْخُشَيِّفْ   وَسَـرَقْ فَمّ الْحُجَيْـلا[٦]

المراجع :

ترد فى أزهار الرياض :

(١) أزهار : نحو كم له.

(٢) أزهار : دمع خديه المترف   ميت منه

(٣) فى المطبوع من أزهار الرياض :

بالنبى بالعلى   (بالرفيع) القدر أحمد

وغنى عن القول إن (الرفيع) زيادة من المحققين، لضط الوزن

(٤) أزهار : شملا.

(٥) أزهار : بوجدى.

(٦) أزهار : يا فلان إن زرت حبى

ليش أخذ...... الخ

وهذه الخرجة مستهل زجل للبعبع :

بالنبى إن ريت حبيبى   افتل إذنو بالرسيلا

ليس أخذ عنق الغزيل   وسرق فم الحجيلا

يأتى فى أزهار الرياض ٢١٨/٢، وانظره فى ديوان الموشحات الأندلسية للدكتور غازى ٤١٩/٢.

(٣٦)

ومما انطبع فى تكفيره، وأجاد غاية الإجادة فى

تصوير، قوله نفعه الله تعالى بقريره :

نَأَتْ بِىَ الأَوْطَــانْ عَنْ حَضْرَةِ الإحْسَانْ وَلاَ مُعِيـــــنْ

فَمَــنْ لِذِى أَحْزَانْ لِطَيْبَةٍ مـــذ كَانْ[1] لَـــهُ حَنِينْ

شَطَّتْ[2] بِــىَ الدَّارُ فَيَـــا شَوْقَـــاهُ لِيَثْــــرِبْ (١٠٧أ)

أخدانـــه[3] سَارُوا والبَيْـــنُ أَقْصَـــاهُ بِـــالمَغْرِبْ

فِـــى قَلْبِهِ نَارُ تُذْكِيـــهِ أَمْـــوَاهُ فَلتعْجَـــبْ

لوْ سَابَقَ الأخْدَان[4] فِـــى ذَلِكَ المَيْدَانْ أَضْحَى مَكِينْ

فَحَالِفِ الأَشْجَـــانْ وَاصْحَبْ مَعَ الأَحْيَانْ قَلْبًـــا حَزِينْ

لِلْمَـــوْرِدِ العَذِبْ وَالْمَنْهَـــلِ السَّلْسَلْ شُدُّوا الرَّحِيلْ

فَيَـــا ظَمَـــا قَلبِى لِـــذلِكَ المَنْهَـــلْ هَلْ مِنْ مَقِيلْ

بِسَـــاحَةِ القُـــرْب فَيُبْـــرِدَ السَّلْسَـــلْ حَرَّ الغَلِيـــلْ

إنْ أَمْكَنَ الإمكانْ أَنْ يَكْـــرَعَ الظَّمآنْ مِـــنَ المَعِينْ

فى مَشْرَبِ الرِّضْوَانْ فَذَاكَ سَعْـــدٌ دانْ لِلرَّائدِيـــــنْ

يـــا حَادِىَ الظُّعْنِ وَسَـــائِقَ الرَّكْبِ إلَى العقيـــقْ

أَسِفْـــتُ لِلبَيْـــنِ فَهَـــلْ إِلَى القُرْبِ يُلْفَى طَـــرِيقْ

مَتَـــى النَّوَى تُدْنِى مِن مَطْلَعِ الشُّهْـــبِ قَلْبًـــا خَفُوقْ

فَيَشْـرِبٌ بُسْتَــانْ   لِلرَّوْحِ والرَّيْحَـانْ   فِيـــهِ فُنُونْ

وَدَوْحَـةُ المُــزْدَانْ   تَحْيَا بِـهِ الأكْوَانْ   فـى كلِّ حِينْ

يَــا خَيْرَ مَرْسُولِ   لِلْحُـرِّ وَالعَبْـدِ   بِـــالمُعجزَاتْ(١٠٧ ب)

نِــدَاءُ مَخْبُولِ   نَــادَى عَلَى بُعدِ   خَوْفَ المَمَاتْ

أنتُمْ مُنَــى سُولِي   وَأنتُمُ قَصْـدِى   وَلِـى صِفَاتْ

تَمُجُّهَــا الآذَانْ   وَتَقْتَضِـى الهِجْرَانْ   فَمَـا يَكُونْ

مِنْ ذِى شُجُونٍ عَانْ   يَحْكِي بِنَوْحِ البَانْ   شَادِى الغُصُونْ

يَــا صَاحِ وَالقَصْدُ   أنْ يَظْفَـرَ الأوَّاهْ   بِقَصْـــدِهِ

إنْ شَفَّــكَ البُعْدُ   فَثِــقْ بِعَفْوِ الله   عَـــنْ عَبْدِهِ

وَدَعْ فَتًــى يَشْدُو   واللَّهْوُ قَـدْ ألهَاهْ   عَــنْ رُشْدِهِ

جِنَانْ يَـــا جِنَانْ   إجْنِ مِـنَ البُسْتَانْ   اليَاسَمِـــينْ(٥)

وَخَـــلِّ الرَّيْحَانْ   بِحُرْمَـــةِ الرَّحْمَنْ   لِلْعاشِقِـــينْ

المراجع :

ترد فى "أزهار الرياض" :

(١) أزهار : لطية قد كان؟

(٢) من هنا قوله : ودوحة المزدان ..... الخ

جاء فى غير موضعه من المصورة التى بين أيدينا

(٣) أزهار : أحبابه

(٤) أزهار : الإخوان

(٥) هذه خرجة موشحة لابن بقي ترد فى عدة الجليس رقم ٢٦٥ وكنا قد نشرناها فى كتابنا : ديوان الموشحات الأندلسية ص ٤٠.

كما أنها خرجة موشحة لابن عربى، مستهلها :

سرائر الأعيان   لاحت على الأكوان   للناظرين

ولابن زهر موشحة فى عدة الجليس مطلعها :

يا بأبى فتان   غزيل وسنان   ساجى الجفون

لها خرجة تقول :

جنان يا جنان   ما أملح الرمان   على الغصون

(٣٧)

ومن تكفيره العجيب، فى السهر والوجيب، قوله
عفا الله تعالى عنه يشرح حال السير إلى الحبيب،
ويصف حضرة المحل الرحيب :

أفنــى الهــوى رسـومه	وأســهر أجفانــه
بــالنقى الرجــراج	قــد ســاير حزانــه
فيــا لــه مشــوق	أضنــاه الوجيــب (١٠٨)
ومدمعــى (دفــوق)[1]	بالشــوق يــذوب
إن لاحــت الــبروق	أو هبــت جنــوب
دموعــه كديمــة	فــى الخديــن هتانــة
ســحها الثجــاج	قــد ألهــب نيرانــه
قــد تــاق للحبيــب	فحــث المســيرا
ومــاس كــالقضيب	وارتــاح ســرورا
وهمــة الأريــب	إن كــان بصــيرا
فــى عزمــة ســليمة	تقصــى عنــه ســلوانه
يــا لــه منهــاج	يعلــى نهجــه شــانه
لحضــرة المعــالى	قــد شــد الحمــولا
وللســنا الهــلالى	قــد حــث الرحيــلا
قــد فــاز بــالنوال	مــن حــاز المقيــلا
بالروضــة الكريمــة	وودع أوطانــه
وجعــل الأدلاج	روحــه وريحانــه

بطيبـــــة ريـــــاض	قـــد رقـــت ظـــلالا
بدوحهــــا غيــــاض	قـــد راقـــت جمـــالا
بتربهــــا المـــــراض	تستشــــفى اعتــــلالا
فاستنشـــقوا نســـيمه	وعــــانقوا أغصانــــه
......................اج	......................انه

المراجع :

(١) مطموسة في الأصل.

(٢) انتهى هذا النص عند هذا الحد، وبه انتهت المخطوطة.

والموشحة بنت - فيما نرجح - على نهج موشحة للسلمي (المتوفى ٦٠٣) لم يرد منها إلا قفل واحد في "الغصون اليانعة" ص ٩٣ :

حسانة رخيمة	عانقت منها البانة
والنقى الرجراج	وأشواقي لحسانة

بينما ترد كاملة في "عدة الجليس" رقم ٢٧٢

وللأعمى التطيلي (المتوفى سنة ٥٢٥هـ) موشحة أولها :

من عذب الفؤادا	عذابًا مهينًا

ترد في "عدة الجليس" رقم ٢٧٣

ولا يستبعد أن تكون الأصل الذى حاكاه كل من السلمي وابن الصباغ، وأول الإقفال فو موشحة التطيلي :

من صور وسيمة	للحيزوم فتانة
شاطر فراج	على غصن البانة

وهذا نفس النسق الذى سار عليه ابن الصباغ هنا، ونظم على غراره -من بعد- ابن خاتمة في موشحه :

بن ظبية رخيمة	للألباب فتانة
ردفها الرجراج	قد ماست به بانة.

الفهـــارس



فهرست الشعر التقليدى

الهمزة

الألف اللينة

الباء

الحاء

الدال

الراء

السين

الصاد

الضاد

العين

الفاء

القـــاف

الكـاف

اللام

الميم

النون

الهاء

فهرست المخمسات

بحسب قافية المطلع [1]

الباء

التاء

الحاء

---

(1) يكفى من المطلع شطراه الأول، لأنه دال - فى الغالب-على القافية الثابتة فى الشطرات الخوامس لأبيات التخميس، إلا عندما تكون القصيدة التى بنى عليها التخميس غير مبدوءة بتصريع . فإننا سنذكر بداية المطلع فى متن الفهرس، ثم نورد بقيته فى الهامش ليكون أبين لراغب المطلع أو راغب القافية الثابتة.

(2) بقية هذا البيت الدالة على قافية المخمس هى

بقية هذا البيت الدالة على   وبأفق الأنس صبحاً أطلعت

بشرت بالوصل لما أن بدت   هذه ليلة شعبان آتت

فانتهض فيها وشمر متزرك

(3) بقية البيت

--------------- روضاً من الإيناس أينع دوحه

فيه الشفاء لمن تغلغل برحه   وافى ربيع قد تعطر نفحه

أذكى من المسك الفتيق نسيما

وأصل القوافى الآية الكريمة "صلوا عليه وسلموا تسليما" التى بنى عليها كثير من تخميسات المديح النبوى .

الدال

الصـــــاد

الضـــــاد

العين

---

[١] بقية هذا المخمس :

--------------- نور سنا التوفيق فيها بدا

لما أضاءت نيرات الهدى قالت لى النفس أتاك المدى

وأنت فى بحر الخطايا مقيم

اللام

الميـــم

النون [2]

فهرست المربعــات

---

[1] بقية هذا البيت :

---------------- ومازلت متيمت وارف ظلكم
أعلل آمالى بألطاف طولكم وكم لى من يوم على مابا فضلكم
أروم افتتاح الباب والباب مغلق

[2] انتهى بحرف النون فهرست المخمسات، مع ملاحظة أن هناك مخمساً ضاع أوله فى الخرم الذى أشرنا إليه فى هامش ص ١٢٥ ولم نستطع من ثم إثبات الشطر الأول من مطلعه، لكن أول ثانيه من القوافى الخوامس تلقانا هى قوله :

نحد برضاك عنى له الشكوى

[3] بقية البيت :

---------------- ياحادي الظعن قطعت الفؤاد ضنى
زمزم فشجوله قد أذابنى شجنا طوبى لقوم أناخوا اليوم أرض منى
فازوا بأمن ويمن والمنى ملكوا

الموشحات

الموشحات

مرتبة بحسب الحرف الأول منها *

الهمزة

المراجع :

* آثرنا هذا المنهج لأن الموشحة، على غير القصيدة يتذكرها الإنسان بالقسم الأول من مستهلها أكثر مما يتذكرها بـ "قافيتها".

التاء

الحاء

الدال

الراء

الزاى

الشين

الصاد

العين

الفاء

المحتــويات